

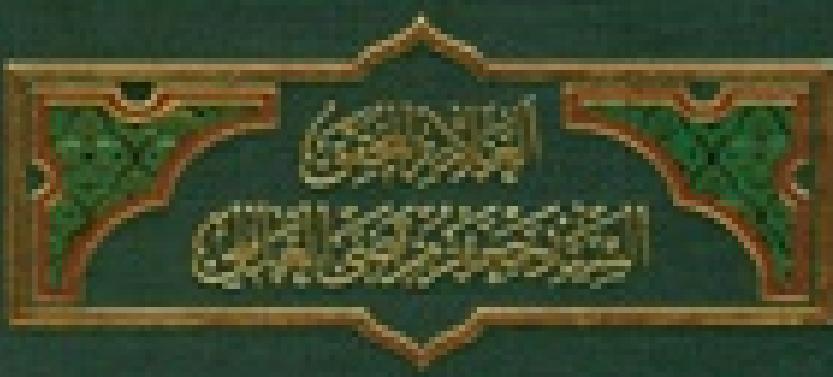


www.  
www.  
www.  
www.

Ghaemiyeh

.com  
.org  
.net  
.ir

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ



بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

# الصحيح من سيره النبي الاعظم صلي الله عليه وآلـه وسلم

كاتب:

السيد جعفر مرتضى حسيني العاملي

نشرت في الطباعة:

سحرگاهان

رقمي الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

# الفهرس

5	الفهرس
15	الصحيح من سيرة النبي الأعظم المجلد 17
15	هوية الكتاب
15	اشارة
19	ادامة القسم الثامن: من الحديثة إلى فتح مكة
19	تمة الباب الرابع: دعوة ملوك الأرض
19	الفصل الرابع: كتاب النبي صلى الله عليه وآله إلى المقوقين
19	إشارة
21	كتاب النبي صلى الله عليه وآله إلى المقوقين:
23	قصة هذه الرسالة:
24	الرسول صلى الله عليه وآله عند المقوقين:
25	الرسول صلى الله عليه وآله مع الملك في السر:
26	كتاب المقوقين إلى رسول الله صلى الله عليه وآله:
28	هدايا المقوقين إلى النبي صلى الله عليه وآله:
32	عليك إثم القبط:
33	الحرض على الملك:
33	شهادات المقوقين، لماذا؟ ! :
34	دور الدعاء في دعوة الأنبياء عليهم السلام:
36	هدايا المقوقين:
36	القطط لا تطأوعه:
37	وجحدوا بها واستيقنوا أنفسهم:
38	كتاب آخر مشكوك فيه:
39	كلمات عن المقوقين:



73	النجاشي يموت وهو مهاجر:
74	إخلاص النجاشي:
75	كتابه صلى الله عليه وآلـه إلى النجاشي الثالث:
77	الباب الخامس: حصون خير
77	إشارة
79	الفصل الأول: من المدينة إلى خير
79	إشارة
81	تقديم:
82	بداية:
83	ماذا عن خير؟!
85	خير مقدسة!
86	تاريخ غزوة خير:
88	في أي شهر كانت؟!
89	مدة حصار خير:
89	مدة إقامته صلى الله عليه وآلـه في خير:
89	الاستفار إلى خير:
92	المستخلف على المدينة:
93	خدمة أنس للنبي صلى الله عليه وآلـه:
95	أم سلمة في خير أيضـنا:
96	إحساس يهود المدينة بالخطر:
99	إجراءات في الطريق إلى خير:
104	لمن الشعر المتقدم؟!
104	الخطأ في مضمون شعر عامر:
105	ارتفاع عامر لرسول الله صلى الله عليه وآلـه:
105	الاستغفار أمارة الشهادة:

- 106 لا تحل الجنة ل العاصن:
- 108 الكثرة لا خير فيها:
- 110 أكذوبة الفتاة الحانصن:
- 113 اختيار الطريق إلى خير:
- 114 التطير و النفاول:
- 115 لا حول ولا قوة إلا بالله:
- 117 المطلوب هو الخير لا الغنائم:
- 120 ابن أبي يحذر اليهود:
- 121 غلطان تخاف، فترابع:
- 129 الفصل الثاني: قبل أن يبدأ القتال ..
- 131 اشارة
- وصول رسول الله صلى الله عليه وآلـهـ إلى خير:
- 134 الجيش هو الخميس:
- 134 خربت خير:
- 135 انحسار الإزار عن فخذ رسول الله صلى الله عليه وآلـهـ:
- 140 لا يظن اليهود: أنه صلى الله عليه وآلـهـ يغزوهم:
- 141 الأذان علامة الإسلام:
- 143 استعراضات و انتفاخات كاذبة:
- 145 مشورة الحجاب:
- 145 اشارة
- 147 ألف: الإنقاص من رسول الله صلى الله عليه وآلـهـ:
- 148 ب: إذا أمسينا تحولنا:
- 148 اشارة
- 148 الجباب ذو الرأي من هو؟ !
- 150 ج: حديث الراحلة:

151	د: بناء المسجد في خير:
151	صواتية تدبر اليهود:
153	قطع نخيل النطة:
155	الأمان لمن أراد:
156	من دخل النخل فهو آمن:
157	جعل علي عليه السلام على المقدمة:
157	الشكيك في قيادة علي عليه السلام:
159	علي عليه السلام يسمع الناس أقوال النبي صلى الله عليه وآله:
160	جرتيل يحب عليا عليه السلام:
161	الفصل الثالث: فتح حصن ناعم
161	إشارة
163	حصار حصن ناعم:
166	على فرس، أعلى حمار؟ !
166	قتال رسول الله صلى الله عليه وآله في خير:
167	الرايات بدأت في خير:
169	الزموا الأرض جلوسا:
169	نداء لا تحل الجنة ل العاص:
171	الإنضباط ضرورة لا تقبل الجدل:
171	تمني لقاء العدو:
173	يسلم الراعي وتعود الغنم:
177	متى شيع النبي صلى الله عليه وآله من خير الشعر؟ !
178	محمود بن مسلمة يقتل في حصن ناعم:
182	و في جميع الأحوال نقول:
182	أين قتل ابن مسلمة؟ !
183	الفصل الرابع: فتح سانر حصن النطة والشق

183	اشاره
185	حصار وفتح حصن الصعب بن معاذ:
192	فرار المسلمين.. وثبات الحباب:
193	لماذا الإحراج؟ :
194	أوسمة أسلم:
195	الموقف الشانز:
195	اللواء للحباب بن المنذر:
196	الصعب أكثرها طعاما:
197	تسخين الماء في آنية اليهود:
198	أعظم حصون خير:
199	الإفتخار في الحرب:
199	خذها وأنا الغلام الغفارى.
200	حديث الشتين، وقطيع الغنم:
201	الحباب بن المنذر في الواجهة:
202	ابن مسلمة يقول: بِسْمِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
203	الإهتمام بالطعام والغئمة:
203	مدة الحصار:
204	حصن قلة الزبير:
206	غير أنها نلاحظ:
207	بطولات موهومة:
209	نصب المتجنيق:
210	ذراري اليهود لم تكن في حصن الشق:
211	ابن مسلمة تارة، و الحباب أخرى:
212	موقع عثمان هو الأنسب:
213	عمر يأمر بضرب عنق شخص:

215	لا يعرف المنجنيق إلا هذا اليهودي:
216	لماذا خص النبي صلى الله عليه وآلـهـ ابن مسلمة بخطبـهـ؟!
217	إسهامات عمر في فتح خير:
218	قتل مرحـبـ في القـمـوـصـ لـاـفـيـ الصـعـبـ:
219	حـصـونـ الشـقـ:
223	ماـذـاـ عـنـ فـتـحـ حـصـنـ النـزـارـ؟!
224	صـفـيـةـ فـيـ حـصـنـ النـزـارـ:
227	الباب السادس: فتح خير
227	اـشـارـةـ
229	الفـصـلـ الأولـ:ـ المـنهـزمـونـ الفـاشـلـونـ
229	اـشـارـةـ
231	بداـيـةـ:
231	الـقـمـوـصـ أـعـظـمـ حـصـونـ خـيرـ:
232	حـصـارـ الـقـمـوـصـ:
233	رـعـبـ الـيهـودـ:
234	راـيـاتـ الـفـاشـلـينـ:
245	راـيـاتـ اـمـ ثـلـاثـ؟!
246	إـرـسـالـ عـمـرـ مـرـتـينـ:
247	أـينـ اـبـنـ مـسـلـمـةـ،ـ وـ الـحـابـ،ـ وـ الـزـيـرـ؟!
247	كتـابـ الـيـهـودـ تـهـاجـمـ الـأـنـصـارـ:
247	اـشـارـةـ
249	أـلـفـ:ـ تـعـدـ التـعـيـمـ عـلـىـ الـحـقـائقـ:
250	بـ:ـ لـوـاءـ الـأـنـصـارـ،ـ أـمـ لـوـاءـ النـبـيـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـ آـلـهـ؟!
251	جـ:ـ حـفـظـ مـاءـ وـ جـهـ الـأـنـصـارـيـ:
252	دـ:ـ أـلـيـنـ كـانـ الـمـهـاجـرـونـ؟!

252	هـ: نداء رسول الله صلى الله عليه وآلـهـ في اليهود:
254	وـ: الصحابة يفرون حتى عن علي عليه السلام!
254	تعابير ذات مغزى:
257	أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟!
258	عرفهم ما يجب عليهم:
259	حق الله وحق رسوله:
259	لأن يهدي الله بك نسمة:
261	اليهود، و الكلمة التوحيد:
261	الدرج في الاعتقادات، وفي الأحكام:
263	الفصل الثاني: وقفات لا بد منها
263	إشارة
265	هل قاتل المهزومون في خير؟!
268	والأوصاف هي التالية:
268	1-يحب الله ورسوله:
269	2-يحبه الله ورسوله:
269	إشارة
270	التزوير الرخيص.. تصرف و حلف:
271	أقوال النبي صلى الله عليه وآلـهـ في المصادر و المراجع:
276	ابن الصباغ ينقل عن صحيح مسلم:
278	3-كرار غير فرار:
279	4-لا يولي الدبر:
279	5-لا يرجع حتى يفتح الله عليه:
279	6-لا يخزيه الله أبدا:
280	حتى أنت يا عمر؟!
284	مقارنة ذات مغزى:

286	سعادتهم برمد علي عليه السلام: .....
288	كلهم يرجو أن يغطهاه: .....
290	حتى قريش: .....
290	لماذا الإعلان المسبق؟ ! .....
291	التدخل الإلهي: .....
292	النبي صلى الله عليه وآله يصنع المعجزة: .....
293	متى رممت عينا علي عليه السلام؟ .....
296	علي عليه السلام فاجأهم: .....
297	لباس علي عليه السلام في الحر و البر: .....
301	الفصل الثالث: قتل مرحب. . أحداث وتفاصيل .....
301	إشارة .....
303	علوتم و الذي أنزل التوراة: .....
305	قتل علي عليه السلام مرحبا و الفرسان الثمانية: .....
311	قطع رأس مرحب لماذا؟ ! .....
311	صفية تدخل لمصلحة ولدها: .....
314	الزبير حواري رسول الله صلى الله عليه و آله: .....
314	ويكفي أن نذكر شاهدا على ذلك: .....
317	لماذا تعظيم الزبير؟ ! .....
324	صيغة أخرى لما جرى في خير: .....
325	إننا نذكر القارئ بالأمور التالية: .....
327	من سمي عليا عليه السلام بحيرة؟ ! .....
329	الصحيح في هذه القضية: .....
331	إشارات و دلالات: .....
331	إشارة .....
331	ألف: سر زعامة مرحب: .....

332	ب: اكفي مرحبا:
332	ج: الناس يريدون عليا عليه السلام:
333	د: تمثل أليس:
337	شكوك حول مقتل عامر:
338	إننا نشك في هذه الرواية لما يلي:
338	شائعات أسيد بن حضرير:
340	ابن مسلمة قاتل مرحبا . كذبة مفضوحة:
343	ابن مسلمة يقتل كنانة بأخيه:
346	حدث العاقل بما لا يليق له:
346	إشارة
348	1-علي عليه السلام يغى بوعده:
349	2-الاشراك في قتل محمود:
350	3-ابن مسلمة يغى بالراية أيضا:
351	4-الاختصاص في سلب مرحبا:
353	الفهارس
353	إشارة
355	1-الفهرس الإجمالي
357	2-الفهرس التفصيلي
368	تعريف مركز

هوية الكتاب

عنوان و نام پدیدآور : الصحيح من سیره النبي الاعظم (ص) / جعفر مرتضی العاملی

مشخصات نشر : سحرگاهان ، 1419ق . = 1377.

مشخصات ظاهری : ج 35

شابک : 130000ريال (دوره کامل) ; 130000ريال (دوره کامل) ; 130000ريال (دوره کامل) ;  
130000ريال (دوره کامل) ; 130000ريال (دوره کامل)

وضعیت فهرست نویسی : فیبا

یادداشت : عربی .

یادداشت : کتاب حاضر در سالهای مختلف توسط ناشرین مختلف منتشر گردیده است .

یادداشت : افست از روی چاپ بیروت : دار السیره

یادداشت : جلد دهم : الفهارس

یادداشت : کتابنامه

موضوع : محمد (ص) ، پیامبر اسلام، 53 قبل از هجرت - 11ق. -- سرگذشتname

موضوع : اسلام -- تاریخ -- از آغاز تا 41ق.

رده بندی کنگره : BP22/9 ع 2 ص 3 1377

رده بندی دیویی : 297/93

شماره کتابشناسی ملی : م 77-15929

محرر الرقمي : میثم حیدری

ص: 1

اشارة

بسم الله الرحمن الرحيم

ص: 2

الصحيح من سيرة النبي الأعظم

تأليف: جعفر مرتضى عامرى

ص: 3

الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ط - جديد)

تأليف: جعفر مرتضى عامرى

الناشر: موسسه علمي فرهنگی دارالحدیث، سازمان چاپ و نشر

سال انتشار: 1426ق/1385هـ.

ص: 4

ادامة القسم الثامن: من الحديبية إلى فتح مكة

تتمة الباب الرابع: دعوة ملوك الأرض

الفصل الرابع: كتاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ المقوقس

اشارة

ص: 5



## كتاب النبي صلى الله عليه وآله إلى المقوقس:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»

من محمد بن عبد الله إلى المقوقس، عظيم القبط:

سلام على من اتبع الهدى.

أما بعد .

فإنني أدعوك بداعية الإسلام، أسلم تسلّم، (وأسلم) يؤتكم الله أجراً مرتين، فإن توليت فإنما عليك إثم القبط وقل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلّمة سوءٍ بيننا وبيّنكُمْ ألا نعبد إلّا الله و لا نشّرك به شئناً و لا يتّخذ بعضاً نابعاً من دون الله فإن تولوا فقولوا إيش هدّوا بانًا مُسْلِمُونَ ». (1)

ص: 7

- 
- 1- مكاتيب الرسول للعلامة الأحمدي ج 2 ص 417 عن المصادر التالية، مع التذكير بأنه اعتمد على الطبعات المتوفرة لديه: السيرة الحلبية ج 3 ص 280 و سيرة زيني دحلان {بهامش الحلبية} ج 3 ص 70 و إعلام السائلين ص 19 و رسالات نبوية ص 278 و أعيان الشيعة ج 2 ص 142 وفي {ط أخرى} ج 2 ص 244 و جمهرة رسائل العرب، عن صبح الأعشى ج 6 ص 378 وعن خطط المقربيزي ج 1 ص 29 وعن حسن المحاضرة ج 1 ص 42 وعن المواهب اللدنية للقسطلاني ج 3 ص 397 ونشأة الدولة الإسلامية ص 304 عن فتوح مصر {ط ليدن} ص 46 وعن مجلة الهلال {عدد أكتوبر سنة 1904 م} وصبح الأعشى ج 6 ص 358-366 و زاد المعاد لابن القيم ج 3 ص 61 ونصب الراية للزيلعي ج 4 ص 421. وراجع: الإصابة ج 3 ص 531 و دائرة المعارف لوجدي ج 9 ص 317 وشرح المواهب للزرقاني ج 3 ص 347 وفتح مصر لابن عبد الحكم ص 46 وتأريخ الخميس ج 2 ص 37 ولغت نامه دهخدا {فارسي} ج 43 ص 955 وصبح الأعشى ج 6 ص 364 والمصباح المضيء ج 2 ص 129 و الوثائق السياسية: 105/49 عن فتوح مصر لابن عبد الحكم ص 46 وعن مفید العلوم للقرزوینی والبیهقی والمنفلوطی و منتشرات السلاطین لفریدون بک. وأشار إليه: الطبری ج 3 ص 645 و الكامل لابن الأثير ج 2 ص 210 والیعقوبی ج 2 ص 67 والبداية والنهاية ج 4 ص 272 وحياة الصحابة ج 1 ص 117 والتبيه والإشراف ص 227 والبحار ج 20 ص 283 والطبقات ج 2 ق 1 ص 86 وج 2 ق 1 ص 16 وج 1 ق 3 ص 80 وابن هشام ج 4 ص 254 و ثقات ابن حبان ج 2 ص 5-7 وفقه السيرة ص 387 والأموال لأبی عبید ص 367 وحياة الحیوان للدمیری ج 2 ص 328 و کنز العمال ج 10 ص 399 والمعجم الكبير للطبراني ج 4 ص 15 والإصابة ج 1 ص 300 في ترجمة حاطب، وج 3 ص 530 في ترجمة المقوقس، والإستیعاب {هامش الإصابة} ج 1 ص 350 وأسد الغابة ج 1 ص 363 و الوثائق السياسية: 135/49 و عن الوفاء لابن الجوزی ص 717 و انظر کایتاني ج 6 ص 49 و اشپرنکر ج 3 ص 265 و 267 و مجلة ژورنال آزیاتیک {باریس سنّة 1917 م} ص 482-498 و مجلة إسلامك ریفیو لاكتشاف أصل المكتوب في کنیسه قرب اخمیم في صعید مصر إلى آخر ما ذكره من المجالات. وراجع أيضاً: أنساب الأشراف تحقيق محمد حمید الله ص 448 و المنتظم ج 5 ص 69 وج 3 ص 275 و موسوعة التاريخ الإسلامي ج 5 ص 662 و عن عيون الأثر ج 2 ص 331.



قال العلامة الأحمدى رحمه الله:

قالوا: كتب «صلى الله عليه وآلـه» في ذلك اليوم {الذى كتب فيه إلى الملوك} إلى المقوقس، عظيم القبط، وكان نصراانيا مع حاطب ابن أبي بلـعة [\(1\)](#).

ص: 9

---

1- مکاتیب الرسول ج 1 ص 13 وج 2 ص 421 عن: السیرة الحلبیة ج 3 ص 281 و زینی دحلان هامش الحلبیة ج 3 ص 70 و دلائل النبوة للبیهقی ج 4 ص 396 والبداية والنهاية ج 4 ص 272 و حیاة الصحابة ج 1 ص 117 و 118 والإصابة ج 3 ص 530 و 531 و أسد الغابة 1 ص 362 و قاموس الرجال ج 3 ص 42 و حیاة الصحابة ج 1 ص 117 و زاد المعاد ج 3 ص 61 والتراطیب ج 1 ص 183 و 186 و کنز العمال ج 10 ص 399 و المنتظم ج 5 ص 9 و راجع: مناقب آل أبي طالب ج 1 ص 142 و البحارج 20 ص 382 وج 22 ص 250 و عن فتح الباری ج 8 ص 97 و تحفۃ الأحوذی ج 7 ص 415 والأحاد و المثانی ج 1 ص 446 و نصب الراية ج 4 ص 490 و ج 6 ص 563 و الطبقات الكبری ج 1 ص 134 و 260 و تاریخ خلیفة بن خیاط ص 47 و 52 و 62 و الثقات ج 2 ص 6 و تاریخ مدینة دمشق ج 3 ص 235 وج 34 ص 280 و كتاب المحربر ص 76 و تهذیب الکمال ج 1 ص 197 و تاریخ الیعقوبی ج 2 ص 78 و تاریخ الأمم و الملوك ج 2 ص 288 و 289 و 307 و التبیه والإشراف ص 227 والعبر و دیوان المبتدأ و الخبر ج 2 ق 2 ص 36 و موسوعة التاریخ الإسلامی ج 2 ص 651 و عن السیرة النبویة لابن هشام ج 4 ص 1026 و عن عین الأثر ج 2 ص 321 و 331 و السیرة النبویة لابن کثیر ج 3 ص 343 و 445 و 514 و سبل الهدی و الرشاد ج 11 ص 348.

فجاء حاطب بالكتاب حتى دخل مصر فلم يجد المقوقس هناك، فذهب إلى الإسكندرية، فأخبر أنه في مجلس مشرف على البحر، فركب حاطب سفينه، وحاذى مجلسه، وأشار بالكتاب إليه، فلما رأه المقوقس أمر بإحضاره بين يديه، فلما جيء به نظر إلى الكتاب، وفضه، وقرأه.

وقال لحاطب: ما منعه إن كان نبياً أن يدعوه على من خالفه، وأخرجه من بلده إلى غيرها أن يسلط عليهم، فاستعار {فاستعاد} منه الكلام ثم سكت.

فقال له حاطب: ألسنت تشهد أن عيسى بن مرريم رسول الله؟ فما له حيث أخذته قومه، فأرادوا أن يقتلوه أن لا يكون دعا عليهم أن يهلكهم الله تعالى، حتى رفعه الله إليه؟

قال: أحسنت، أنت حكيم من عند حكيم.

### **الرسول صلى الله عليه و آله عند المقوقس:**

ثم قال له حاطب: إنه كان قبلك من يزعم أنه رب الأعلى {يعني فرعون} ، فأخذه الله نkal الآخرة والأولى، فانتقم به، ثم انتقم منه، فاعتبر بغيرك، ولا يعتبر غيرك بك.

إن هذا النبي دعا الناس فكان أشد هم عليه قريش، وأعداهم له اليهود، وأقربهم منه النصارى، ولعمري ما بشاره موسى بعيسى عليهما الصلاة والسلام إلا كبشره عيسى بمحمد «صلى الله عليه و آله» ، وما دعاؤنا إياك إلى القرآن إلا كدعائك أهل التوراة إلى الإنجيل، وكلنبي أدرك قوماً فهم أمته، فالحق عليهم أن يطيعوه، فأنت ممن أدرك هذا النبي، ولسنا ننهاك عن

دين المسيح، بل نأمرك به.

فقال المقوقس: إني نظرت في أمر هذا النبي فوجدته لا يأمر بمزهود فيه، ولا ينهى عن مرغوب فيه، ولم أجده بالساحر الصال، ولا الكاهن الكذاب، ووجدت معه آلة النبوة، بإخراج الخبر، والإخبار بالنجوى، وسانظر، ثم أخذ الكتاب وجعله في حق من عاج، وختم عليه، ودفعه إلى جاريته [\(1\)](#).

### الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَعَ الْمَلَكِ فِي السَّرِّ:

وأرسل المقوقس يوماً إلى حاطب فقال: أسألك عن ثلاث.

فقال: لا تسألني عن شيء إلا صدقتك.

قال: إلى ما يدعوه محمد؟

قلت: إلى أن نعبد الله وحده، ويأمر بالصلوة خمس صلوات في اليوم والليلة، ويأمر بصوم رمضان، وحج البيت، والوفاء بالعهد، وينهى عن أكل الميتة والدم-إلى أن قال-: فوصيته فأوجزت.

قال: قد بقيت أشياء لم تذكرها: في عينيه حمرة قلماً تقارقه، وبين كتفيه

ص: 11

---

1- مكاتيب الرسول ج 1 ص 189 وج 2 ص 422 عن زيني دحلان ج 3 ص 70 والحلبية ج 3 ص 281 والطبقات ج 2 ق 1 ص 17 وفتح مصر لابن عبد الحكم ص 46 وزاد المعاد ج 3 ص 61 وتاريخ الخميس ج 2 ص 37 والدلائل للبيهقي ج 4 ص 396 والتراطيب الإدارية ج 1 ص 183 والروض الأنف ج 3 ص 249 وسبل الهدى والرشاد ج 11 ص 349 ونصب الراية للزياعي ج 6 ص 564.

خاتم النبوة، يركب الحمار [\(1\)](#)، ويلبس الشملة، ويحترز بالتمرات والكسر، ولا يبالي من لاقى من عم أو ابن عم.

ثم قال المقوقس: هذه صفتته، وكنت أعلم أن نبيا قد بقي، وكانت أظن أن مخرجه بالشام، وهناك تخرج الأنبياء من قبله، فأراه قد خرج في أرض العرب، في أرض جهد وبؤس، والقبط لا تطاوعني في اتباعه، وأنا أضن بملكني أن أفارقه.

وسيظهر على البلاد، وينزل أصحابه من بعد بساحتنا هذه حتى يظهروا على ما ههنا، وأنا لا أذكر للقطط من هذا حرفا واحدا، ولا أحب أن تعلم بمحادثي إياك [\(2\)](#).

### كتاب المقوقس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله:

ثم دعا كاتبه الذي يكتب له بالعربية، فكتب إلى النبي «صلى الله عليه وآله» [\(3\)](#):

ص: 12

1- لعلها تصحيف الكلمة {الجمل} فإن راكب الحمار هو عيسى، وراكب الجمل هو نبينا «صلى الله عليه وآله». والنحاشي - كما سيأتي - قال: وإن بشارة موسى براكب الحمار، كبشرارة عيسى براكب الجمل.

2- مکاتیب الرسول ج 2 ص 423 عن: الإصابة ج 3 ص 530 في ترجمة المقوقس وزيني دحلان ج 3 ص 73 والحلبية ج 3 ص 283 وتأريخ الخميس ج 2 ص 37. وراجع: موسوعة التاريخ الإسلامي ج 2 ص 664.

3- مکاتیب الرسول ج 2 ص 423 وقال: نقل كتاب المقوقس في نشأة الدولة الإسلامية: 305 كما يلي: «باسمك اللهم» «من المقوقس إلى محمد: أما بعد فقد

لمحمد بن عبد الله، من المقوقس، عظيم القبط:

سلام عليك.

أما بعد..

فقد قرأت كتابك، وفهمت ما ذكرت فيه، وما تدعوه إليه، وقد علمت أن نبيا قد بقى.

وقد كنت أظن أنه يخرج بالشام، وقد أكرمت رسولك، وبعثت إليك بجاريتي لهما مكان في القبط عظيم، وبثياب، وأهديت إليك بغلة لتركها، والسلام عليك [\(1\)](#).

(3) بلغني كتابك وقرأته وفهمت ما فيه أنت تقول: إن الله تعالى أرسلك رسولا وفضلك تفضيلا، وأنزل عليك قرآنا مبينا، فكشفنا يا محمد في علمنا عن حبرك، فوجدناك أقرب داع دعا إلى الله، وأصدق من تكلم بالصدق، ولو لا-أني ملكت عظيمـاً لكـنـتـ أولـ منـ سـارـ إـلـيـكـ لـعـلـمـيـ أـنـكـ خـاتـمـ الـأـنـبـيـاءـ، وـسـيـدـ الـمـرـسـلـيـنـ، وـإـمـامـ الـمـتـقـيـنـ» وـهـكـذـاـ نـقـلـهـ مـحـمـدـ حـمـيدـ اللهـ بالـرـقـمـ 51ـ منـ فـتوـحـ مصرـ للـواـقـدـيـ: 10ـ وـصـبـحـ الأـعـشـىـ جـ 6ـ صـ 467ـ.

ص: 13

1- قال في مکاتیب الرسول ج 2 ص 423 و 424 عن: الحلیة ج 3 ص 281 و سیرة دحلان بهامش الحلیة ج 3 ص 71 والإصابة ج 3 ص 531 و صبح الأعشى ج 6 ص 136 و 467 و حیاة الحیوان ج 2 ص 328 و المنتظم ج 3 ص 274 و 275 و فتوح مصر لابن عبد الحكم ص 47 و زاد المعاد ج 3 ص 61 و تأریخ الخميس ج 2 ص 37 و نشأة الدولة الإسلامية ص 305 عن الواقدي و القلقشندي. و راجع: رسالات نبوية ص 280 و البخاري ج 20 ص 383 و الوثائق السياسية: 136/50 و المawahب اللدنية ج 2 ص 292 و مفید العلوم و مبید الهموم للقزوینی ص 8 و منشآت السلاطین ج 1 ص 33 و نصب الراية ج 11 ص 2 و الوفاء لابن الجوزی ص 717 و قابل الأموال لأبی عبید ص 632 و الطبقات ج 2 ق 1 ص 16 و شرح الزرقاني للمawahب ج 2 ص 349 و الأموال لابن زنجویه، و انظر کایتاتی ج 6 ص 49 و اشپنکر ج 3 ص 265 و 267. و راجع: موسوعة التاریخ الإسلامي ج 2 ص 664 و 665 و عن عيون الأثر لابن سید الناس ج 2 ص 332 و سبل الهدی و الرشاد ج 11 ص 349.

أرسل الملك إلى النبي «صلى الله عليه و آله» هدايا كثيرة، ذكرها المحدثون والمؤرخون، و نحن نذكرها إجمالاً:

1- أهدى المقوقس إليه «صلى الله عليه و آله» جارية اسمها مارية، أم إبراهيم «عليه السلام»، ابن رسول الله «صلى الله عليه و آله» [\(1\)](#).

ص: 14

---

1- مكاتب الرسول ج 2 ص 424 عن: الحلية ج 3 ص 281 وزيني دحلان ج 3 ص 71 والإصابة ج 3 ص 531 وج 4 ص 335 و 404 والإستيعاب {هامش الإصابة} ج 1 ص 46 وج 4 ص 329 و 411 والطبقات ج 2 ق 1 ص 17 والطبرى ج 2 ص 649 و الكامل ج 2 ص 210 والبداية والنهاية ج 4 ص 272 و تاج العروس ج 3 ص 4 وج 4 ص 182 وج 10 ص 341 في المقوقس، و حياة الصحابة ج 1 ص 117 و زاد المعاد ج 3 ص 61 و تاريخ الخميس ج 2 ص 37 و 182 و الدلائل للبيهقي ج 4 ص 395 و المستدرك للحاكم ج 4 ص 38 والأموال لأبي عبيد ص 367 و البحارج 20 ص 383 وج 22 ص 263 و عن ج 76 ص 105 و كنز العمال ج 10 ص 399. و راجع: السنن الكبرى للبيهقي ج 9 ص 215 و نصب الراية ج 4 ص 490 وأسد الغابة ج 5 ص 543 و إعلام الورى ج 1 ص 187 و السيرة النبوية لابن كثير ج 3 ص 515.

2- جارية أخرى اسمها: سيرين أخت مارية [\(1\)](#).

3- جارية أخرى اسمها: قيس، أو قيس، وهي أخت مارية أيضا [\(2\)](#).

4- جارية أخرى سوداء، اسمها: بريدة [\(3\)](#).

وفي الطبرى و الكامل و البداية و النهاية ج 4 ص 272 و البحارج 20 ص 383 أنه أهدى أربع جوار من دون أن يسمى بهن.

ص: 15

1- مكاتيب الرسول ج 2 ص 424 عن: الحلبة ج 3 ص 281 و دحلان ج 3 ص 71 والإصابة ج 3 ص 531 وج 4 ص 335 و 339 و 404 والإستيعاب {هامش الإصابة} ج 1 ص 46 وج 4 ص 329 و 412 و البداية و النهاية ج 4 ص 272 و تاج العروس ج 3 ص 4 و ج 4 ص 220 في المقوف، و حياة الصحابة ج 1 ص 117 و زاد المعاد ج 3 ص 61 و تاريخ الخميس ج 2 ص 37 و 182 و الدلائل لأبي نعيم ج 4 ص 365 و المستدرک للحاکم ج 4 ص 38 و البحارج 20 ص 383 و كنز العمال ج 10 ص 399 و مناقب آل أبي طالب ج 1 ص 139 و السنن الكبرى للبيهقي ج 3 ص 336 و عن المعجم الكبير ج 24 ص 306 و عن الطبقات الكبرى ج 1 ص 134 و 135 وج 5 ص 266 وج 8 ص 212 و تاريخ مدينة دمشق ج 3 ص 236 وج 4 ص 307 و ج 34 ص 292 وأسد الغابة ج 2 ص 6 و ج 3 ص 285 وج 4 ص 268 وج 5 ص 485 و 543 و سير أعلام النبلاء ج 2 ص 549 و المنتخب في ذيل المذيل ص 108 و السيرة النبوية لابن كثير ج 4 ص 648 و سبل الهدى و الرشاد ج 11 ص 413.

2- مكاتيب الرسول ج 2 ص 425 عن: الحلبة ج 3 ص 282 و دحلان ج 3 ص 71 و تاريخ الخميس ج 2 ص 182 و كنز العمال ج 10 ص 399.

3- مكاتيب الرسول ج 2 ص 425 عن: الحلبة ص 3 ص 282 و دحلان ج 3 ص 71 و تاريخ الخميس ج 2 ص 182.

5-غلاما خصياً أسود، اسمه: مأبور {وفي الطبقات شيرين} [\(1\)](#).

6-بغلة شهباء، وهي دلدل [\(2\)](#).

7-حماراً أشهب يقال له: يغفور [\(3\)](#).

ص: 16

1- مكاتيب الرسول ج 2 ص 425 عن: الحلية ج 3 ص 282 ودحlan ج 3 ص 71 والإصابة ج 6 ص 13 والاستيعاب ج 4 ص 329 و 411 و 412 و البداية والنهاية ج 4 ص 272 و { ط دار إحياء التراث } ج 4 ص 311 وج 7 ص 86 وج 5 ص 350 و 324 و تاريخ الخميس ج 2 ص 38 و 182 و المستدرک ج 4 ص 38. وراجع: السيرة النبوية لابن كثير ج 3 ص 515 وج 4 ص 648 و 600 و موسوعة التاريخ الإسلامي ج 2 ص 666 عن المناقب ج 2 ص 225.

2- مكاتيب الرسول ج 2 ص 425 عن: الحلية ج 3 ص 281 و 282 ودحlan ج 3 ص 71 والإصابة ج 3 ص 531 وج 4 ص 335 و 404 و الطبقات ج 2 ق 1 ص 17 و البداية والنهاية ج 4 ص 272 و تاج العروس في المقويس، و حياة الصحابة ج 1 ص 117 و زاد المعاد ج 3 ص 61 و تاريخ الخميس ج 2 ص 37 و 182 و الدلائل للبيهقي ج 4 ص 395 والأموال ص 367 و البحار ج 20 ص 383 و المعجم الكبير للطبراني ج 4 ص 15 و مناقب آل أبي طالب ج 1 ص 146 و البحار ج 16 ص 108 و 126 و عن فتح الباري ج 3 ص 273 وفيض القدير ج 5 ص 224 وعن عيون الأثر ج 2 ص 332 و 410 و سبل الهدى والرشاد ج 7 ص 403.

3- مكاتيب الرسول ج 2 ص 425 عن: الحلية ج 3 ص 281 ودحlan ج 3 ص 71 والإصابة ج 3 ص 531 وج 4 ص 404 و تاريخ الخميس ج 2 ص 38 و البحار ج 20 ص 383.

وقيل: اسمه عفير [\(1\)](#).

قال الدياري، وقيل: و ألف دينار وعشرين ثوبا [\(2\)](#).

وقال الدميري: و ألف مثقال ذهبا [\(3\)](#).

8- فرسا و هو اللزاز [\(4\)](#).

9- و أهدى إليه عسلا من عسل نبها {بكسر الباء الموحدة قرية من قرى مصر} [\(5\)](#).

10- و أهدى إليه مكحلة، و مربعة يوضع فيها المكحلة، و قارورة دهن، و المقتص {و هو المقراض} و المسواك، و المشط، و مرآة.

وقيل: أهدى أيضاً عمائم وقباطي، و طيبا، و عودا، و مسكا، مع ألف

ص: 17

---

1- البحارج 61 ص 195 عن البيهقي. قالوا: أما يعفور فأهداه للنبي «صلى الله عليه و آله» فورة بن عمر الجذامي في منصرف النبي «صلى الله عليه و آله» من حجة الوداع. راجع: البحارج 61 ص 195 وطبقات الكبرى ج 1 ص 491 و تاريخ الأمم والملوك ج 2 ص 422 و سبل الهدى والرشاد ج 11 ص 421 وسيأتي: زعمهم: أنه «صلى الله عليه و آله» أصاب هذا الحمار في خير.

2- تاريخ الخميس ج 2 ص 182.

3- حياة الحيوان ج 2 ص 328.

4- مكاتيب الرسول ج 2 ص 425 عن: الحلية ج 3 ص 282 و دحلان ج 3 ص 71 و سبل الهدى والرشاد ج 11 ص 349.

5- مكاتيب الرسول ج 2 ص 426 عن: الحلية ج 3 ص 282 و دحلان ج 3 ص 72 والإصابة ج 3 ص 531 و تاريخ الخميس ج 2 ص 28 و حياة الحيوان ج 2 ص 328.

مثقال من ذهب، مع قدح من قوارير [\(1\)](#).

وزاد في البداية والنهاية: خفين ساذجين أسودين.

11- وقال بعض: إنه أرسل مع الهدايا طيباً يداوي مرضى المسلمين، فقال له النبي «صلى الله عليه وآله» : «ارجع إلى أهلك، فإنما قوم لا نأكل حتى نجوع، وإذا أكلنا لا نشبع» [\(2\)](#).

إلى هنا انتهى ما نقلناه عن كتاب العالمة الأحمدية رحمه الله [\(3\)](#).

### عليك إثم القبط:

ولما- يختلف كتاب النبي «صلى الله عليه وآله» إلى المقوقس عن كتابه لكسري، وقيصر، إلا من حيث إنه حمله إثم القبط الذين كان المقوقس يحكمهم، إن لم يؤمن، ولم يفسح لهم المجال للتعرف على الإسلام، ولا أغانهم، ولا يسر لهم أمر الإيمان به..

بل يكون عزوفه عن الإيمان بالإسلام من أسباب انصرافهم عن هذا الأمر، وزهدهم فيه، هذا إن لم يمنعهم من ذلك بالقسر، والقهر، أو بإلقاء الشبهات، وإشاعة الأباطيل ضد الإسلام وأهله. .

ص: 18

---

1- مكاتب الرسول ج 2 ص 426 عن: الحلبي ج 3 ص 381 و دحلان ج 3 ص 382 و 382 و دحلان ج 3 ص 71 و 72 والإصابة ج 1 ص 531 وج 4 ص 335 و 404 و تاج العروس في المقوقس، و حياة الصحابة ج 1 ص 117 و تاريخ الخميس ج 2 ص 38 و الدلائل للبيهقي ج 4 ص 365 و حياة الحيوان ج 2 ص 328.

2- مكاتب الرسول ج 2 ص 426 عن: الحلبي ج 3 ص 383 و دحلان ج 3 ص 72.

3- مكاتب الرسول ج 2 ص 421-426.

## **الحرص على الملك:**

وليس في قولنا هنا أية غضاضة: إن المقوقس أيضاً كان مثل هرقل، لا يرغب بانتشار الإيمان بنبوة رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» بين الأقوام الذين يحكمهم، حرصاً منه على ملكه -بزعمه- وعلى نفوذ كلمته في تلك الأقوام، وعدم الرغبة في إفساح المجال لمشاركة أحد له في ذلك. . و ما ذلك إلا لأنَّه يعلم أن الطاعة للدين والأهله أقوى وأعمق من الطاعة لأهله الدنيا. . فإن الطاعة لأهله الدين تأتي طوعية، وباندفاع ذاتي، وبتحريك وجداً، ورضاً قلبي، وأنس وسرور واغتباط روحي. .

أما طاعة الناس لملوكهم، فإنما تكون طمعاً في الدنيا، ورهبة من سطوتهم بهم. وشتان ما بين هذه الطاعة وتلك.

ولهذا حرص المقوقس على إبعاد رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» ودعوته عن قومه برفق، وأنَّه، ولم يجاذف بإعلان الخصومة والعناد، لكي لا يكون هذا الاحتكاك من موجبات إثارة فضول الناس لمعرفة أقوال هذا النبي الكريم، وتتبع سيرته وأفعاله، واستلهام مواقفه. . و ذلك لأنَّه يعلم بأنَّ ذلك سينتهي إلى قبولهم -ولو بصورة تدريجية- لهذا الدين، شاء أم أبى، ولسوف تهتز الأرض تحت قدمي كل معاند و جاحد، مهما طغى وبغى، وتكون النتيجة -من ثم- هي نفس النتيجة التي واجهها أهل مكة مع هذا النبي الكريم «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» .

## **شباهات المقوقس، لماذا؟ ! :**

وقد ذكرت النصوص المتقدمة: أن أول سؤال طرحته المقوقس على

حاطب ابن أبي بلتقة قد تضمن شبهة ربما لا يلتفت أكثر الناس العاديين إلى حلّها، وهي ليس فقط تكفي لإثارة الشك في نبوة صاحب هذه الدعوة التي تعرض عليهم لأول مرة، وإنما هي تكفي لترجيح جانب النفي، وصرف النظر عن أي تفكير فيها.

وقد جاءت إجابة حاطب ابن أبي بلتقة على هذه الشبهة قوية وقاطعة، وعبرة عن مستوى الثقافي، الذي فاجأ المقوقس، الذي كان يعلم: أن حاطباً مجرد حامل كتاب، وليس معروفاً بالفضل والعلم بين أصحاب محمد رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ»، وإنما هو من الناس العاديين في ذلك المجتمع الناشئ، الذي أسسه «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ».

و هذه الإجابات من شأنها أن تعطي الانطباع الذي لم يكن المقوقس يرغب في أن يراه في قومه تجاه هذا الشخص و من أرسله في هذا الوقت الحساس بالذات.

ونحن لا نشك في أنه قد ندم على هذه الإثارة التي أراد لها أن تكون اختباراً للحاطب، وتحصيناً لرعايته عن التفكير في الدعوة المعروضة عليهما، والتي يحمل لهم حاطب كتاب صاحبها.

### دور الدعاء في دعوة الأنبياء عليهم السلام:

والذي نريد لفت النظر إليه هنا هو: أن المقوقس حين سجل اعتراضه الآف الذكر لم يكن يجهل بل كان يتتجاهل: حقيقة دور الدعاء في حياة الأنبياء. أي أنه كان يعلم أن الدعاء لا توكل إليه مهما كهدى في حياتهم «عليهم السلام».

بل دور الدعاء هو: توثيق الصلة بالله سبحانه، وإنشاء العلاقة الوجدانية والروحية به تعالى..

وقد يستجيب الله تعالى دعاء الداعين، ولكن بشروط أهمها أن لا ترك هذه الاستجابة أي أثر سلبي على الداعي نفسه من جهة..

وأن لا تكون سببا في الإخلال بحقوق الآخرين من جهة أخرى..

و منها حق الاختيار لهم، و حق الممارسة والتصرف فيما يختارونه؛ لأن الاستجابة للدعاء إذا كانت تؤثر على اختيار الناس، و تسليمهم القدرة عليه، فإنها تدخل في دائرة العدوان عليهم، و الظلم لهم. و نقض السنة الإلهية القائمة، والتي تقضي بحفظ ذلك لهم، ليصح اعتبارها مناطا للعقوبة والمحنة، وللسعادة والشقاء.

إذا كانت المخالفة تستتبع الدعاء من النبي «صلى الله عليه و آله» بأن يسلطه الله عز و جل على من يخالفه، بحيث يفقد ذلك المخالف قدرته بهذا القهر، و يتلاشى اختياره بهذا التسلط، فذلك يعني أن يصبح إيمان هذا الشخص مولودا قسريا، نشا و ترعرع تحت وطأة الخوف، و استيلاء الرعب، وهذا هو الإكراه في الدين، الذي نفاه القرآن، حيث ينتهي معه دور العقل و الفكر، و التأمل و التدبر المأمور به، و الذي يطلب أن يرتكز الإيمان إليه، و يعتمد عليه..

و إنما يطلب الأنبياء «عليهم السلام» من ربهم إهلاك قوم بأعيانهم؛ حين يبادر أولئك الأقوام باختيارهم إلى فعل ما استحقوا به نزول العذاب عليهم، و معاجلتهم بالعقوبة التي هي نتيجة أعمالهم.

وغني عن القول: إن لا فائدة من كل تلك الهدايا التي أرسلها المقوقس إلى النبي «صلى الله عليه وآله» ، فإنها هدايا تقيده كشخص في حياته الخاصة، ولا تقييد دعوته في شيء، بل هو أراد أن يماطل بها رسول الله «صلى الله عليه وآله» ، وأن يدفعه عن التعرض بدعوته لأهل مملكته، مع علمه المسبق أيضاً: أن دعوته «صلى الله عليه وآله» ستصل إليهم، وسيدخلون في دين الله أفواجاً، تماماً كما علم بذلك قيس، وصرح به..

ولكنه آثر أن يستمتع بزهرة الحياة الدنيا، ولو إلى حين، ورضي بأن يكون سبباً في إبقاء قومه في ضلالتهم، وأن يبوء -من ثم- بائهم.

**القطط لا تطاووه:**

وقد صرخ المقوقس -كما فعل قيس-: بأن القطط لا تطاووه في اتباع رسول الله «صلى الله عليه وآله» .. وأنه يضمن بملكه أن يفارقه..

وهو كاذب في قوله هذا جزماً، فإنه -كما أشار إليه كتاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» - هو الذي يبوء باثم القطط؛ لأنه يمنعهم من التعرف على دعوته «صلى الله عليه وآله» ، بما يلقيه إليهم من شبهاً، ويمارسه ضدهم من قهر واضطهاد، وإرهاب، واستضعفاف لهم.

كما أنه يمنع رسول رسول الله «صلى الله عليه وآله» ، من القيام بواجب الدعوة إلى الله سبحانه فيهم.

وحين ادعى المقوقس أن القطط لا يطيعونه. هل جرب ذلك معهم بالأساليب الحكيمة؟! وبالتدبر السليم والذكي؟! أم أن هذا هو قرار

الأهواء، والمصالح، والرغبات الشخصية، الذي يريد التسويق له بهذه الطريقة الظالمة واللا إنسانية؟ !

وهل أفسح المجال لدعاة الإسلام، لكي يمارسوا دورهم في هذا السبيل؟ !

### وجحدوا بها و استيقنـتها أنـفـسـهـمـ:

وبينما نرى المقوّقس يرسل بالهدايا إلى رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» ، ويعرف بالنبوة له، حيث يقول:

«وَجَدْتُ مَعَهُ آلَةَ النَّبُوَةِ، بِإِخْرَاجِ الْخَبَءِ وَالْإِخْبَارِ بِالنَّجْوِيِّ» وَنَحْوُ ذَلِكَ.

فإنـهـ يـقولـ: إنهـ يـضـنـ بـمـلـكـهـ أـنـ يـفـارـقـهـ .

فإنـهـ إـذـاـ كـانـ مـحـمـدـ «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» نـبـيـاـ، فـعـلـيـهـ أـنـ يـنـقادـ لـهـ، وـيـسـتـجـيبـ لـدـعـوـتـهـ، وـلـيـسـ لـهـ أـنـ يـمـتـعـ عـلـيـهـ، وـيـعـصـيـهـ، وـيـؤـثـرـ الـاحـتـفـاظـ بـمـلـكـهـ عـلـىـ طـاعـتـهـ، وـالـانـقـيـادـ لـهـ .

بلـ إنـ هـذـهـ الـمـدـارـاةـ الـظـاهـرـةـ مـنـ مـلـكـ مـصـرـ لـنـبـيـ «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» ، وـإـرـسـالـهـ الـهـدـاـيـاـ لـهـ. وـالـبـدـءـ بـ «بـسـمـ اللـهـ الرـحـمـنـ الرـحـيمـ» ، ثـمـ باـسـمـ رـسـوـلـ اللـهـ فـيـ رـسـائـلـهـ لـهـ «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» ، حـيـثـ قـالـ:

«بـسـمـ اللـهـ الرـحـمـنـ الرـحـيمـ: لـمـحـمـدـ بـنـ عـبـدـ اللـهـ، مـنـ مـقـوـقـسـ، عـظـيمـ القـبـطـ: سـلامـ عـلـيـكـ..»

وـكـذـلـكـ الـحـالـ بـالـنـسـبـةـ لـقـيـصـرـ، حـيـنـ كـتـبـ إـلـىـ رـسـوـلـ اللـهـ «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» :

». . إلى أحمد رسول الله، الذي بشر به عيسى، من قيصر ملك الروم:

و فيه يقول: «و إني أشهد أنك رسول الله، نجذك عندنا في الإنجيل، بشرنا بك عيسى بن مريم» .

إن هذه المداراة البالغة من هذين الرجلين، تدل على أنهما كانا على يقين من صحة نبوة رسول الله «صلى الله عليه و آله» . . ولكنهما يحاولان التملص من مسؤوليات هذا الإيمان، والتخلص من تبعاته، فيلقيان بالمسؤولية على عاتق شعوبهما: الروم والقبط، وأن هذه الشعوب هي التي تأبى الإيمان، وبذلك يكون هذان الرجالان-بزعمهما-غير مسؤولين تجاهه «صلى الله عليه و آله» ، وغير ملزمين بالطاعة. .

مع أن هذا كلام فارغ، فإنه لوضح أن قومهما قد رفضوا الإيمان-و قد تقدم أن هذا غير صحيح أيضا-فإن ذلك لا يعفي قيصر ولا المقوقس، ولا غيرهما من الدخول في هذا الدين، ومن طاعة رسول الله «صلى الله عليه و آله» ، و التعامل مع قومهما بالحكمة والمواعظة الحسنة، والسعى لتسهيل تقبلهما لدعوة الحق، و الدخول في دين الله تعالى، والإيمان برسول الله «صلى الله عليه و آله» . .

ولكن ماذا نصنع بمن غرتهم الحياة الدنيا، وصدق عليهم إبليس ظنه، فجحدوا بها و استيقننها أنفسهم؟ !

### كتاب آخر مشكوك فيه:

و قد نقلوا عن الواقدي: أن الذي كتب كتاب رسول الله «صلى الله عليه و آله» إلى المقوقس هو أبو بكر، وأنه كتب فيه: بسم الله الرحمن

ولكن النص الذي ذكروه لهذا الكتاب مختلف عن النص الذي نقلناه.

كما أن هذا النص المدعى يتضمن التهديد للمقوقس بالحرب، مع أن الحديث عن الحرب في أول رسالة دعوة يرسلها «صلى الله عليه وآله» ليس له ما يبرره، وليس هو الأسلوب الحكيم المتوقع من قبل رسول الله، ولم يكن من عادته «صلى الله عليه وآله» أن يفعل ذلك..

على أن كتاب فتوح الشام، راوي هذه الرسالة والذي ينسب إلى الواقدي إنما كتبه مؤلفه بهدف إرغام الروافض كما صرّح به مؤلفه (2).

وقد أخذ العلماء على هذا الكتاب: أنه قد اعتمد أسلوب القصاصين، وأن أمرات الاصطناع ظاهرة على أسلوبه ومضمونه (3). فهو كتاب غير موثوق، ولا يمكن الاعتماد عليه.

### كلمات عن المقوقس:

والمقوقس بصيغة اسم الفاعل: هو لقب لكل من ملك مصر والإسكندرية. وكان نصرانياً تابعاً لملك الروم، ومنصوباً من قبله.

وقيل: إنه تضمن مصر من قيصر بتسعة عشر ألف دينار (4).

ص: 25

---

1- رسالات نبوية ص 280 عن المصباح المضيء ج 2 ص 147 عن الواقدي، وجمهرة رسائل العرب ج 1 ص 38. وراجع: فتوح الشام ج 2 ص 23.

2- راجع: فتوح الشام ج 1 ص 116 و 154.

3- راجع: مکاتیب الرسول ج 2 ص 419.

4- راجع: معجم البلدان ج 5 ص 141 و مکاتیب الرسول ج 2 ص 420.

والقبط-بكسر القاف-هم: أهل مصر، أو أهل مصر والإسكندرية [\(1\)](#).

### لا تسمع القبط منك حرقاً واحداً:

وقد أكرم المقوس حاطب ابن أبي بلعة، وبقي عنده حاطب خمسة أيام [\(2\)](#)، ودفع له المقوس مائة دينار، وخمسة أثواب [\(3\)](#).

وقال له: «القبط لا يطأ عوني في اتباعه، ولا أحب أن تعلم بمجاورتي إياك، وأنا أضن بملكى أن أفارقك، وسيظهر على البلاد، وينزل بساحتنا هذه أصحابه من بعده.

فارجع إلى صاحبك، وارحل من عندي، ولا تسمع منك القبط حرقاً واحداً.

وبعث معه جيشاً إلى أن دخل إلى جزيرة العرب، فوجد قافلة تزيد المدينة، فالتحق بها، وردد ذلك الجيش [\(4\)](#).

ص: 26

- 
- 1- مكاتيب الرسول ج 2 ص 420 عن السيرة الحلبية، وعن السيرة النبوية لدحLAN، ومن لا يحضره الفقيه ج 1 ص 501 و البحار ج 7 ص 176 وعنون المعبدوج 11 ص 117 وكنز العمال ج 12 ص 475.
  - 2- الطبقات الكبرى { ط ليدن } ج 1 ق 2 ص 17 و { ط دار صادر } ج 1 ص 261 و دلائل النبوة للبيهقي ج 4 ص 395 و مكاتيب الرسول ج 2 ص 426 و موسوعة التاريخ الإسلامي ج 2 ص 664.
  - 3- مكاتيب الرسول ج 2 ص 426 عن السيرة الحلبية ج 3 ص 281 وعن السيرة النبوية لدحLAN { مطبوع مع الحلبية } ج 3 ص 71 و نصب الراية ج 6 ص 564 وعن عيون الأثرج 2 ص 332.
  - 4- مكاتيب الرسول ج 2 ص 426 و 427 عن السيرة الحلبية ج 3 ص 283 وعن

وقد أظهرت هذه النصوص أموراً عديدة، منها: 1-ادعاؤه أن القبط لا يطأونه، مع أنه لم يعرض ذلك عليهم، وقد دل على ذلك التعبير المذكور، حيث لم يقل: لم يطأوني، ليدل ذلك على أنه قد عرض عليهم الإيمان فرفضوه، بل قال: لا يطأونني، الذي يستوطن: أنه يقول ذلك عن حدس و استنتاج.

2-لماذا لا يحب أن يعلم القبط بمجاورة حاطب للمقوقس؟! أليس ذلك إلا من أجل أن لا يتساءلوا عن السبب الذي جاء به إلى بلادهم، وقد يبذلون بعض المساعي لسماع أباء رسول الله «صلى الله عليه وآله» من أحد أتباعه، إذ إن النفوس تشوق وتتشوف لسماع أباء من هذا القبيل.

وهي أباء يشعر الناس كلهم: أنها تهمهم وتعنفهم، ولها مساس بحياتهم، وبمستقبلهم، وبمصيرهم.

3-ألا يستفاد من هذه المطالب: أن المقوقس لم يعلم أحداً من القبط بقدوم رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟! وأنه قد حصر هذا الرسول، وحاصره عنده، وقد غمره بالإكرام والإنعم، وأبقاءه تحت السيطرة، وتحت الرقابة التامة؟!

4-لماذا لا يريد المقوقس: أن تسمع منه القبط حرفاً واحداً؟! أليس هذا من الأدلة الواضحة على سعيه لتجهيل قومه؟!

(4) السيرة النبوية لدحlan {مطبوع مع الحلبة} ج 3 ص 72 و راجع: نصب الراية ج 6 ص 564 و موسوعة التاريخ الإسلامي ج 2 ص 665 و عن السيرة النبوية لدحlan ج 3 ص 72 و 73 و عيون الأثر ج 2 ص 332 و تاريخ الخميس ج 2 ص 38 و حياة الصحابة ج 1 ص 118 و كنز العمال {ط الهند} ج 10 ص 399.

ولماذا يهتم بهذا التجهيل؟! وما الذي يخشاه من اطلاعهم على أخبارنبي يعترف هو بصحة نبوته، وبعثته، وهو الذي لم تزل كتبهم السماوية تعدهم به؟!

إن ذلك كله وسواء مما لم نذكره يدل على أن المقوس كان يسعى لإبعاد شبح الإسلام عن نفسه، وعن قومه، وكان يستخدم الكلمات المعسولة، والهدايا، وسياسة المداراة لل المسلمين من جهة، ويتبع سياسة محاصرة قومه بالجهل، والإبعاد عن موقع المواجهة، من جهة أخرى.. وذلك من أجل أن يبقى على نفوذه، ويحتفظ بملكه، ولو كان ذلك لقاء إطفاء نور الله تعالى، وإشاعة الشبهات والضلالات في الناس.

### كتابه صلى الله عليه وآله إلى النجاشي الأول من مكة:

«بسم الله الرحمن الرحيم.

من محمد رسول الله، إلى النجاشي الأصحح ملك الحبشة:

سلام عليك.

فإنني أحمد إليك الله، الملك، القدس، {السلام} المؤمن، المهيمن، {العزيز، الجبار، المتكبر} .

وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله، وكلمته ألقاها إلى مريم البطل الطيبة الحصينة، فحملت بعيسى، فخلقه من روحه ونفخه، كما خلق آدم بيده ونفخه.

وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والموالاة على طاعته، وأن تتبعني فتومن بي، وبالذى جاعنى، فإني رسول الله.

وقد بعثت إليكم ابن عمي جعفرا، و معه نفر من المسلمين، فإذا جاؤوك، فأقر ودع التجبر. وإنني أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل، وقد بلغت ونصحتك فاقبلاوا.

و السلام على من اتبع الهدى» [\(1\)](#).

ص: 29

1- راجع مصادر هذا الكتاب في: مكتاسب الرسول للعلامة الأحمدي رحمه الله وهي التالية: إعلام الورى ص 30 وفي { ط أخرى } ص 56 و الطبرى ج 2 ص 294 وفي { ط أخرى } ص 652 و البداية والنهاية ج 3 ص 83 و إعلام السائلين ص 4 و ناسخ التواريخ في بيان سيرة رسول الله «صلى الله عليه و آله» ص 472 و الحلبية ج 3 ص 279 و زيني دحلان { هامش الحلبية } ج 3 ص 67 و تاريخ الخميس ج 2 ص 30 وأعيان الشيعة ج 2 ص 207 وفي { ط أخرى } ج 1 ص 243 و أسد الغابة ج 4 ص 86 وج 1 ص 61 في ترجمة أرمى بن أصحام، و البحار ج 20 ص 392 وج 18 ص 418 و 419 وج 21 ص 23 و 43 عن إعلام الورى و قصص الأنبياء للراوندي ص 324 و جمهرة رسائل العرب ج 1 ص 36 و صبح الأعشى ج 1 ص 91 وج 6 ص 358 و 359 و 465 و رسالات نبوية ص 289 و تاريخ ابن خلدون ج 2 ص 790 و 791 وفي { ط أخرى } ج 2 ق 2 ص 36 و قفات ابن حبان ج 2 ص 9 و حياة الصحابة ج 1 ص 103 و الدلائل للبيهقي ج 4 ص 376 وج 2 ص 78 و 79 وفي { ط أخرى } ص 309 و رباع الأبرار ج 3 ص 297 و المصباح المضيء ج 2 ص 35 و زاد المعاد ج 3 ص 60 و إعجاز القرآن ص 113 و المواهب اللدنية للقسطلاني شرح الزرقاني { كما في الجمهرة } و نشأة الدولة الإسلامية: 301/15 و مدينة البلاغة ج 2 ص 241 و المنتظم ج 3 ص 287 و الوثائق السياسية: 99/21 عن جمع ممن تقدم، وعن المواهب ج 1 ص 291 و نصب الراية للزيلعي، و منشآت السلاطين لفريدون بك ج 1 ص 32 و وسيلة المتعبدين { مخطوطه بانكى پور } ص 8 و إعجاز القرآن للباقلانى ص 203 و إمتناع الأسماع للمقرizi { خطية كوبيلو إسطنبول } ص 1021 و المبعث والمغازي لإسماعيل التيمي { خطية كوبيلو } ورقة 114 ورفع شأن العبشان للسيوطى { خطية بروصه } ورقة 110 و الوفاء لابن الجوزي ص 734 . و راجع: التنبيه والإشراف ص 226 و الطبقات { ط ليدن } ج 2 ق 1 ص 15 و ق 1 ص 139 و { ط بيروت } ج 1 ص 207 و 258 وج 4 ص 249 وج 8 ص 97 و تهذيب تاريخ ابن عساكر ج 1 ص 114 و الكامل لابن الأثير ج 2 ص 210 و 213 و الإستيعاب { هامش الإصابة } ج 2 ص 497 و كنز العمال ج 1 ص 239 وج 10 ص 419 و الترتيب الإدارية ج 1 ص 165 و 197 و اليعقوبي ج 2 ص 67 و المناقب ج 1 ص 164 . قال في الوثائق: { قابل سعيد بن منصور: 3/2480 و انظر كايتاني ج 6 ص 53 و اشپنکرج 3 ص 262 } . و راجع: الكامل ج 2 ص 210 و حياة محمد لهيكل ص 353 و أنساب الأشراف تحقيق محمد حميد الله ص 438 .

وقد ذكر المؤرخون-و النص للعلامة الأحمدى «رحمه الله» (1)-:

أنه لما أوصى عمرو بن أمية الكتاب إلى النجاشي، أخذه ووضعه على عينيه، ونزل عن سريره، وجلس على الأرض إجلالاً وإعظاماً، ثم أسلم، ودعا بحق من عاج، وجعل فيه الكتاب، وقال: لو كنت أستطيع أن آتيه لأتيه (2).

ص: 30

---

1- مكاتيب الرسول ج 2 ص 447 و 448 و 449.

2- مكاتيب الرسول ج 2 ص 447 عن الطبقات لابن سعد ج 2 ق 1 ص 15 و 16 وعن السيرة الحلبية ج 3 ص 279 وعن السيرة النبوية لدحlan {بها مشن الحلبية} ج 3 ص 67 و 68 والمصباح المضيء ج 2 ص 35. وراجع: ميزان الحكمة ج 4

## كلام الرسول صلى الله عليه و آله عند النجاشي الأول:

وقالوا: إن عمرو بن أمية قال للنجاشي: يا أصحمة، إن علي القول وعليك الاستماع، إنك كأنك في الرقة علينا منا، وكأننا في الثقة بك منك، لأننا لم نظن بك خيراً قط إلا نلناه، ولم نحفظك على شر قط إلا أمناه، وقد أخذنا الحجة عليك من قبل آدم، والإنجيل بيننا وبينك شاهد لا يرد، وقاض لا يجور، وفي ذلك موقع الخير وإصابة الفضل، وإنما فانت في هذا النبي الأمي كاليهود في عيسى بن مريم، وقد فرق رسالته إلى الناس، فرجاك لما لم يرجهم له، وأمنك على ما خافهم عليه، لخير سالف وأجر ينتظر [\(1\)](#).

فقال النجاشي: أشهد بالله: أنه النبي الذي يتظاهر به أهل الكتاب، وأن بشارته موسى براكب الحمار كبشرة عيسى براكب الجمل، وأنه ليس الخبر كالعيان، ولكن أعوانني من الحبشة قليل، فانظرني حتى أكثر الأعوان، وألين القلوب.

وفي رواية: لو أستطيع أن آتيه [لأتيه \(2\)](#).

(2) ص 3209 و تاريخ مدينة دمشق ج 45 ص 430 و موسوعة التاريخ الإسلامي ج 1 ص 573 و سبل الهدى والرشاد ج 11 ص 365.

ص: 31

- 
- 1- مكاتيب الرسول ج 2 ص 447 عن دحlan ج 3 ص 68 و الحلبي ج 3 ص 279 و زاد المعاد ج 3 ص 60 و الروض الأنف ج 3 ص 304 و المصباح المضيء ج 2 ص 39 و موسوعة التاريخ الإسلامي ج 1 ص 572 وج 2 ص 654 و عيون الأثر ج 2 ص 329 و الطبقات الكبرى {ط دار صادر} ج 1 ص 259.
  - 2- مكاتيب الرسول ج 2 ص 448 عن السيرة النبوية لدحlan ج 3 ص 68 وعن السيرة الحلبيه ج 3 ص 280 و زاد المعاد ج 3 ص 60.

ونحن نرى: أن حامل رسالة رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» هو جعفر بن أبي طالب، إذ من المعلوم: أن النجاشي إنما أسلم على يدي جعفر فهذه الموعظة إن كانت قد صدرت من أحد فإنما صدرت من جعفر دون سواه باستثناء بعض الفقرات، كما سنوضّح في الفقرة التالية:

### إنما يفتضح الفاجر:

هذا.. وقد ذكرت النصوص المتقدمة: أن عمرو بن أمية قال للنجاشي: «كأنك في الرقة علينا منا، وكأننا في الثقة بك منك، لأننا لم نظن بك خيراً قط إلا نلناه الخ..».

ونقول:

قد نقل عن خط الشهيد رحمه الله ما يلي:

«قيل: كتب النجاشي كتابا إلى النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» فقال رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ»: أكتب جوابا، وأجز.

فكتب «عليه السلام»: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: أَمَا بَعْدُ، فَكَأْنَكَ مِنَ الرِّقَّةِ عَلَيْنَا مِنّْا، وَكَأْنَاهُ مِنَ الثَّقَةِ بِكَ مِنْكَ، لَأَنَّا لَا نَرْجُو شَيْئاً مِنْكَ إِلَّا نَلَّنَاهُ، وَلَا نَخَافُ مِنْكَ أَمْرًا إِلَّا أَمْنَاهُ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ».

فقال النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ»: الحمد لله الذي جعل من أهلي مثلك، وشد أزرني بك» [\(1\)](#).

ص: 32

---

1- البحار ج 20 ص 397 و {ط حجرية} ج 6 ص 571 و مستدرک سفينة البحار ج 9 ص 541 و مکاتیب الرسول ج 2 ص 453 و راجع: ناسخ التواریخ، ترجمة رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» ، و مدینة البلاغة ج 2 ص 244.

فالكلام المتقدم من إنشاء أمير المؤمنين «عليه السلام» ، ولكن الأيدي الخائنة التي تسعى إلى تزوير الحقائق، وإلى سرقة جواهر كلام علي «عليه السلام» ، قد نسبت ذلك إلى عمرو بن أمية. ولكن الله يأبى إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون، والمرشكون، وأن يفتضح الفجار والمزورون لحقائق الدين والإيمان، وأن يحل بهم الخزي والعار، وأن يصيّبهم الخذلان والخزي، والبوار، ويكون فيهم كالنار على المنار، و كالشمس في رابعة النهار، وينتقم منهم في الدنيا والآخرة العزيز الجبار.

### كتاب النجاشي الأول إلى النبي صلى الله عليه وآله:

و قالوا أيضاً: إن النجاشي أحضر جعفرا رضوان الله تعالى عليه وأصحابه، وأسلم على يديه لله رب العالمين، وكتب بذلك إلى رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» : «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» .

إلى محمد رسول الله، من النجاشي الأصحح بن أبيجر.

سلام عليك يا نبی الله ورحمة الله وبركاته، من الذي لا إله إلا هو، الذي هداني للإسلام.

أما بعد..

فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى، فورب السماء والأرض، إن عيسى ما يزيد على ما ذكرت ثقروقا (1) إنه كما قلت، وقد عرفنا ما بعثت به إلينا، وقد قربنا ابن عمك وأصحابه، فأشهد أنك

ص: 33

---

1- التفروق: الأقماع التي تلتصق بالبسـر.

رسول الله، صادق، مصدق، وقد بایعتك، وبایعت ابن عمك، وأسلمت على يديه لله رب العالمين، وقد بعثت إليك بابني أرها بن الأصحم بن أبيجر، فإني لا أملك إلا نفسي، وإن شئت أن آتيك فعلت يا رسول الله، فإني أشهد أن ما تقول حق، والسلام عليك يا رسول الله»<sup>(1)</sup>.

ص: 34

1- مکاتیب الرسول ج 2 ص 448 عن المصادر التالية: عن السیرة النبویة لدحلان ج 3 ص 67 و 68 وعن السیرة الحلبیة ج 3 ص 279 و تاریخ الأمم والملوک للطبری ج 2 ص 652 وفي {ط آخری} ص 294 عن ابن إسحاق، واعلام الوری ص 30 وفي {ط آخری} ص 56 و البخار ج 6 ص 398 و 567 {الطبعۃ الحجریة} وج 18 ص 419 وج 20 ص 392 وأسد الغابة ج 1 ص 62 و 63 وأعلام السائلین ص 4 و ناسخ التواریخ ص 273 من تاریخ رسول الله «صلی الله علیہ وآلہ وفات» و ثقات ابن حبان ج 2 ص 9 و دلائل النبوة للبیهقی ج 2 ص 79 و حیاة الصحابة ج 1 ص 103 و مجموعۃ الوثائق السیاسیة ص 46 وفي {ط آخری} ص 104 عن جمع ممن تقدم، وعن صبح الأعشی ج 6 ص 379 و 466 و سواطیح الأنوار للتمییز {خطیة} ورقہ 114/ب، و 115/ألف، ورفع شأن الحبشان للسیوطی {خطیة} ورقہ 110/ب، وإمتع المقریزی {خطیة کوپرلو} ص 1021 و الوفاء لابن الجوزی ص 735 و راجع: الكامل لابن الأثیر ج 2 ص 63 و المواهب اللدنیة {بشرح الزرقاوی} ج 3 ص 379 و المستدرک ج 2 ص 624 و تاریخ ابن خلدون ج 2 ص 791 وفي {ط آخری} ج 2 ق 36 و البداية والنهاية ج 3 ص 84 وزاد المعاد لابن القیم ج 3 ص 60 و 61 والشفاء للقاضی عیاض ج 1 ص 164 و نشأة الدولة الإسلامية: 17/302 و رسالات نبوية ص 290 و تاریخ الخمیس ج 2 ص 30 و الطبقات ج 2 ق 1 ص 15 و مدینة البلاغة ج 2 ص 243 و نصب الرایة للزیلیعی ج 4 ص 421 و دلائل النبوة للبیهقی ج 2 ص 79 و المنتظم ج 3 ص 288 والمصباح المضيء ج 2 ص 37.

وكتب النجاشي إليه «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» في جواب كتابه في تزويع أم حبيبة ما يلي: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.

إِلَى مُحَمَّدٍ «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» ، مِنَ النَّجَاشِيِّ أَصْحَمَهُ .

سلام عليك يا رسول الله من الله ورحمة الله وبركاته.

أما بعد..

فإنني قد زوجتك امرأة من قومك، وعلى دينك، وهي السيدة أم حبيبة بنت أبي سفيان، وأهديتك هدية جامعه: قميصا، وسراويل، وعطافا، وخففين ساذجين، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته» [\(1\)](#).

وكتب إلى النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» أيضا في جواب كتابه في تجهيز المسلمين هذا الكتاب:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.

إِلَى مُحَمَّدٍ «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» ، مِنَ النَّجَاشِيِّ أَصْحَمَهُ .

سلام عليك يا رسول الله من الله ورحمة الله وبركاته، لا إله إلا الذي هداني للإسلام.

أما بعد..

فقد أرسلت إليك يا رسول الله من كان عندي من أصحابك المهاجرين من مكة إلى بلادي، وها أنا أرسلت إليك ابني أريحا في ستين

ص: 35

---

1- مکاتیب الرسول ج 2 ص 449 عن المصادر التالية: الوثائق ص 106 وفي {ط أخرى} ص 48 عن سواطع الأنوار للتیمی ص 81 و الطراز المنقوش لابن عبد الباقي، الباب الأول. وابن الجوزی ص 568 و 569 ملخصا ونشأة الدولة الإسلامية: 18/303.

رجالاً من أهل الحبشة، وإن شئت أن آتيك بمنفي فقلت يا رسول الله، فإني أشهد أن ما تقول حق، والسلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته»<sup>(1)</sup>.

### رسول النجاشي الأول وهداياه:

لما طغت قريش وعتت ضد الإسلام والمسلمين، وأفطرتوا في تعذيبهم قال لهم رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» : «لو خرجتم إلى الحبشة، فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد. وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه»<sup>(2)</sup>.

ثم بعث المهاجرين تحت كفالة جعفر بن أبي طالب رضوان الله عليهما<sup>(3)</sup>.

ص: 36

- 
- 1- مکاتیب الرسول ج 2 ص 449 عن: الوثائق ص 48 وفي {ط أخرى} ص 104 عن الطراز المنشوش لابن عبد الباقي وسواطع الأنوار ص 82 وقابل إعلام السائلين ص 3 والمصباح المضيء ج 2 ص 37 وموسوعة التاريخ الإسلامي ج 1 ص 576 وج 2 ص 661.
  - 2- البحار ج 18 ص 412 و مکاتیب الرسول ج 2 ص 449 و السنن الكبرى للبيهقي ج 9 ص 9 وعن فتح الباري ج 7 ص 143 وعن مجمع البيان ج 3 ص 400 و سير أعلام النبلاء ج 1 ص 208 وتاريخ الأمم والملوک ج 2 ص 70 وعن البداية والنهاية ج 3 ص 85 و 92 و موسوعة التاريخ الإسلامي ج 1 ص 555 وعن السيرة النبوية لابن هشام ج 1 ص 213 و السيرة النبوية لابن كثير ج 2 ص 4 و 17 و سبل الهدى والرشاد ج 1 ص 22 وج 2 ص 363.
  - 3- راجع: الجزء الثاني من هذا الكتاب، و مکاتیب الرسول ج 2 ص 450. و راجع: و البداية والنهاية ج 3 ص 98 عن أبي موسى، و السيرة النبوية لابن كثير ج 2 ص 11 و راجع: كنز الدقائق ج 3 ص 173 و تقسيم علي بن ابراهيم ج 1 ص 176 و نور الثقلين ج 1 ص 549 و البرهان ج 1 ص 493 و مجمع البيان ج 9 ص 244 وفي أسد الغابة ج 1 ص 44 «بعث رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» جعفر رافي سبعين راكباً إلى النجاشي...» و راجع ج 5 ص 250.

وكتب إلى النجاشي فيهم، يوصيه بتكريمهم وقرابتهم. كما أن أبا طالب رضوان الله عليه أيضاً كتب إليه في هذا المعنى كما تقدم في الأجزاء الأولى من هذا الكتاب، حين استعرض أحاديث هجرة المسلمين إلى الحبشة.

فأقام المسلمون هناك في رغد من العيش، وأمن من الغوائل، ورد النجاشي مبعوثي قريش رداً قبيحاً، وصار تكريمه للMuslimين سبباً للثورة عليه، ودفع الله تعالى عنه هذه المكائد.

وقد تقدم: أن رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» كتب إلى النجاشي مع عمرو بن أمية في الدعوة إلى الإسلام -والظاهر: أن المكتوب إليه هو النجاشي الثاني -فآمن وصدق، وكتب إليه أيضاً في تزويج أم حبيبة، فزوجها منه «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» ، وكتب إليه أيضاً في إرسال جعفر صلوات الله عليه، ومن معه من المسلمين، فجهزهم وأرسلهم في سفينتين مع هدايا، ومع الوفد الذي أرسله، لينظروا إلى كلامه و مجلسه و مشربه، فيشاهدو آيات رسالته، وأعلام نبوته، وأن زيه ليس هو زمي الملوك والجبابرة.

فوافوا المدينة، وأكرمهم رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» حتى قام بخدمتهم بنفسه الشريفة، فقال أصحابه: نحن ننكفيك يا رسول الله.

قال: إنهم كانوا لأصحابي مكرمين، وإنني أحب أن أكافئهم، وقرأ

عليهم رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» القرآن، فبِكُوَا، وَرَجَعُوا إِلَى النِّجاشِي (١).

### الإقرار للنجاشي الأول بالملك:

وقد خاطب النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» النِّجاشِي بعنوان «مَلِكُ الْحَبْشَةِ» ، ولم يخاطب كسرى ولا قيسرو ولا المقوقيس بذلك.. لأنَّه «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» كان على يقين من إيمان النِّجاشِي، ثمَّ من عقله، وَحُسْنِ تَدْبِيرِهِ

ص: 38

---

1- اخترنا هذه النصوص من كتاتيب الرسول للعلامة الأحمدي «رحمه الله» تعالى فراجعه، وراجع أحداث هجرة الحبشة في مختلف كتب السيرة والتاريخ، ومنها على سبيل المثال: المصنف لعبد الرزاق ج 5 ص 284 وحياة الصحابة ج 1 ص 331 ومستدرك الحاكم ج 4 ص 21 وتأريخ الخميس ج 1 ص 288 وج 2 ص 21 والمعجم الكبير للطبراني ج 25 ص 218-223 وكشف الأستار ج 2 ص 297 والدلائل للبيهقي ج 2 وج 4 ص 344 والبحار ج 18 ص 410 وج 21 ص 19 و 23 و 24 و السيرة النبوية لابن هشام ج 1 ص 344 وج 4 ص 3 و الدر المنشور ج 5 ص 133 وج 2 ص 302 و سيرة ابن إسحاق ص 213 وتاريخ اليعقوبي ج 2 ص 23 و 24 و كنز الدقائق ج 3 ص 173 و مجمع البيان ج 3 ص 233 وج 9 ص 244 و نور الثقلين ج 1 ص 546 والبرهان {تفسير} ج 1 ص 493 و تفسير القمي ج 1 ص 176 و الشفاء للقاضي عياض ج 1 ص 259 والبداية والنهاية ج 3 ص 66 وج 4 ص 262 و 205 و الكامل في التاريخ ج 2 ص 76 و تاريخ الأمم والملوك {ط دار المعارف بمصر} ج 2 ص 328 وعن السيرة الحلية ج 1 ص 360 وج 3 ص 56 و السيرة النبوية لدحلان {بهاشم الحلية} ج 1 ص 251 وج 2 ص 251.

وأمانة، وعدله، فإنه ملك لا يظلم عنده أحد، كما تقدم، فلم يكن هناك أي محذور من الإقرار له بالملك على قومه، وتفويض تدبير أمورهم إليه، فإنه أحرى بذلك من كل أحد..

وهكذا فعل رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» ..

### سلام عليك:

وكان النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» -كما قلنا- يكتب إلى المسلم: سلام عليك، أو سلم أنت، أو نحو ذلك، ويكتب إلى غير المسلم السلام على من اتبع الهدى.

وقد لاحظنا هنا: أنه «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» يبدأ كتابه للنجاشي بقوله: «سلام عليك، أو سلم أنت» .

وهذا يشير إلى: أنه «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» كان يعلم بقبول النجاشي بكل ما يرضي الله سبحانه، ولا يتوقع منه أي تلاؤ أو استكبار عن قبول الدعوة الإلهية، فهو يؤمن بعيسى «عليه السلام» ، من حيث إنه يرى: أن في ذلك الإيمان رضاه تعالى، ولا بد أن يتواصل ويستمر هذا الإيمان، ولا ينقطع.

بل هو يتلامي ويكبر ويتحول تلقائيا إلى الإسلام.

### أحمد إليك الله:

ولسنا بحاجة للإشارة إلى: أنه «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» قد ساق حمده لله حتى أوصله إلى النجاشي، ليؤنسه ويسره به، وليحببه إليه، ولم يفعل ذلك مع كسرى وقىصر..

وفي هذا دلالة أخرى على: أن النجاشي قريب إلى الله تعالى، وهو يأنس

بِحَمْدِهِ، وَالثَّنَاءُ عَلَيْهِ، وَلَا يَغْتَرُ بِمُلْكِهِ وَطَاعَةُ النَّاسِ لَهُ، إِلَى حدِ الشَّعورِ بِالاستِغْنَاءِ عَنْهُ تَعَالَى، وَالْإِسْكَبَارُ عَنْ طَاعَتِهِ .

### الملك:

وَقَدْ تَقْدِمْ: أَنَّهُ «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» قدْ خَاطَبَ النَّجَاشِيَّ: بِأَنَّهُ «مَلِكُ الْجَبَشَةِ» وَلَكِنَّهُ عَادَ وَذَكَرَهُ: بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الْمَلِكُ عَلَى الإِطْلَاقِ، وَلَهُ دُونَ سُوَاهِ الْمَلِكِ الْحَقِيقِيِّ، الَّذِي لَا يَخْضُعُ فِي مَالِكِيَّتِهِ إِلَى جَعْلٍ، وَإِنْشَاءٍ مِنْ أَحَدٍ، وَأَمَّا مِنْ سُوَاهِهِ، فَمَا لِكِيَّتِهِ وَسُلْطَانَهُ مُحْتَاجٌ إِلَى إِنْشَاءٍ وَاعْتِبَارٍ وَجَعْلٍ مِنْ قَبْلِ مَنْ يَبْدِئُ الْأَمْرَ، وَهُوَ الْمَالِكُ الْحَقِيقِيُّ، وَالخَالِقُ، وَالْمَهِيمُونَ.

### القدوس:

ثُمَّ عَقَبَ ذَلِكَ بِذَكْرِ سَائِرِ صَفَاتِ اللَّهِ سَبَبَانَهُ، وَالَّتِي يَحَاوِلُ الْمُلُوكُ، أَنْ يَسْتَأْثِرُوا بِهَا لِأَنْفُسِهِمْ، بِنَحْوِ أَوْ بَآخِرٍ. فَذَكَرَ مِنْ ذَلِكَ صَفَةً «الْقَدُوسِ» الَّتِي هِيَ مِنْ صَيْغِ التَّكْثِيرِ وَالتَّشْدِيدِ {الْمُبَالَغَةُ} فِي تَقْدِيسِ اللَّهِ وَتَنْزِيهِهِ عَنْ أَيِّ نَقْصٍ، أَوْ عَجْزٍ، أَوْ عِيْبٍ، أَوْ حَاجَةٍ وَمَا إِلَى ذَلِكَ.

فَلَا مَعْنَى لِأَنْ يُنْسَبَ إِلَيْهِ أَحَدٌ ظَلَمًا، أَوْ جَهَلًا، أَوْ بَخْلًا، أَوْ . . أَوْ .

وَبِمَقَ�يِيسَةِ بَسيِطَةٍ يَتَجَلَّ لِلْإِنْسَانِ عَجْزُهُ حَتَّى لوْ كَانَ مَلِكًا، وَتَظَهُرُ لَهُ عِيوبُهُ، وَيَشْعُرُ بِأَنَّهُ مُحْتَاجٌ إِلَى غَيْرِهِ، حَتَّى إِلَى رَعِيَّتِهِ، أَوْ إِلَى بَعْضِهِمْ، لِيَرْفَعَ نَقَائِصَهُ، وَلِيَصُلِّ إِلَى مَرَادَاتِهِ.

وَالْمَفْرُوضُ بِهَذَا الشَّعورِ الدَّاخِلِيِّ، وَالْإِقْرَارِ الْوَجْدَانِيِّ، أَنْ يَنْتَهِيَ بِهِ إِلَى التَّسْلِيمِ لِلَّهِ الْمَلِكِ الْقَدُوسِ، وَأَنْ يَطْلُبَ مِنْهُ سَبَبَانَهُ تَلْبِيةً حَاجَاتِهِ، وَتَقوِيَّةً ضَعْفَهُ، وَإِكْمَالَ نَقَصَّهُ، وَرَفْعَ عَجْزِهِ .

## **السلام، المؤمن:**

ورغم أن الله مالك، وأن مقتضى ألوهيته أن يكون عباده مطيعين، خاضعين، منقادين له.. فإن الناس، سواء في ذلك الملوك أم السوقية يستكبرون على ربهم، ولا يخضعون، ولا ينقادون له، ولا يطلبون حاجاتهم منه، ولا يعترفون بضعفهم أمام قوته، وبنقصهم أمام كماله، وبفقرهم أمام غناه . . . .

ولكنه تبارك وتعالى لا يعاملهم بما يستحقون، ولا يعاجلهم بالعقوبة على ما يقترفون، ولا يبادرهم بالانتقام رغم أنهم مجرمون. بل هو السلام الحاني، والمؤمن لهم من كل ما يخافون ويحذرون، وهو التواب على من تاب، والمؤمن لهم من العذاب.

أما سلام الملوك، فإنه يفرض بالقوة، وهو ليس في حقيقته سلام، بل هو إذلال وقهر.. ولذلك الأمان الذي يأتي من قبلهم فإنه يكون خوفاً واستكانته، واستخداء، وخموداً .

## **المهيمـن:**

ولم تكن صفة السلام والمؤمن فيه تعالى، من أجل أنه فاقد للسيطرة، وغير متمكن من الإمساك بمقاييس الأمور بسبب قلة خبرة، أو انحسار سلطان، أو ضعف في مستوى مراقبة الأحوال..

بل من أجل أنه تعالى: يمنح السلام والأمن لمستحقيه وطالبيه من موقع الشاهدية، والرقابة، والإمساك بالأمور بصورة حقيقة، وبقدرة وفاعلية، فكان المهيمن والشاهد. لا بواسطة الاستعانة بغيره، ولا بالاعتماد

على الوسائل المتاحة له، كما هو حال ملوك الأرض، بل بالقدرة الذاتية، و الشاهدية الحقيقة.

### العزيز الجبار المتكبر:

و الله تعالى هو العزيز، الجبار، المتكبر على نحو الحقيقة، وأما ملوك الأرض فإنهم يدعون ذلك لأنفسهم، ولكن على سبيل تسمية الأمور بغير أسمائها الحقيقة، فيصورون ذلهم و مهانتهم عزا و كرامة، ويصورون ضعفهم الذي يجرهم إلى ظلم الآخرين -على قاعدة: وإنما يحتاج إلى الظلم الضعيف [\(1\)](#)-جبروتا، وبطشا و قوة.

كما أن صغر أنفسهم حين يغطونه بانتفاخات كاذبة يسمونه كبراء، مع أن جبروت الله هو عين عدله، و عزته تبارك و تعالى كرامة كامنة في حقيقة ذاته، و تتجلى في المظاهر المشيرة إلى عظمته.

ص: 42

---

1- من دعاء السجاد «عليه السلام» يوم الأضحى و الجمعة، راجع: الصحفة السجادية {ط مؤسسة المهدى قم} ص 349-353. و راجع: المقنعة للمفید ص 129 و مصباح المتهجد ص 270 و 274 و 423 و مكارم الأخلاق ص 295 و إقبال الأعمال ج 1 ص 250 و 326 و 501 و من لا يحضره الفقيه ج 1 ص 491 و تهذيب الأحكام ج 3 ص 88 و المزار لابن المشهدى ص 471 و عن إقبال الأعمال ص 205 و 326 و 501 و ج 2 ص 181 و جمال الأسبوع ص 111 و 133 و 266 و البحار ج 5 ص 53 و عن ج 84 ص 203 و 261 و 268 و عن ج 86 ص 295 و عن ج 87 ص 329 و عن ج 88 ص 24 و عن ج 95 ص 18 و 131 و 208 و 286 و نور البراهين ج 2 ص 306 و ميزان الحكمة ج 3 ص 1914 و جامع البيان ج 17 ص 82.

## شهادة رسول الله صلى الله عليه وآله لعيسى أولاً:

و الذي يستوقف الباحث هنا: أن رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» نفسه و قبل أن يطلب من غيره شيئاً قد بادر إلى الشهادة لعيسى «عليه السلام» ، بما يعتقد فيه، وفي أمّه على نبينا و آله و على عيسى و أمّه الصلاة و السلام، فقال: أشهد أن عيسى بن مريم روح الله.

و قد اقتصرت شهادته على النقطة المحورية للخلاف في أمر عيسى «عليه السلام» ، وهي نقطة الارتكاز للديانة المسيحية كلها، حتى إذا تعرضت هذه النقطة لأي اهتزاز، فإن ذلك سوف يزعزع بناء تلك الديانة كلها، ويسقط الهيكل على رؤوس أصحابه.. ألا وهي قضية خلق عيسى، فقرر أنه «عليه السلام» مخلوق لله تعالى، حين وصفه بأنه روح الله و كلمته..

أي أنه روح خلقه الله بحكمته، و اختاره و اصطفاه، و أضافه إلى نفسه، من بين سائر الأرواح.

و هو كلمة الله أيضاً؛ لأنّه ولد من غير أب، بل بواسطة كلمته، وهي قوله تعالى: كُنْ.. فكان.

فإن كان عيسى «عليه السلام» روحًا مخلوقاً لله عز و جل، بواسطة أمره التكويني. وإنما أمره إذا أراد الله مثناً أن يقول له كُنْ فيكون [\(1\)](#). فهو مخلوق محدث، لا يحمل أي عنصر إلهي، وهذا بالذات هو ما تقضى به العقول، و تهدي إلى الفطرة السليمة و الصافية..

ص: 43

---

1- الآية 82 من سورة يس.

ثم إنه «صلى الله عليه وآله» قد شهد لمريم بثلاثة أوصاف هي:

1-البتول: وتعني: المرأة المتبتلة التي قررت الانقطاع عن الرجال، من حيث إنها تلتزم العفة والعصمة عن كل ما لا يرضاه الله في هذا الإتجاه، أو المقطعة إلى الله تعالى عن الدنيا وزينتها، أو كما قال أحمد بن حنبل: «لانقطاعها عن نساء أهل زمانها، ونساء الأمة عفاف، وفضلا، ودينا، وحسبا» [\(1\)](#).

فعن علي «عليه السلام» : أن النبي «صلى الله عليه وآله» سئل ما البتول، فإنما سمعناك يا رسول الله تقول: إن مريم بتول، وفاطمة بتول؟

فقال «صلى الله عليه وآله» : البتول التي لم تر حمرة فقط. أي لم تحضر فان الحيض مكرود في بنات الأنبياء [\(2\)](#).

ص: 44

---

1- راجع: لسان العرب {نشر أدب الحوزة-قم} ج 11 ص 34 مادة: بتل. وراجع: النهاية في اللغة، مادة بتل أيضا. والكافي ج 5 ص 509 و معاني الأخبار ص 64 والمزار الكبير لابن المشهدى ص 78 والبحار ج 6 ص 64 وج 14 ص 300 وج 43 ص 15 وعن ج 97 ص 201 و مکاتب الرسول ج 2 ص 435 و تحفة الأحوذى ج 4 ص 171 و اللمعة البيضاء ص 203 و بيت الأحزان ص 26 و السيدة فاطمة الزهراء للبيومى ص 109.

2- علل الشرائع ج 1 ص 181 و معاني الأخبار للصدقى ص 64 و مشرق الشمس للبهائى العاملى ص 325 و روضة الوعاظين ص 149 و مستدرک الوسائل ج 2 ص 37 و دلائل الإمامة ص 150 و مستدرک سفينة البحار ج 1 ص 277 و البحار ج 43 ص 15 و 16 وج 78 ص 112 و مکاتب الرسول ج 2 ص 435 و كشف الغمة ج 2 ص 92.

والبٰل: القطع، ومنه قيل لمریم: البٰل و لفاطمة «عليها السلام» ، لانقطاعها عن نساء زمانها، دینا و فضلا، و رغبة في الآخرة [\(1\)](#).

والتبٰل: الانقطاع إلى عبادة الله [\(2\)](#).

و امرأة متبٰلة: كل جزء منها يقوم بنفسه في الحسن [\(3\)](#).

و قيل لفاطمة البٰل: لانقطاعها عن الأزواج غير علي «عليها السلام» أو لانقطاعها عن نظرائها في الحسن و الشرف [\(4\)](#).

أو لأنها تبتلت عن النظير [\(5\)](#).

2-الطيبة: أي الطاهرة التي صرَّح اللّه تعالى بظهورتها، عما نسبه اليهود إليها حين قالوا لها: يَا أَخْتَ هَارُونَ مَا كُانَ أَبُوكِ إِمْرَأًا سَوْءً وَ مَا كَانَتْ أُمُّكِ بَعِيًّا [\(6\)](#).

وقال تعالى: وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ إِصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَإِصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ [\(7\)](#).

3-الحصينة: وهي المرأة العفيفة-المتشددة في عفتها، المتنمرة بها، كما

ص: 45

---

1- سبل السلام لابن حجر ج 3 ص 111 و شرح مسلم للنووي ج 9 ص 176.

2- الكافي هامش ج 2 ص 379 و من لا يحضره الفقيه ج 1 ص 57 والتبيان ج 10 ص 164 والجامع لأحكام القرآن ج 19 ص 44.

3- رسائل المرتضى ج 4 ص 85.

4- فتح الباري ج 9 ص 96.

5- مکاتیب الرسول ج 2 ص 435 عن ابن الهروي.

6- الآية 28 من سورة مریم.

7- الآية 42 من سورة آل عمران.

يتمكن المحارب في حصنه .

### فخلقه من روحه و نفخه:

وبعد التلويع جاء التصريح: بأن عيسى «عليه السلام» مخلوق محدث، وأن الله سبحانه قد خلقه من روح اختاره و اصطفاه، و نسبه إلى نفسه كما ينسب الشيء إلى مالكه و صاحبه، فيقال: بيته، و قميصه، و نحو ذلك .

ثم بين كيفية هذا الخلق وأنه بنفخ الروح فيه بعد تكونه في بطن أمه مريم جنينا كاملاً .

### كما خلق آدم عليه السلام بيده و نفخه:

ثم بالغ في تحديد كيفية الخلق وأسبابه وشُؤونه حين قرر: أن خلقه مثل خلق آدم «عليه السلام»، فإن الله تعالى خلقه بيده، أي بقدرته التي يعبر عنها باليد، كما قال تعالى: يَأْذُنُ اللَّهُ فَرَقَ أَيْدِيهِمْ (١). أي أن قدرة الله وبطشه فوق قدرتهم وبطشهم، ولكن بما أن البطش، وإعمال القدرة إنما يكون بواسطة اليد؛ فإنه تعالى أورد هذه الكلمة أيضاً إمعاناً في تجسيد المعنى إلى حد أصبح شيئاً يناله الإنسان بحواسه الظاهرة. فقد تجلت القدرة وتجسدت آثارها حتى أصبحت وكأنها يد ظاهرة للعيان .

ثم أشار إلى كيفية حلول الروح في جسد آدم وعيسى «عليهما السلام» ، وقال: إن ذلك قد جاء بطريقة النفخ، الذي هو عبارة عن الإيجاد و التكوين المباشر في داخل الجسد نفسه .

ص: 46

---

1- الآية 10 من سورة الفتح.

## الموالاة على طاعة الله عز و جل:

وبعد أن دعا النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» النجاشي إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وقد تحدثنا عن هذه الشهادة حين الكلام عن رسالته «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» لكسرى-طلب منه الم الولاية على طاعة الله سبحانه. فيكون بذلك قد حدد المنطلق والإطار للعلاقة الروحية، وطريقة تعامله مع جميع البشر ويدخل في هذا السياق إرشاد الناس إلى المعايير، والضوابط، من خلال المبادرة منه «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» نفسه إلى التعامل مع الناس على أساسها، ومن خلالها، ويسوّقهم بذلك إلى السعي للحصول على وضوح الرؤية، والاستفادة من جميع القدرات، والطاقات التي زودهم الله تعالى بها بصورة صحيحة..

ولا يكل ذلك إلى الأهواء والميول، ونزوارات الغرائز، وهذا النهج من شأنه إذا اتبعوه: أن يخرجهم من العشوائية والإبهام، والغموض، إلى آفاق بالغة الصفاء، شديدة الوضوح، ففقا لقوله تعالى: وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا إِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ [\(1\)](#).

وقال: لِيَهِلَّكَ مَنْ هَلَّكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْبِي مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ [\(2\)](#).

وقال أيضاً: أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ رُزِّقَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ [\(3\)](#).

والآيات المشيرة إلى هذا المعنى كثيرة..

ص: 47

---

-1 الآية 52 من سورة الشورى.

-2 الآية 42 من سورة الأنفال.

-3 الآية 14 من سورة محمد.

وبعد ذكر أمور أخرى-أشرنا إلى بعض دلالاتها حين تكلمنا عن رسالته «صلى الله عليه و آله» إلى كسرى-قال «صلى الله عليه و آله» للنجاشي: «و إنني أدعوك و جنودك إلى الله عز وجل..».

والأمر الشائع بين الناس هو خضوع الجنادل لقادتهم ولملوكيهم فيما يعرضونه عليهم، حيث يكون كل همهم وسعهم محصورا في تنفيذ أوامرهם، والكون رهن إشارتهم في إقامة صرح العدل، أو في إشاعة الذل والظلم والتعدى على حد سواء..

ومن الواضح: أن الجنود هم الأداة التي يعتمد عليها الملوك في بسط سلطانهم ونفوذهم، وبهم يوسعون دائرة حكمهم، وهم الأدوات التي يستفيدون منها في قهر الناس، وفي ظلمهم وابتزاز حقوقهم..

ولكن رسول الله «صلى الله عليه و آله» . . . قد وجه خطابه إلى هؤلاء بالاستقلال عن قائدتهم النجاشي، ليثير لديهم الإحساس بهذه الاستقلالية، ولإفهامهم أن هناك أمورا لا يجوز لأحد أن يقررها لهم، أو أن ينوب عنهم فيها. ومن ذلك معرفة الله سبحانه و الخضراع له، واعتراف بالأنبياء المرسلين و الطاعة لهم، والعمل بأحكامه تعالى و شرائعه، والالتزام بأوامره و نواهيه.

ويلاحظ: أنه «صلى الله عليه و آله» لم يذكر ذلك في كتابه لكسرى وقيصر، والمقوقس؛ لأنه كان عارفا بأنهم سوف يستكبرون عن قبول دعوته، فضلا عن أن يفسحوا المجال للدعوة أي كان من الناس إلى دين الحق، فكيف إن كانوا من جندهم الذين يعتمدون عليهم في استمرار

سلطهم على الآخرين، ويستخدمونهم بمثابة أدوات للبطش، والإذلال والقهر والعدوان على الناس.

هذا. . وليس في الرسالة: أن على النجاشي إثم أحد من الناس، بخلاف رسالة كسرى وقيصر والمقوس؛ فإنه قد حملهم إثم أقوامهم في صورة عدم قبولهم دعوته. .







## كتاب النبي صلى الله عليه و آله إلى النجاشي الثاني:

تقدم: أن الرسول «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» قد كتب في سنة ست أو سبع إلى كسرى و قيسار، و النجاشي، و المقوقس، و غيرهم بنسخة واحدة، يدعوهم فيها إلى الإسلام، وفي هذه الكتب كلها كتب الآية المباركة: قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٌ يَبْيَنُّونَا وَبَيْنَكُمْ أَلَا نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهُ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلُّوْا فَقُولُوا إِشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ.

ونص كتابه إلى هؤلاء، واحد كما تقدم. . وهو يختلف عن النص الذي قدمنا: أنه «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» قد كتبه للنجاشي الأول.

والنص الذي ذكرناه يدل: على أن ذلك الكتاب قد أرسل إلى النجاشي الأول حين هجرة جعفر و المسلمين إلى الحبشة، مما يدل على: أن الذي كتبه في سنة سبع كان موجهاً إلى نجاشي آخر غير النجاشي الأول، فلاحظ ما يلي:

1- قول أنس: «إن النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» كتب إلى كسرى و إلى قيسار، و إلى النجاشي، و إلى كل جبار يدعوهم إلى الله تعالى، وليس

بالنجاشي الذي صلى عليه النبي «صلى الله عليه وآله» ..[\(1\)](#).

2- إن النجاشي الأول الذي مدحه النبي «صلى الله عليه وآله» ، و هاجر إليه المسلمين قد أسلم على يد جعفر بن أبي طالب وآمن به «صلى الله عليه وآله» ، وقد روي عن الحسن بن علي العسكري «عليهمما السلام» عن آبائه «عليهم السلام» : «أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لما أتاه جبرئيل «عليه السلام» ب Buckley النجاشي بكى بقاء الحزين عليه، وقال: إن أحكام أصحمة-و هو اسم النجاشي-مات، ثم خرج إلى الجبانة وصلى عليه وكبر سبعا، فخضن الله له كل مرتفع حتى رأى جنازته وهو بالحبشة [\(2\)](#). و كان ذلك من معجزاته «صلى الله عليه وآله» .

ص: 54

---

1- الدر المتنور ج 3 ص 7 عن أبي الشيخ، و ابن مردويه، وعن صحيح مسلم، والجامع الصحيح للترمذى ج 5 ص 68 و مكاتيب الرسول ج 2 ص 437 و ميزان الحكمـة ج 4 ص 3214 و صحيح مسلم ج 5 ص 166 و شرح مسلم للنووى ج 12 ص 112 و نصب الراية ج 6 ص 559 و فتح القدير ج 2 ص 106 و عن البداية والنهاية ج 4 ص 299 و السيرة النبوية لابن كثير ج 3 ص 494 و سبل الهدى و الرشاد ج 11 ص 345.

2- راجع: البحار ج 18 ص 418 و ج 78 ص 348 والأقطاب الفقهية لابن أبي جمهور ص 65 و عيون أخبار الرضا ج 2 ص 252 و الخصال ص 359 و 360 باب السبعة حديث رقم 47 و الوسائل {ط مؤسسة أهل البيت} ج 3 ص 107 و مستدرک الوسائل ج 2 ص 275 و مستدرک سفينة البحار ج 9 ص 541 و مسند الإمام الرضا ج 2 ص 417 و عوالى الالاكي ج 2 ص 60 و راجع: المناقب لابن شهر آشوب ج 1 ص 146 و مجمع البيان ج 2 ص 561 و الكشاف {ط سنة 1406 هـ} ج 1 ص 459.

أما الذي كتب إليه حين كتب إلى الملوك والجبارين فهو النجاشي الثاني الذي استولى على السلطة بعد وفاة النجاشي الأول.

وقد زعموا: أنه هو الذي خرق كتاب رسول الله «صلى الله عليه وآلها»، وأنه «صلى الله عليه وآلها» قال: «إني كتبت بكتابي إلى النجاشي فخرقه، والله مخرق ملكه» [\(1\)](#).

ونحن نقول:

إن ذلك غير دقيق، فإن الظاهر هو: أن هناك ملوكاً ثلاثة من ملوك الحبشة كلهم عاصر رسول الله «صلى الله عليه وآلها»، وسيوضح ذلك فيما يأتي.

### النجاشي ثلاثة، أسلم منهم اثنان:

بل إننا نستقرب: أن يكون ثلاثة من ملوك الحبشة قد عاصروا رسول الله «صلى الله عليه وآلها»، وقد كاتبهم «صلى الله عليه وآلها» جميعاً، وهم:

1- النجاشي الأول، الذي أرسل النبي «صلى الله عليه وآلها» إليه جعفر، وأرسل إليه الرسالة الأولى التي قدمناها وشرحناها، وقد أسلم هذا وأمن..

ص: 55

---

1- راجع: مسنن أحمد ج 4 ص 75 و تهذيب تاريخ ابن عساكر ج 1 ص 114 و حياة الصحابة ج 1 ص 107 و نصب الراية ج 4 ص 418

وراجع: مجمع الزوائد ج 8 ص 235 و المنتظم ج 3 ص 289 و مكاتيب الرسول ج 2 ص 416 و كنز العمال ج 1 ص 268 وعن البداية

والنهاية ج 5 ص 20 و السيرة النبوية لابن كثير ج 4 ص 28 و سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 458 وج 11 ص 355.

2-النجاشي الثاني، الذي مات حين زواج النبي «صلى الله عليه وآله» بأم سلمة، في أول الهجرة. حسبما ورد في الرواية المتقدمة.

والظاهر من رواية أنس المتقدمة: أنه توفي قبل سنة ست أو سبع، أي قبل كتابة النبي «صلى الله عليه وآله» إلى الملوك والجبارين.

فقول من قال: إنه مات سنة تسع، أو بعد غزوة مؤتة، أو سنة ثمان [\(1\)](#)، لا مجال لقبوله..

وربما يكون القول بوفاته سنة تسع ناشئاً عن الاشتباه في قراءة الكلمة، حيث يكثر تصحيف كلمة {سبع} بكلمة {تسعة} بسبب اتحادهما في الشكل مع عدم وجود النقط في الحروف في تلك العصور..

والحاصل: أن النجاشي الأول رحمه الله قد مات-على ما يظهر-في أول الهجرة، والنحاشي الثاني مات في سنة سبع، أو في آخر سنة ست، ثم تولى الحكم بعده النجاشي الثالث، فكتب إليه «صلى الله عليه وآله» ، فخرق الكتاب، وأخبر «صلى الله عليه وآله» بتخريق ملكه..

ومما يدل على موت النجاشي الأول في أوائل الهجرة: أن أم كلثوم

ص: 56

---

1- راجع هذه الأقوال في: البداية والنهاية ج 4 ص 277 وأسد الغابة ج 1 ص 99 والإصابة ج 1 ص 109 و تاريخ الخميس ج 2 ص 30 والبحار ج 21 ص 368 وعن العبر وديوان المبتدأ والخبر ج 2 ص 826 والكامل ج 2 ص 293 وراجع: عمدة القاري ج 17 ص 15 وفتح الباري ج 7 ص 146 وعن تاريخ الأمم والملوك. ج 3 ص 122 ومرآة الجنان ج 1 حوادث سنة تسع، وزاد المعاد ج 3 ص 60 و مکاتیب الرسول ج 2 ص 438 عنهم، وعن السیرة النبویة لدحلان ج 3 ص 69 وعن السیرة الحلبیة ج 3 ص 180 وغير ذلك كثیر.

قالت: «لما بنى النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» ، قال:

«قد أهديت إلى النجاشي أوراقا من مسك و حلية، وإنني لأراه قد مات. ولا أرى الهدية إلا سترد علىّ..» فكان كما قال [\(1\)](#).

وكان زواج النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» بأم سلمة في السنة الرابعة [\(2\)](#).

وقيل: في السنة الثالثة [\(3\)](#) أو في الثانية [\(4\)](#).

ص: 57

1- مجمع الزوائد ج 8 ص 289 وراجع: المعجم الكبير ج 25 ص 81 وج 23 ص 353 و مكاتيب الرسول ج 2 ص 439 وعن البداية والنهاية ج 4 ص 317 و السيرة النبوية لابن كثير ج 3 ص 525 والخلاف والوفاق لعلي بن محمد القمي ص 370 عن الخلاف ج 3 ص 555 والإقناع للحجاوي ج 2 ص 32 و مغني المحتاج لشرييني ج 2 ص 400 وإعanaة الطالبين ج 3 ص 175 و دلائل النبوة ص 150 و سير أعلام النبلاء ج 2 ص 109 والطبقات الكبرى ج 8 ص 95 والأحاديث المثنوي ج 6 ص 226.

2- الإصابة ج 4 ص 458 والبداية والنهاية ج 4 ص 9 وراجع: تاريخ الأمم والملوك ج 2 ص 230 وتنقية المقال ج 3 ص 72 والتبيه والإشراف ص 213 و سيرة مغلطاي ص 55 والإستيعاب {مطبوع مع الإصابة} ج 4 ص 421 و 422 و سير أعلام النبلاء ج 16 ص 100 و شرح مسندي أبي حنيفة ص 203 والطبقات الكبرى {ط دار صادر} ج 8 ص 217 و معرفة الثقات ج 1 ص 97 وعن أسد الغابة ج 3 ص 196.

3- راجع: المغازي للواقدي ج 1 ص 344 والطبقات الكبرى ج 8 ص 87 و معرفة الثقات ج 1 ص 97 وعن فتح الباري ج 1 ص 324 و سير أعلام النبلاء ج 16 ص 100.

4- راجع: تنقية المقال ج 3 ص 72 وتاريخ الخميس ج 1 ص 466 و سيرة مغلطاي ص 55 و المستدرک للحاکم ج 4 ص 3 و سبل الهدى والرشاد ج 11 ص 145 و تاريخ مدينة دمشق ج 3 ص 208.

فلما مات النجاشي الأول تولى العهد بعده النجاشي الثاني، فراسله أيضا رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ودعاه إلى الإسلام، فأسلم أيضا. كما دلت عليه رواية زرار، عن أبي جعفر عليه السلام: أنه «كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعث قبل أن يسير إلى خير عمرو بن أمية الصمرى إلى النجاشي عظيم الحبشة، ودعاه إلى الإسلام، وكان أمر عمروا أن يتقدم بجعفر وأصحابه. فجهز النجاشي جعفرا وأصحابه بجهاز حسن، وأمر لهم بكسوة، وحملهم في سفينتين» [\(1\)](#).

ولعل هذا هو الذي مات آخر سنة ست، أو في أول سنة سبع، والظاهر: أنه هو الذي أرسل وFDA إلى المدينة للتحقيق في أمر نبوة رسول الله «صلى الله عليه وآله» [\(2\)](#).

كما أنه هو الذي كتب إليه النبي «صلى الله عليه وآله» في تزويع أم حبيبة، فزوجه إليها، وأصدقها النجاشي نفسه أربعة آلاف درهم [\(3\)](#).

ص: 58

---

1- راجع: إعلام الورى ج 1 ص 210 و البخاري ج 21 ص 23 و مكاتيب الرسول ج 2 ص 445 و الطبقات الكبرى ج 1 ص 258 و تاريخ مدينة دمشق ج 45 ص 430.

2- الدر المنشور ج 2 ص 302 و البداية والنهاية ج 3 ص 18 و إعلام الورى ص 6 و تفسير الميزان ج 6 ص 85 وأسباب نزول الآيات ص 137 وزاد المسير ج 2 ص 310 و تفسير الجلالين ص 350 و لباب النقول ص 84 وفتح القدير ج 2 ص 69.

3- الوسائل ج 15 ص 6 والكافي ج 5 ص 282 و المحاسن للبرقي ص 240 و مرآة العقول ج 20 ص 111 و من لا يحضره الفقيه ج 3 ص 473 و علل الشرائع ج 2 ص 500 و مكارم الأخلاق ص 236 و عن البخاري ج 100 ص 349 و عن سنن أبي داود ج 1 ص 468 و سنن النسائي ج 6 ص 119 و عنون المعبد ج 6 ص 95 و مسنند ابن راهويه ج 4 ص 27 و السنن الكبرى للنسائي ج 3 ص 315 و المنتقى من السنن المسندة ص 179 و كشف الخفاء ج 1 ص 388 و دفع شبهة التشبيه لابن الجوزي ص 53 و تاريخ مدينة دمشق ج 69 ص 136 و تهذيب الكمال ج 1 ص 204 و سير أعلام النبلاء ج 1 ص 442 وج 2 ص 221 وج 7 ص 138 و السيرة النبوية لابن كثير ج 3 ص 273 و سبل الهدى والرشاد ج 11 ص 194.

3-النجاشي الثالث: وهو الذي نص كتابه يتوافق مع نص كتابه «صلى الله عليه وآله» لكسرى، وقىصر، والمقوقس، وفيه آية الكلمة السواء، ولم يسلم هذا، بل مزق-هذا الحديث-كتاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» ، فأخبر «صلى الله عليه وآله» : أن الله سيمزق ملكه، حسبما تقدم.

### النجاشي يموت و هو مهاجر:

وقد ذكر القمي: أن النجاشي وفد على رسول الله «صلى الله عليه وآله» ، فلما عبر البحر توفي رحمه الله تعالى [\(1\)](#).  
ويحتمل أن يكون المقصود بهذا الكلام هو النجاشي الأول، ويحتمل أن يكون المقصود هو الثاني، ولم نستطع أن نتحقق من هذا الأمر و زمانه، بسبب قلة النصوص.

ص: 59

---

1-البحار ج 18 ص 416 و مكاتيب الرسول ج 2 ص 452 عن ناسخ التواريخ، ترجمة رسول الله «صلى الله عليه وآله» ص 273 و مدينة البلاغة ج 2 ص 244 و ميزان الحكمة ج 4 ص 3426 و تفسير القمي ج 1 ص 179 و التفسير الصافي ج 2 ص 79 و التفسير الأصفى ج 1 ص 292 و نور الثقلين ج 1 ص 664.

و مما يدل على مدى محبة النجاشي لرسول الله «صلى الله عليه و آله» و اهتمامه بظهور أمره، و إعزاز دينه، ما روي عن أبي عبد الله «عليه السلام» قال: «أرسل النجاشي إلى جعفر بن أبي طالب وأصحابه، فدخلوا عليه، وهو في بيته جالس على التراب، و عليه خلقان الشياطين.

قال: فقال جعفر «عليه السلام» : فأشفقنا منه حين رأيناها على تلك الحال، فلما رأى ما بنا، و تغير وجوهنا قال:

الحمد لله الذي نصر محمدا، و أقر عينه، ألا أبشركم؟

فقلت: بلـ أيـها الـمـلـك.

قال: إنه جاءني الساعة من نحو أرضكم عين من عيوني هناك، فأخبرني أن الله عز وجل قد نصر نبيه محمدا «صلى الله عليه و آله» ، و أهلك عدوه، و أسر فلان و فلان، التقوا بواحد يقال له: بدر، كثير الأراك، لكنني أنظر إليه حيث كنت أرعى لسيدي هناك، و هو رجل من بني ضمرة.

قال له جعفر: أيـها الـمـلـك، فـما لـي أـرـاك جـالـسا عـلـى التـرـاب، و عـلـيك هـذـه الـخـلـقـان؟

قال له: يا جعفر، إنـا نـجـدـ فـيـمـا أـنـزـلـ اللـهـ عـلـى عـيـسـىـ «عليـهـ السـلـامـ» : أـنـ مـنـ حـقـ اللـهـ عـلـى عـبـادـ أـنـ يـحـدـثـ لـهـ تـوـاضـعـاـعـنـدـ مـا يـحـدـثـ لـهـ مـنـ نـعـمـةـ، فـلـمـا أـحـدـثـ اللـهـ عـزـ وـ جـلـ لـيـ نـعـمـةـ بـمـحـمـدـ «صلـىـ اللـهـ عـلـىـ وـ آـلـهـ»ـ أـحـدـثـ لـهـ هـذـاـ التـوـاضـعـ.

فلما بلـغـ ذـلـكـ النـبـيـ «صلـىـ اللـهـ عـلـىـ وـ آـلـهـ»ـ قـالـ لـأـصـحـابـهـ: إـنـ الصـدـقـةـ تـزـيدـ صـاحـبـهـاـ كـثـرـةـ، فـتـصـدـقـواـ يـرـحـمـكـمـ اللـهـ، وـ إـنـ التـوـاضـعـ يـزـيدـ صـاحـبـهـ رـفـعـةـ،

فتواضعوا يرفعكم الله، وإن العفو يزيد صاحبه عز، فاعفوا يعزكم الله»<sup>(1)</sup>.

### كتابه صلى الله عليه و آله إلى النجاشي الثالث:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»

هذا كتاب من محمد رسول الله، إلى النجاشي الأصحح عظيم الحبسنة.

سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لم يتخذ صاحبة ولا ولدا، وأن محمدا عبده ورسوله، وأدعوك بدعاه الله، فإني أنا رسوله، فأسلم تسلما. يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلامة سواء بيننا وبينكم لا نعبد إلا الله ولا نشترك به شيئاً و لا يتخذ بعضنا بعضاً أبداً من دون الله فإن ترددوا فقولوا إشهادوا بذات مسلمون، فإن أليت فعليك إثم النصارى من قومك»<sup>(2)</sup>.

ص: 61

1- راجع: مكاتيب الرسول ج 2 ص 454 عن الكافي ج 2 ص 121 وقال راجع: البحار ج 72 ص 124 وراجع شرحه هناك، ومرآة العقول ج 8 ص 243 وأمالی الشیخ ج 1 ص 13 وأمالی المفید ص 238 والبداية والنهاية ج 3 ص 307 ودلائل النبوة للبيهقي ج 2 ص 404 والوسائل {ط دار الإسلامية} ج 11 ص 218.

2- مكاتيب الرسول ج 2 ص 455 و 456 عن المصادر التالية: دلائل النبوة للبيهقي ج 2 ص 78 وفي {ط أخرى} ج 2 ص 308 وزيني دحلان هامش الحلبيه ج 3 ص 69 والبداية والنهاية ج 3 ص 83 عن البيهقي في الدلائل، ورسالات نبوية ص 291 وسيرة ابن إسحاق {الجزء المطبوع} ص 210 وفي {ط أخرى} ص 228 والمستدرک للحاکم ج 2 ص 623 و الوثائق: 103/22 قال: وقابل إعلام السائلين، وشرح الموهاب للزرقاني ج 3 ص 346 ونشأة الدولة الإسلامية ص 302 والأموال لأبي عبيد ص 34 وتاريخ الأمم والملوک ج 2 ق 2 ص 36 والسيرة النبوية لابن هشام ج 2 ص 41.

وبيدو كما قلنا: أن المقصود بالنجاشي هنا: هو النجاشي الثالث الذي خرق كتاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» حسبما أوضحته آنفا.

هذا. . وقد شرحتنا مضمون هذا الكتاب، حين تكلّمنا عن كتابه «صلى الله عليه وآله» لكسري، فيمكن الرجوع إلى هناك.

وحسينا ما ذكرناه في هذا السياق، ولنتنقل إلى الحديث عن غزوة خير في الفصول التالية:

الفصل الأول: من المدينة. . إلى خير الفصل الثاني: قبل أن يبدأ القتال الفصل الثالث: فتح حصن ناعم الفصل الرابع: فتح سائر حصون النطاء والشق

ص: 63







فقد كانت هدنة الحديبية قد أعطت الانطباع بأن المسلمين قد أصبحوا قوة كبيرة، فرضوا هيبيتهم في المنطقة بأسرها. . الأمر الذي دعا قريشا إلى القبول بالهدنة، بعد أن أنهكتها الحروب المتالية معهم. .

بل إنه «صلى الله عليه وآله» أصبح يعمل على نشر دعوته في كل بقاع الدنيا، وهو يرسل إلى أعظم ملوك الأرض- طالبا منهم الدخول في دينه- في خطاب قوي و حازم.

ولم يعد في المحيط الذي يعيش فيه قوة كبيرة متماسكة، يمكن أن يحسب لها حساب، إلا يهود منطقة خير، الذين كانوا قادرين على تجهيز عشرة آلاف مقاتل، بل أكثر من ذلك. وهي قوة لا يستهان بها، إذ لديهم حصون منيعة، وقدرات اقتصادية، ولسوف تكون المواجهة صعبة معهم، ولا سيما إذا أرادوا اتباع أسلوب التسويف، وإتلاف الوقت، بالاستفادة من الحصون الكثيرة التي تحت يدهم، التي كان فيها من المؤن، والأقوات ما يكفي لأشهر طويلة.

وليبقى الجيش الإسلامي، الذي لم يكن يملك الكثير من ذلك، ليبقى في العراء يعيش الملل، ويكابد لحظات الانتظار الطويلة، و الثقلية، دون أن

تلوح له في الأفق بارقة أمل، وليرهقه الخمول والكسل، حيث لا مجال له للقيام بأي عمل..

وكان استعراضات يهود خير لقوتهم، وظهور اغترارهم بها، ورکونهم إليها، قد لفتت الأنظار، ولعلها تركت آثاراً على بعض الضعفاء في المنطقة، مثل غطfan، وسواها.

ولكن الأمور قد سارت في غير الاتجاه الذي توقعوه، إذ سرعان ما تهاوت أحالمهم، ودكت حصونهم، وخابت آمالهم، وأنجز الله تعالى لنبيه وعده، ونصر جنده، وهزم جموع اليهود وحده، وكانت كلمة الله هي العليا، وكلمة الباطل هي السفلة. كما سنبينه في سياق حديثنا هذا.

### بداية:

إن الذي يراجع المصادر والموسوعات التاريخية، والحديثية، يلاحظ: أن ثمة فرقاً بين ما ذُوّنوه من أحداث، وأشاروا إليه من جزئيات وتفاصيل في تاريخهم لمراحل ما قبل الحديبية وخير، ثم في تاريخهم للحدبية ولخير فيما بعدهما..

حيث يلاحظ: أن المرحلة السابقة تعرض فيها الأحداث بما لها من طابع كلي وعام، ولا تجد فيها من الاستغراف في الجزئيات والتفاصيل ما يقترب إلى مستوى ما حفلت به الأحداث المتأخرة عن الحديبية..

ولعل من أسباب ذلك هو: أن الحديبية قد أفسحت المجال لاختلاط المسلمين مع غيرهم في التجارات، وإنشاء العلاقات، وجهل بالإسلام من كان متستراً به، ودخلت فئات كثيرة في هذا الدين، أو كانت تتهيأ لذلك،

وهي تقوم برصد حركة الواقع، وبملاحة الأمور بعين الرضا والقبول. إما بهدف تحصيل القناعة والاعتقاد التام، أو من أجل الحفاظ على المصالح، والحصول على الامتيازات، أو ما إلى ذلك.

وبعد وفاة رسول الله «صلى الله عليه وآله» حاول كل أولئك الذين ي يريدون أن يبرروا لمواقف وسياسات، وممارسات، وأقوال، ومذاهب بعینها-حاولوا-أن يرجعوا إلى هذه الفترة التي عاشوها مع رسول الله «صلى الله عليه وآله»، واستفادوا من مشاهداتهم لحركاته وسكناته، وموافقه، وكل أحواله منها، فاتخذوا منها مرجعاً لإنشاء منظومة التعاليم والتوجيهات والسياسات، والمذاهب الاعتقادية، والفقهية، التي لم تكن لتجد طريقها إلى عقل، ووجدان وحياة الناس لو لم تستمد شرعيتها من حياته «صلى الله عليه وآله»، ومن أقواله، وأفعاله، وموافقه.

أما الفترة التي سبقت هذا المفصل التاريخي فقد غاب عنها أكثر هؤلاء، وجهلوا الكثير من جزئياتها وتفاصيلها، فأنتج ذلك عجزاً عن التوصل بها في إنشاء تلك المنظومة، وفق ما يريدون، وعلى حسب ما يشتهون.

وبعد هذه الإلماحة السريعة نقول:

### ماذا عن خير؟

خير اسم منطقة تقع على ثلاثة أيام من المدينة، على يسار الحاج القادم من الشام. وبينها وبين المدينة ثمانية برد {والبريد أربعة فراسخ، والفرسخ ثلاثة أميال، وكل ميل أربعة آلاف خطوة، وكل خطوة ثلاثة أقدام} .

والخير بلسان اليهود: هو الحصن، ولذا سميت خيابر أيضاً[\(1\)](#).

وفي هذه المنطقة حصون و مزارع، و نخل كثير، حتى قالوا: كان في الكتبية، أربعون ألف عنق. و توصف خير بكثرة التمر[\(2\)](#).

وفي خير ثمانية حصون، هي: النطة، والوطيع، والسلام، والكتيبة، والشق، والصعب، وناعم، والقموص.

قال الماوردي وغيره: «وكان أول حصن فتحه رسول الله «صلى الله عليه وآله» فيها ناعم، ثم القموص، ثم حصن الصعب بن معاذ. و كان أعظم حصون خير، وأكثرها مالا، وطعاما، وحيوانا، ثم الشق، والنطة، والكتيبة.

فهذه الحصون الستة فتحتها النبي «صلى الله عليه وآله» عنوة، ثم افتتح الوطيع والسلام، وهو آخر فتوح خير صلحا. بعد أن حاصرهم.

وملك من هذه الحصون الثمانية ثلاثة حصون: الكتبية، والوطيع، والسلام. أما الكتبية، فأخذها بخمس الغينية، وأما الوطيع والسلام فهما مما أفاء الله عليه؛ لأنَّه فتحهما صلحا، فصارت هذه الحصون الثلاثة بالفيء[\(3\)](#).

ص: 70

---

1- راجع: تاريخ الخميس ج 2 ص 42 و راجع: تهذيب المقال ج 5 ص 421 و تاج العروس ج 3 ص 168.

2- راجع: السيرة الحلبية ج 3 ص 31 و سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 152 و وفاء الوفاء ج 4 ص 1210.

3- الأحكام السلطانية ج 1 ص 200 و راجع: المغازى للواقدي ج 2 ص 670 و 671 و وفاء الوفاء ج 4 ص 1209 و عمدة الأخبار ص 315 و تاريخ الأمم والملوك ج 2 ص 302 و الكامل في التاريخ ج 2 ص 221 و السيرة الحلبية ج 3 ص و السيرة النبوية لدحلان {مطبوع مع الحلبية} ج 3 ص و السيرة النبوية لأبن هشام ج 3 ص 351.

ولكن هذا الكلام الأخير غير مقبول في فقه أهل البيت «عليهم السلام»، وسيأتي البحث عن ذلك إن شاء الله. كما أن ما ذكره: من أن فتح حصن الصعب قد كان بعد فتح حصن القموص غير دقيق، كما سند ذكره إن شاء الله تعالى.

### خبير مقدسة!

قال الصالحي الشامي: «ولابن زبالة حديث: «ميلان في ميل من خبير مقدس».

و الحديث: «خبير مقدسة و السوارقية مؤتفكة».

و الحديث: «نعم القرية في سنين الدجال خبير» .[\(1\)](#) ..[\(2\)](#)

والسوارقية: «قرية أبي بكر، بين مكة والمدينة، وهي نجدية، فيها مزارع ونخل كثير» .[\(2\)](#)

ونقول:

إن الحديث عن كون خبير نعم القرية في زمن الدجال موضع ريب

ص: 71

- 
- 1- راجع ما تقدم: في سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 152 ووفاء الوفاء ج 4 ص 1210.
  - 2- مراصد الاطلاع ج 2 ص 751 ووفاء الوفاء ج 4 ص 1238 ومعجم البلدان ج 3 ص 276.

وشك، ولعله من أفائق اليهود أنفسهم.

إلا أن يكون المقصود بهذا الحديث: أنها تكون موضعاً مأموناً، بسبب وجود سبعين ألفاً من اليهود مع الدجال، على كل رجل منهم ساج و سيف محلٍ<sup>(1)</sup>.

ومن الطبيعي: أن يهتم اليهود خيير بأمر الدجال، ما دام أن الدجال يأمر بأوامرهم، وينتهي إلى مقاصدهم.

وربما تكون هذه الأحاديث من موضوعات اليهود لتعظيم البلاد التي كانوا يسكنونها، وللإيحاء بأن حرب النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» لهم فيها كانت انتهاكاً لحرمة ما هو مقدس.

على أننا لا ندرى: ما الذي جعل قرية أبي بكر؛ «مؤتكة» أي تجعل الأفك والافتراء دون سائر القرى والله هو العالم.

### تاریخ غزوہ خیر:

لما قدم رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» إلى المدينة من الحديبية، و ذلك في ذي الحجة - كما قال ابن إسحاق - من سنة ست، مكث بها عشرين ليلة، أو قريباً منها، ثم خرج في المحرم إلى خيبر.

وكان الله عز وجل وعده إياها، وهو بالحديبية، فقد نزلت عليه سورة الفتح، فيما بين مكة والمدينة، وفيها قوله تعالى: وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَعَانِي كَثِيرَةً

ص: 72

---

1- وفاة الوفاء ج 1 ص 62 عن أحمد، و الطبراني في الأوسط، و رجال أحمد رجال الصحيح، و مسنن أحمد ج 3 ص 292 والأحاديث المثنوي ج 2 ص 449 وكتن العمال ج 12 ص 248.

تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هُنِّي (١) يعني خير (٢).

و عن ابن عباس: أقام بعد الحديبية في المدينة عشر ليال (٣).

و عن سليمان التيمي: خمسة عشر يوما (٤).

وقيل: أقام شهرا و بعض شهر (٥).

وقال مالك: كانت خير سنة ست، وإليه ذهب محمد بن حزم. والجمهور-كما في زاد المعاد-أنها في السابعة (٦).

و يمكن الجمع: بأن من أطلق سنة ست فإنما جاء كلامه بناء على ابتداء السنة من شهر الهجرة الحقيقي وهو ربيع الأول. و ابن حزم من هؤلاء أيضا، فإنه يرى: ابتداء السنة الهجرية من شهر ربيع الأول (٧).

ونقل الحلبي عن الجمهور: أنه سار إلى خير بعد أن مضى من محرم

ص: 73

---

1- الآية 20 من سورة الفتح.

2- راجع: سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 115 و 152 و 153 عن ابن عقبة، و ابن إسحاق، و راجع: السيرة الحلية ج 3 ص 31 و البحارج 21 ص 1 و تاريخ الخميس ج 2 ص 43.

3- سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 153.

4- سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 153.

5- السيرة الحلية ج 3 ص 31.

6- الإمام للمرئي ج 1 ص 310 و راجع: تاريخ الخميس ج 2 ص 42 و سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 152 و السيرة الحلية ج 3 ص 31.

7- سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 153 و راجع: تاريخ الخميس ج 2 ص 42 عن المواهب اللدنية.

السنة السابعة، عشرون يوماً، أو قريباً من ذلك [\(1\)](#).

وقال محمد بن موسى الخوارزمي: غزاها النبي ﷺ حين مضى ست سنين و ثلاثة أشهر و واحد و عشرون يوماً للهجرة [\(2\)](#).

وهذا معناه: أنها كانت في آخر جمادى الأولى، بناء على: أن أول السنة محرم، أو في آخر جمادى الثانية بناء على: أن أول السنة الهجرية هو ربيع الأول.

### في أي شهر كانت؟ !

قيل: إن غزوة خيبر كانت في شهر صفر [\(3\)](#).

وقيل: في ربيع الأول [\(4\)](#).

وقيل: في جمادى الأولى [\(5\)](#).

وقيل أيضاً: إنها في شهر رمضان [\(6\)](#).

ولعل سبب هذا القول الأخير هو: تصحيف الكلمة حنين بكلمة خيبر. فإن النبي ﷺ قد سار إلى حنين بعد الفتح، وقد كان الفتح في شهر رمضان [\(7\)](#).

ص: 74

1- السيرة الحلبية ج 3 ص 31.

2- معجم البلدان ج 2 ص 409 و 410.

3- سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 152 و 153 و المغازي للواقدي ج 2 ص 634.

4- سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 153 و راجع: المغازي للواقدي ج 2 ص 634.

5- تاريخ الخميس ج 2 ص 42.

6- سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 153.

7- راجع: سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 153.

## **مدة حصار خيبر:**

وقالوا: إنه «صلى الله عليه و آله» أقام يحاصر خيبر بضع عشرة ليلة، إلى أن فتحها في صفر [\(1\)](#).

وسيأتي: أن ذلك غير دقيق، وأن حصارها قد تعدد الأيام إلى الأشهر كما سترى، ولعله يتحدث عن حصار بعض حصونها فقط. .

## **مدة إقامته صلى الله عليه و آله في خيبر:**

وقد روي عن ابن عباس: أنه «صلى الله عليه و آله» أقام بخيبر ستة أشهر يجمع بين الصلاتين [\(2\)](#).

وعنه أيضاً: أنه أقام بها أربعين يوماً، وسنته ضعيف [\(3\)](#).

وأن حساب أيام الحصار للحصون المختلفة، وفق ما ورد في النصوص التاريخية، والرواية يعطي: أن الحصار قد دام عشرات الأيام. . وإن لم يصل إلى ستة أشهر. .

## **الاستفار إلى خيبر:**

قال الواقدي: أمر رسول الله «صلى الله عليه و آله» أصحابه بالخروج، فجدوا في ذلك، واستنفروا من حوله ممن شهد الحديبية، يغزون معه.

و جاء المخلفون عنه في غزوة الحديبية ليخرجوا معه رجاء الغنيمة،

ص: 75

1- سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 152 و تاريخ الخميس ج 2 ص 42.

2- سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 156 عن الطبراني في الأوسط.

3- سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 156 عن البيهقي.

ولأنها ريف الحجاز طعاماً وودكاً وأموالاً، فقال «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» :

«لَا تَخْرُجُوا مَعِي إِلَّا رَاغِبِينَ فِي الْجَهَادِ، فَإِنَّمَا الْغَنِيمَةُ فَلَا» [\(1\)](#).

ثم أمر منادياً ينادي بذلك، فنادى به [\(2\)](#).

و نقول:

1- إن غزوة الحديبية كانت بمثابة امتحان للكثيرين، من حيث إن نتائجها لم تكن واضحة لكثير من الناس الذين يرصدون سير الأمور فيها.

مع أن الحقيقة هي: أنه قد كان فيها ما لم يكن متوقعاً، فإن النتائج كانت باهرة على أكثر من صعيد، وفي أكثر من اتجاه.

2- و من النتائج التي ظهرت: أن النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» قد أصبح قادراً على المبادرة لإزالة الشوكة الجارحة من خاصرة الكيان الإسلامي، المتمثلة باليهود، الذين ما فتتوا يسعون في إثارة الناس ضده، ويحرضون القبائل المختلفة على حربه، ويشاركون في هذه الحروب بالمال والرجال، وإفساد القلوب، وتسميم الأجواء باستمرار.

3- إن العدو الذي كان له امتداد طبيعي في المنطقة، بسبب موقعه من المقدسات، وبسبب علاقاته، ونفوذه الديني والتجاري، والاجتماعي في المنطقة-إن هذا العدو قد لجم، وأقصى عن موقع التأثير المباشر، وتهيأت الفرصة للكثير من الناس لممارسة حرياتهم، في التعرف على دعوة الإسلام

ص: 76

---

1- سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 115 و السيرة الحلية ج 3 ص 31 والإمتناع للمقرizi ص 310 والمغازي للواقدي ج 2 ص 634.

2- السيرة الحلية ج 3 ص 31 والإمتناع للمقرizi ص 310 والمغازي للواقدي ج 2 ص 634.

عن قرب، و من دون خوف أو رهبة من أحد..

وأصبح بإمكان الكيان الإسلامي أن يرتب أوضاعه الداخلية، وأن يعالج المشاكل التي يفرضها عليه، أو يخلقها له أعداؤه الذين يعيشون في محيطه، أو في المحيط القريب منه، والشديد التأثير عليه..

4- إن الإنجاز الذي حققه المسلمون في الحديبية قد أذكى فيهم الطموح، وبعث فيهم ثقة بأنفسهم، وأعطاهم حيوية ونشاطاً غير عادي. و بدا للكثيرين منهم أن رحلتهم إلى خير كانت رحلة الاستيلاء على المغانم، والفوز بها.

وقد رسم هذا الاعتقاد لدى الكثيرين منهم الوعد الإلهي بهذه المغانم، فقد قال تعالى: **وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَعَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَلَ لَكُمْ هُنَوْهُ .**

حيث فسرت هذه الآية بما مكنهم الله تعالى منه في خير.. حسبما تقدم في أواخر الحديث عن صلح الحديبية..

5- إن ما فعله المخالفون في قضية الحديبية كان شديد الخطورة في أكثر من اتجاه، فعدا عن أنه يعبر عن ضعفهم الإيماني، وعن حبهم للدنيا، فإنه يجرئ الآخرين على ممارسة هذا الأسلوب في التعاطي مع أوامر رسول الله «صلى الله عليه وآله» ، الأمر الذي يمهد لاختلالات خطيرة، ربما تؤثر على الكيان الإسلامي كله.

6- ثم إن النداء بحرمان هؤلاء، وبتخصيص أولئك، لابد أن يثير الشعور لدى أهل الحديبية بالعزوة والكرامة، ويقابله شعور آخر بالخزي

ص: 77

---

1- الآية 20 من سورة الفتح.

وبالذنب لدى الذين تخلعوا حرصا على الحياة بالأمس، وشدوا الرحال طمعا بالغنيةمة اليوم.

وكفى بذلك محفزا لمزيد من التضحية والإقدام لأولئك، ورادعا عن تكرار ما حدث لدى هؤلاء، ودرسا لغيرهم ممن لعلهم يسيرون على نفس الطريق.

### المستخلف على المدينة:

وقال ابن هشام وغيره: إنه «صلى الله عليه وآله» استخلف على المدينة «نميلة» -بالتصغر- ابن عبد الله الليثي [\(1\)](#).

وقيل: بل استخلف سباع بن عرفطة -بضم العين و الفاء [\(2\)](#).

وقيل: أبا ذر [\(3\)](#).

ولعل سبب هذه الاختلافات الكثيرة في أمثل هذه الأمور هو: أن الرواة كانوا يروون من حفظهم، وكانت الغزوات كثيرة، والمعلومات

ص: 78

---

1- سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 115 عن ابن هشام، والسيرة الحلبية ج 3 ص 31 والإمتناع ص 310.

2- سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 115 عن أحمد، وسعيد بن منصور، والبخاري في التاريخ الصغير، وابن خزيمة، والطحاوي، والحاكم، والبيهقي عن أبي هريرة، والتاريخ الصغير ج 1 ص 43 ودلائل النبوة للبيهقي ج 4 ص 198 والسيرة الحلبية ج 3 ص 31 والإصابة ج 2 ص 13 والإمتناع ص 310 والمغازي للواقدي ج 3 ص 636 وتاريخ الخميس ج 2 ص 42.

3- الإمتناع ص 310 والمغازي للواقدي ج 2 ص 637.

غزيرة، فيتفق أن يختلط الأمر على بعض الرواية بين غزوة وأخرى .

كما أنه قد يكون هناك سياسات أو عصبيات، أو مصالح لدى بعض الفئات تفضي بإقصاء فريق، و بإعطاء الموقف، وإيكال المهام إلى فريق آخر .

### خدمة أنس للنبي صلى الله عليه و آله:

وقد ادعى أنس: أن رسول الله «صلى الله عليه و آله» قد قال لأبي طلحة، حين أراد الخروج إلى خير: التمسوالي غلاما من غلمانكم يخدموني، فخرج أبو طلحة مردفي، وأنا غلام قد راهقت، فكان رسول الله «صلى الله عليه و آله» إذا نزل خدمته، فسمعته كثيرا ما يقول: إنني أعوذ بك من الهم والحزن، والعجز والكسل، والبخل، والجبن، و ضلوع الدين، و غلبة الرجال [\(1\)](#).

و مما يؤيد أن يكون أول اتصال لأنس بالنبي «صلى الله عليه و آله» في خير: أنهم يقولون: إنه غزا مع النبي «صلى الله عليه و آله» ثمان غزوات فقط [\(2\)](#).

وهذا يكذب ما زعموه، من أن أمه أتت به إلى النبي «صلى الله عليه و آله» وقالت له: هذا غلام كاتب.

قال: فخدمته تسع سنين فما قال لشيء صنعته: أساءت، أو بئس ما

ص: 79

---

1- مسند أحمد ج 3 ص 159 و سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 115 و السنن الكبرى ج 9 ص 125 و سنن النسائي ج 8 ص 274 وعن البخاري ج 11 ص 177 {6363} و السيرة الحلبية ج 3 ص 31.

2- الإصابة ج 1 ص 71.

وفي رواية أخرى: أنها قالت: هذا أنس غلام يخدمك فاقبله.

وذكرها: أنه خرج معه «صلى الله عليه وآله» إلى بدر يخدمه (2).

نعم، وقد كان أنس يستحق هذه الأوسمة، فإنه كان على السقاية في البحرين من قبل أبي بكر (3).

وكان بيت أقاويل تقييد في تأييد خلافة مناوئي علي «عليه السلام»، ويحجب حقائق حساسة، يستفيد من حجبها، وإنكارها هذا الفريق بالذات.

فهو من أجل هذا وذاك يستحق أن ترجى له المدائح، وأن تسطر له المآثر، ليصبح كلامه أكثر وقعاً، وأعظم أثراً.

وقد استحق من جهة أخرى أن يدعو عليه أمير المؤمنين «عليه السلام» بسبب كتمانه حديث الغدير مرة وحديث الطير أخرى، ول موقفه من طلحة والزبير في حرب الجمل الثالثة، فأصيب بالبرص، وعد في جملة البرصان! (4).

ولكن كل أباطيلهم وأضاليلهم لم تستطع حجب الحقيقة، فقد روي عن الصادق «عليه السلام» أنه قال: ثلاثة كانوا يكذبون على النبي «صلى

ص: 80

---

1- أسد الغابة ج 1 ص 128.

2- السيرة الحلبية ج 3 ص 31 والإستيعاب {بها مش الإصابة} ج 1 ص 72 وراجع: الإصابة ج 1 ص 71.

3- الإصابة ج 1 ص 72.

4- راجع: اختيار معرفة الرجال {رجال الكشي} ص 45 والمعارف لابن قتيبة ص 580 والإرشاد للمفید ص 166 و 167 والخصال ص 219 والأمالي للصادق المجلس 26 ص 106 و 521 و 522.

الله عليه وآله» : أبو هريرة، وأنس بن مالك، وامرأة [\(1\)](#).

### أم سلمة في خير أيضاً:

وأخرج «صلى الله عليه وآله» معه إلى خير أم المؤمنين أم سلمة «رحمها الله» [\(2\)](#). مع أنها كانت معه في غزوة الحديبية أيضاً.

ولنا وقفة مع هذا الأمر بالذات: فإنه إذا كان «صلى الله عليه وآله» يقع بين نسائه، لتعيين التي تخرج معه في سفره كما يدعون، فإن القرعة تكون قد وقعت على أم سلمة مرتين.

وإذا كان الله تعالى يصدق نبيه «صلى الله عليه وآله» ، لتصح قرعته ما يحبه الله تعالى، أو ما فيه مصلحة لرسول الله «صلى الله عليه وآله» ، فإن هذا يدل على اجتماع هذين الأمرين معاً في حق أم سلمة رضوان الله تعالى عليها؛ فإن هذه المرأة الفاضلة، والتي هي أفضل نساء النبي «صلى الله عليه وآله» بعد خديجة، كان الله يحبها وكانت المصلحة تقتضي بأن تكون هي دون سواها معه في غزوتين هما من أخطر ما مر برسول الله «صلى الله عليه وآله» وبال المسلمين، وأشد حساسية، ويحتاج النبي «صلى الله عليه وآله» فيها إلى هدوء البال، وإلى إبعاد أي نوع من أنواع الأذى أو النكد، والمنغصات له.

ص: 81

- 
- 1- الخصال ج 1 ص 189 و 190 والإيضاح ص 541 والبحارج 2 ص 217 وج 22 ص 102 و 242 وج 31 ص 640 عن الخصال وج 108 ص 31 ومعجم رجال الحديث ج 4 ص 151 وج 11 ص 79 و مستدرک سفينة البحارج 9 ص 81.
  - 2- السيرة الحلبية ج 3 ص 31 و سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 42 و تاريخ الخميس ج 2 ص 42.

وَكَمَا كَانَ وَاصْحَا أَنَّهُ: وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةً إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ . [\(1\)](#) بل لابد من الطاعة و الإنقياد.

فإن من الواضح أيضاً: أن لا حق للنساء بمرافقتهن في السفر من الناحية الشرعية، ويستطيع الزوج أن يختار أيتهن شاء لمرافقته.. و لكن الرسول «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» التزم بالقرعة بينهن.

فذلك يعني: أنه قد جعل لهن ما يشبه الحق، رفقاً منه بهن، و عطفاً منه عليهن..

و إنما جعل «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» طريقة للتعيين -مع علمه بأن الله تعالى هو الذي يتولى تسييده، وهو الذي يختار له -من أجل تسريح خواترهن، وعدم إثارة أي من المشاعر السلبية لديهن، حتى لو كان يظلمن أنفسهن وغيرهن، و يظلمن رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» أيضاً في ذلك..

ولو لا ما ذكرنا، لأمكن أن يقال: لقد كان بإمكانه «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» أن لا يخرج معه منها أحداً، أو أن يخرجهن في أسفاره بصورة متواتلة، وفق تراتبية القسم والليلة لهن. أو وفق قرعة تحديد هذه التراتبية.

### إحساس يهود المدينة بالخطر:

قال الصالحي الشامي:

ولما تجهز رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» والناس، شق على يهود المدينة الذين هم موادع رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» ، وعرفوا أنه إن دخل

ص: 82

---

1- الآية 36 من سورة الأحزاب.

خير أهلك أهل خير، كما أهلك بنى قينقاع، والنضير، وقريطة.

ولم يبق أحد من يهود المدينة له على أحد من المسلمين حق إلا لزمه، وطالبه به.

وعن ابن أبي حدرد، بسند صحيح: أنه كان لأبي الشحم اليهودي خمسة دراهم.

ولفظ الطبراني، والواقدي: أربعة دراهم، في شعير أخذه لأهله فلزمه.

فقال: أجلني، فإني أرجو أن أقدم عليك فأقضيك حرقك إن شاء الله، قد وعد الله تعالى -نبيه أن يغنميه خير.

فقال أبو الشحم حسدا وبغيًا: أتحسبون أن قتال خيابر مثل ما تلقون من الأعراب؟ فيها: -و التوراة - عشرة آلاف مقاتل.

و ترافعا إلى رسول الله «صلى الله عليه و آله» ، فقال رسول الله «صلى الله عليه و آله» : «أعطه حقه» .

قال عبد الله: و الذي بعثك بالحق ما أقدر عليها.

قال: أعطه حقه.

قال: و كان رسول الله «صلى الله عليه و آله» إذا قال: ثلاثة لم يراجع.

قال عبد الله: فخرجت، فبعت أحد ثوبين بثلاثة دراهم، و طلبت بقية حقه، فدفعتك إليه، و لبست ثوبين الآخرين. وأعطاني ابن أسلم بن حريش - بفتح الحاء وكسر الراء - ثوبا آخر.

ولفظ الطبراني: فخرج به ابن أبي حدرد إلى السوق، وعلى رأسه عصابة، وهو يأتتر بمئزر، فنزع العمامة عن رأسه فأذر بها، و نزع البردة فقال: اشتري مني هذه، فباعها منه بالدرارهم، فمررت عجوز فقالت: ما لك يا

صاحب رسول الله «صلى الله عليه و آله» ؟ فأخبرها.

قالت: ها دونك هذا البرد، فطرحته عليه.

فخرجت في ثوبين مع المسلمين، وقلني الله -تعالى- من خير، وغنمـت امرأة بينها وبين أبي الشحم قرابة، فبعتها منه [\(1\)](#).

و نقول: 1- إن يهود المدينة قد جربوا حظهم في الحرب مع رسول الله «صلى الله عليه و آله» و رأوا بأم أعينهم كيف أن الله تعالى نصره عليهم . . و عرفوا مسبقا نتائج حركته باتجاه خير . . وقد كانت ردة الفعل لديهم غريبة و عجيبة، من حيث إنها اقتصرت على السعي لحفظ أموالهم مهما كانت زهيدة، حتى ما كان بمقدار أربعة دراهم في شعير، فصاروا يلحون بمطالبة غرما منهم، و يلزمونهم بدفعها، و كأنهم يظنون: أن انتصار المسلمين في خير سوف ينشأ عنه ضياع تلك الأموال. .

وربما كان المحفز على تفكيرهم هذا هو: اعتقادهم أن ضعف و حاجة المسلمين إليهم، و حاجتهم إلى تسكين الأوضاع، التي كانت دقيقة و حساسة بسبب القوة الضاربة التي كانت لليهود في المنطقة، هو الذي يفرض على المسلمين إلى الوفاء بالعهود، و قضاء الديون.

ص: 84

---

1- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 115 و 116 عن الواقدي عن شيوخه، وعن أحمد، و الطبراني، و مسند أحمد ج 3 ص 423 و مجمع الزوائد ج 4 ص 129 و الطبراني في المعجم الصغير ص 234 و المغازى للواقدي ج 2 ص 634 و 635، و راجع: نيل الأوطار ج 9 ص 182 وفيض القدير ج 5 ص 195 و تاريخ مدينة دمشق ج 27 ص 343 و أسد الغابة ج 3 ص 142.

فهم قد قاسوا المسلمين على أنفسهم، فإن هذا بالذات هو طريقة و دين اليهود في التعامل مع الآخرين، وهذه هي معاييرهم وأساليبهم حيث إنهم يخضعون لقوة المال، أو لقهر السلطان، أو سيمارسون مكرًا واستدراجاً، أو ما إلى ذلك.

وقد فاتهم أن المسلمين -حتى العاديين منهم- إنما يتعاملون معهم ومع غيرهم بالمبادئ والقيم، وبموجبات الأخلاق والذمة.

ولقد صدق الذي قال: و كل إباء بالذى فيه ينضح .

2- ورغم خوف اليهود الشديد من أن يكون مصير أهل خير مثل مصيربني قينقاع والنضير وقريظة، وقد رأوا بأم عينهم، كيف أن المسلمين قد انتصروا على أعدائهم، رغم كثرة العدد، وحسن العدة لدى أولئك الأعداء، مع قلة في العدد وضعف في العدة في جانب المسلمين.

وقد تكرر هذا النصر أكثر من مرة ومرتين، فلا مجال لأن يتوهם أحد أن الصدفة هي التي فرضته، بل هو سنة إلهية، ولطف رباني أجراه الله على أيديهم، ولهج به القرآن، وأصبح شريعاً يفرض على المسلمين الالتزام بمقتضياته.

نعم، رغم ذلك كله، فإن اليهود توهموا: أن كثرة العدد سيكون لها شأن في مسار الحرب، ومصير القائمين بها.

### إجراءات في الطريق إلى خير:

وقال المؤرخون أيضاً:

وجاء أبو عبيس ابن جبر، فقال: يا رسول الله، ما عندي نفقة، ولا زاد، ولا ثوب أخرج فيه، فأعطاه رسول الله «صلى الله عليه وآله» شقة سنبلانية:

{جنس من الغليظ، شبيه بالكرباس} .

قال سلمة: خرجنا مع النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» إلى خيبر، فسرنا ليلاً، فقال رجل من القوم، لعامر بن {سنان} الأكوع: ألا تسمعنا من هندياتك؟ و كان عامر رجلاً شاعراً، فنزل يحدو بالقوم، يقول:

اللهم لو لا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

فاغفر فداء لك ما اتقينا أو ألقين سكينة علينا

و ثبت الأقدام إن لاقينا إنما إذا صبح بنا أتينا

وبالصياح عولوا علينا

فقال رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» : «من هذا السائق»؟

قالوا: عامر بن الأكوع.

قال: «يرحمه الله» .

وفي رواية: «غفر لك ربك» .

قال: و ما استغفر رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» لإنسان يخصه إلا استشهد.

فقال عمر، وهو على جمل: وجبت يا رسول الله، لو لا أمنتنا بعامر.

وفي نص آخر: أن النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» هو الذي طلب ذلك من عامر، فقال عامر: يا رسول الله، قد تولى قولي. أي الشعر.

فقال له عمر: اسمع، وأطع. فنزل يرتجز الخ. [\(1\)](#).

ص: 86

---

1- راجع: السيرة الحلبية ج 3 ص 31 و راجع: المغازي للواقدي ج 2 ص 638 و 639 و سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 116 وفي الهاشم: وأخرجه البخاري ج 7 ص 530 {4196} وأخرجه مسلم ج 3 ص 1427 {1802} .

وروى الحارث بن أبي أسامه، عن أبي أمامة، و البهقي عن ثوبان: أن رسول الله «صلى الله عليه و آله» قال في غرفة خير: «من كان مضعفاً أو مصعباً فليرجع» .

و أمر بلا فنادى بذلك، فرجع ناس، وفي القوم رجل على صعب، فمر من الليل على سواد فنفر به فصرعه، فلما جاؤوا به رسول الله «صلى الله عليه و آله» قال: «ما شأن أصحابكم»؟ .

فأخبروه، فقال: «يا بلال، ما كنت أذنت في الناس، من كان مضعفاً أو مصعباً فليرجع»؟

قال: نعم. فأبى أن يصلي عليه.

زاد البهقي: و أمر بلا فنادى في الناس: «الجنة لا تحل ل العاص» ثلاثة (1).

قال محمد بن عمر: وبيننا رسول الله «صلى الله عليه و آله» في الطريق في ليلة مقمرة، إذ أبصر رجلاً يسير أمامه شيء يبرق في القمر، كأنه في شمس و عليه بيضة، فقال رسول الله «صلى الله عليه و آله» : «من هذا»؟ .

فقيل: أبو عبس بن جبر.

فقال رسول الله «صلى الله عليه و آله» : «أدركوه» .

قال: فأدركوني فحبسوني، فأخذني ما تقدم و ما تأخر، فظنبت أنه قد

ص: 87

---

1- سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 116 و في هامشه قال: أخرجه البخاري ج 7 ص 4196 {530} وأخرجه مسلم ج 3 ص 123/1802 } ، و البهقي في الدلائل ج 4 ص 201 و راجع: السيرة الحلبية ج 3 ص 31 و 32 و 53 و 54 و البحار ج 21 ص 2 و 3 وبغية الباحث ص 99 و غريب الحديث ج 1 ص 717 و النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ج 3 ص 29.

أنزل في أمر من السماء، فجعلت أتذكر ما فعلت حتى لحقني رسول الله «صلى الله عليه وآله» ، فقال: «ما لك تقدم الناس لا تسير معهم» .<sup>؟</sup>

قلت: يا رسول الله، إن ناقتي نجيبة.

قال: فأين الشقيقة التي كسرتكم؟

قلت: يا رسول الله، بعثها بشمانية دراهم، فتزودت بدرهمين وتركت لأهلي درهمين، وابتعدت هذه البردة بأربعة دراهم.

فتبسم رسول الله «صلى الله عليه وآله» ثم قال: «أنت والله يا أبا عبس وأصحابك من الفقراء. والذى نفسى بيده، لئن سلمتم وعشتم قليلاً ليكثرن زادكم، وليكثرن ما ترکون لأهليكم، ولتكثرن دراهمكم وعيديكم، وما ذلك لكم بخیر» .

قال أبو عبس: فكان والله كما قال رسول الله «صلى الله عليه وآله» .

قال سعيد بن النعمان: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لما وصل إلى الصهباء- وهي أدنى خير- صلى العصر، ثم دعا بالأزواد، فلم يؤت إلا بالسويق، فأمر به فتري، فأكل رسول الله «صلى الله عليه وآله» وأكلنا معه. ثم قام إلى المغرب، فمضمض ومضمضنا، ثم صلى، ولم يتوضأ. رواه البخاري (1) و البيهقي.

ص: 88

---

1- سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 117 وفي هامشه عن البخاري ج 7 ص 529 {4195} والمغازي للواقدي ج 2 ص 635 و 636 و  
راجع: الموطأ لمالك ج 1 ص 26 و مسند أحمد ج 3 ص 462 وعن صحيح البخاري ج 1 ص 59 وج 4 ص 13 وج 5 ص 72 وج 6  
ص 198 والسنن الكبرى للبيهقي ج 1 ص 160 والمصنف للصنعاني ج 1 ص 178 عن البخاري من طريق مالك والحميدى عن ابن  
عينة، وشرح معانى الآثار ج 1 ص 66 و صحيح ابن حبان ج 3 ص 432 ومعجم الكبير ج 7 ص 87 وكنز العمال ج 9 ص 505 و  
أسد الغابة ج 2 ص 381 ومعجم ما استعجم ج 3 ص 844.

زاد محمد بن عمر: ثم صلى بالناس العشاء، ثم دعا بالأدلة، فجاء حسيل بن خارجة، وعبد الله بن نعيم الأشجعي، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله» لحسيل: يا حسيل: امض أمامنا حتى تأخذ بنا صدور الأودية، حتى تأتي خير من بينها وبين الشام، فأحول بينهم وبين الشام، وبين حلقائهم من غطفان» .

فقال حسيل: أنا أسلك بك، فانتهى به إلى موضع له طرق، فقال: يا رسول الله، إن لها طرقاً تؤتي منها كلها.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله» : «سمها لي». وكان رسول الله «صلى الله عليه وآله» يحب الفأل الحسن، والاسم الحسن، ويكره الطيرة، والاسم القبيح.

فقال: لها طريق يقال لها: حزن، وطريق يقال لها: شاش، وطريق يقال لها: حاطب، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله» : «لا تسلكها» .

قال: لم يبق إلا طريق واحد يقال له: مرحباً، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله» : «اسلكها» [\(1\)](#).

ص: 89

---

1- سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 117 و 118 والمغازي للواقدي ج 2 ص 639 و تاريخ الخميس ج 2 ص 42.

ونقول:

إن لنا ههنا وقفات هي التالية:

### لمن الشعر المتقدم؟ !

قد ذكرت الرواية المتقدمة: أن الشعر المذكور: «اللهم لولا الله ما اهتدينا» إنما هو لعامر بن الأكوع.

مع أنه قد روي في الصحاح، و منها كتاب البخاري، في كتاب الجهاد: أنه من شعر عبد الله بن رواحة [\(1\)](#).

قال الصالحي الشامي: «فيحتمل أن يكون هو و عامر تواردا على ما تواردا عليه، بدليل ما وقع لكل منهما مما ليس عند الآخر، واستعan عامر ببعض ما سبقه إليه ابن رواحة» [\(2\)](#).

ويحتمل أيضاً: أن يكون عامر قد أخذه كله من ابن رواحة؛ لأن مجرد حاد، يختار ما يناسبه من الحداء، ولو كان قد نطق به أو نظمه غيره.

### الخطأ في مضمون شعر عامر:

هذا، ولا- معنى لقوله في ذلك الشعر مخاطباً الله تعالى: «فاغفر فداء لك ما اتقينا» ، إذا لا معنى لأن يفدي أحد الله بنفسه، لأن ذلك يستبطئ توقع حلول مكروه بالمفدي- ليجعل المتكلّم نفسه فداء له من ذلك، وهذا

ص: 90

- 
- 1- سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 153 و البخاري {المغازي ص 38} و {الأدب ص 90} و صحيح مسلم {الجهاد ص 123} و مسند أحمد ج 4 ص 48.
  - 2- سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 153.

يستبطن جواز الفناء على الله تعالى، وأنه لو لم يحصل الفداء له، لا ممكّن أن تحل المصيبة به، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

### ارتجاز عامر لرسول الله صلى الله عليه و آله :

وقد يقال: إن الذي كان يرتجز لرسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّدَهُ» في أسفاره هو البراء بن مالك، لا عامر بن الأكوع.

ويحاب: بأن المقصود: أنه كان يرتجز له في غالب أسفاره، أو في بعضها كما صرحت به بعض الروايات (1).

### الإستغفار أمارة الشهادة:

وقد ذكرت الروايات المتقدمة: أن عمر بن الخطاب قد خاف على عامر، حتى قال لرسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّدَهُ» : لو لا أمنتنا بعامر. و ذلك لأن النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّدَهُ» كان إذا استغفر لـإنسان استشهاده.

غير أننا نقول: إن ذلك لا يمكن قبوله:

فأولاً: لم يثبت: أنه «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّدَهُ» استغفر لعامر، فقد اختلفت الروايات في ذلك، حيث يقول بعضها: إنه «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّدَهُ» قال: يرحمه الله.

ثانياً: لنفرض: أنه قد ثبت استغفار النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّدَهُ» لعامر، ولكن قولهم: إنه ما استغفر «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّدَهُ» لـإنسان يخصه إلا استشهاده..

لا يمكن أن يصح، لأن كتب الحديث والتاريخ مشحونة بالأخبار المصرحة باستغفاره «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّدَهُ» للكثيرين من صحابته، ولم يصيّبهم

ص: 91

شيء، بل عاشهوا بعده عشرات السنوات، فراجع:

1-استغفاره «صلى الله عليه وآلـه» لأبي بكر [\(1\)](#).

2-و استغفاره لأبي موسى الأشعري [\(2\)](#).

3-و استغفاره «صلى الله عليه وآلـه» لحذيفة، ولا مه [\(3\)](#).

4-و استغفر للمقصرین في الحديبية.

وغير ذلك.

### لا تحل الجنة ل العاص:

إن هناك أمورا قد يستهين الإنسان بها، فلا يطيع الأوامر الصادرة بشأنها، زعما منه: أنه قادر على تجاوز سلبياتها.

غير أن هذا المنطق: مرفوض في الإسلام جملة وتفصيلا، لأكثر من جهة.

فأولا: ليس بالضرورة أن يكون ما اعتقاد أنه المبرر لقرارات القيادة هو المبرر الحقيقي لها فعلا؛ لأن للقيادة آفاقها، وعلاقاتها، ووسائلها التي تمكّنها من المواجهة الصحيحة، من خلال رصد الأمور بصورة أدق وأشمل، يمكنها من وضع كل الأمور في مواضعها الصحيحة وفي الدائرة الأوسع في المحيط الذي تتحرك فيه، ضمن سلسلة من الدواعي والمقتضيات التي ربما

ص: 92

---

1- مسند أحمد ج 5 ص 65 و عن صحيح البخاري {فضائل أصحاب النبي} ص 5 .

2- عن صحيح البخاري {دعوات} ص 19 الترجمة ص 49 المغازى ص 55 } و صحيح مسلم {فضائل الصحابة} ص 165 } .

3- مسند أحمد ج 5 ص 391 و 392 .

لا تخطر لآخرين على بال، أو لا تمر لهم في خيال، بحكم محدودية نظرتهم، وضآلّة حجم معارفهم، وقلة اطلاعهم على ذلك كله..

ثانياً: إنه حين يكون لدى كثيرين من الناس مراكب تصعب السيطرة عليها، وتحتاج إلى بذل جهد، وربما إلى تعاون، وتعاضد، فذلك معناه إشغال الناس عن قضيتهم الأساسية، في شأن داخلي غير ذي جدوى، تضييع فيه الجهد، التي يفترض توفيرها لتصريف في سبيل ما هو أهم، ونفعه أعم، هذا عدا عما ينشأ عن ذلك من تشويش في الفكر، وإخلال بالنظام العام.

ثالثاً: إن عدم صلاة رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» على ذلك الذي لم يمثل للأمر، قد أظهر أن خلاف هذا الرجل لم يكن ناشئاً عن مجرد حالة عفوية، أو تلبية لرغبة شخصية، أو نتيجة غفلة حدثت له، أو نحو ذلك.

بل كان قاصداً لهذا الخلاف، عاماً إليه، وربما يصل ذلك إلى حد المؤامرة الهدافـة إلى إحداث بلبلة، وتشويش، وإخلال.

بالإضافة إلى: إسقاط حرمة الأوامر النبوية، وتجريء الناس على خلافه «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ»، وعصيان أوامره، والاستهانة بتوجيهاته..

و لعل هذا هو السبب في: أنه «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» قد رفض أن يشرفه بالصلاحة عليه.

ورابعاً: إن الإعلان بطريقة النداء في الناس: لا تحل الجنة ل العاصي، لابد أن يكون له تأثيره القوي في ردع الناس عن محاكاة ذلك العاصي في فعله، وبالتالي فرض الالتزام بالنظام، وتنفيذ القرارات الصادرة، بانضباطية تامة، وبدقـة وأمانة.

وقد ذكرت الروايات قصة أبي عبس مع رسول «صلى الله عليه وآله» ..

ووجدنا أنها تشير إلى عدة أمور، نذكر منها:

1- أنه «صلى الله عليه وآله» قد بادر إلى السؤال عن حالة رأى أنها قد خالفت النظم الطبيعي لمسيرة الجيش، وهي انفراد أبي عبس عن الناس. وتقديمه عليهم.

والنبي «صلى الله عليه وآله»، وإن لم يكن قد ألزم الناس برعاية نظم بعينه، ولكن ذلك لا يعني السماح بالحالة التي قد تبدو نشازاً بحسب ما جرت عليه طريقة الناس في حالات كهذه.

و جاء تفسير أبي عبس كافياً وربما مرضياً لرسول الله «صلى الله عليه وآله»؛ فإن الاستعانة بالنافقة النجيبة يريح رسول الله «صلى الله عليه وآله»، في مسيرة كهذا.

2- ثم أتبع «صلى الله عليه وآله» سؤاله الأول بسؤال آخر يفضي إلى إعطاء توضيحات عن لباس أبي عبس المميز، الذي يثير أكثر من شبهة وسؤال عن مكونات أبي عبس، وعن روافده و مصادرها. فالبريق القوي، يضخم التصورات ويوهم: أن أبو عبس قد أصاب كنزاً، أو استولى على ثروة بطريقة قد تكون مشروعة، وقد لا تكون!!

ومهد رسول الله «صلى الله عليه وآله» للإجابة المقنعة، والقاطعة لكل احتمال، وظن وشبهة، حين ضمن سؤاله تعريف الناس بمصدر المال. حتى لم يعد أبو عبس بحاجة إلى تقديم إثبات بذلك، بل اقتصرت مهمته على بيان موارد مصارف ذلك المال، وصحة تصرفه فيه.. و بذلك يكون «صلى

اللّه عليه و آله» قد جنّبه غضاضة الإحساس بأن ثمة تهمة تموج في نظرات الناس إليه، وأنه يحتاج إلى إعداد وسائل دفعها عن نفسه..

3- ثم إنه «صلى اللّه عليه و آله» قد تقدم خطوة أخرى باتجاه حسم الأمر لصالح أبي عبس، حين أعلن براءة أبي عبس من أية شبهة من هذا القبيل، وبين أنه يعيش حالة الفقر وال الحاجة حقاً، ليس وحده، وإنما هو وأصحابه الفقراء.

4- ثم شفع ذلك بالإخبار عن أمر غيبي، من شأنه: أن يفرح الكثيرين من الناس من طلاب الدنيا، حيث أخبره: أنه هو وأصحابه، إن سلموا وعاشوا فسيكثرون زادهم، وما يتركونه لأهليهم، وستكثر دراهمهم وعيدهم.

وقد تضمن هذا الخبر الإشارة إلى أمرين: أحدهما: أنه قد إشار إلى احتمال سلامتهم وبقائهم على قيد الحياة، ولكنه لم يجزم لهم بذلك.

حيث قال: لئن سلمتم وعشتم، وذلك لكي يعطى لهم الفرصة لإخلاص النية في الجهاد، وليتمكنهم من الإقدام على ما فيه احتمالات الشهادة، ولا يحرمهم من السعي لنيل هذا المقام الجليل..

الثاني: أنه قد بيّن لهم: أن تحقيق ما يخبرهم به لا ينبغي أن يكون من أسباب اغترارهم بأنفسهم، وتخيل أن ذلك عطية وكرامة إلهية لهم، بسبب رفعة مقامهم في طاعته، وعلو درجتهم في الإخلاص له..

بل ذلك امتحان وابتلاء، لا بد لهم من أن يذروا منه، حتى لا يقعوا في فخ الركون إلى الدنيا، والاغترار بزخارفها، وبهارجها..

وبذلك يكون قد أعطاهم القاعدة الصحيحة في التعامل مع الكثرات

الدنيوية، ومنحهم النظرة الصائبة، والتقييم السليم لمثل هذا الأمر الخطير.

### أكذوبة الفتاة الحائض:

وروروا: أن إحدى النساء اللواتي حضرن خيبر قالت: فأردفني رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» عَلَى حَقِيقَةِ رَحْلَهُ، قَالَتْ: فَلَمَّا كَانَ الصَّبَحُ، وَأَنْا خَرَجْتُ مَعَهُ، وَنَزَّلْتُ عَنْ حَقِيقَةِ رَحْلَهُ، وَإِذَا بِهَا دَمٌ مِنِّي. وَكَانَتْ أَوَّلُ حِيْضَةٍ حَضَنَتْهَا.

قالت: فتقبضت إلى الناقة، واستحييت.

فلما رأى رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» حالياً، قال: ما لك، لعلك نفست؟

قلت: نعم.

قال: فأصلحني من نفسك، ثم خذني إماء من ماء فاطر حي فيه ملحًا، ثم أغسلني ما أصاب الحقيقة من الدم، ثم عودي لمرتحلك.

قالت: فكنت لا أظهر من حيضة إلا جعلت في طهري ملحًا. وأوصت أن يجعل ذلك في غسلها حين ماتت [\(1\)](#).

ونقول:

إننا نشك في صحة هذه الرواية، بل لا نرتاب في كذبها، وذلك لما يلي:

أولاً: لا معنى لجعل الملح في طهارتها، ولا في غسلها، فإن غسل الدم

ص: 96

---

1- السيرة الحلبية ج 3 ص 56 و 57 و السيرة النبوية لابن كثير ج 3 ص 387 و مسنده أحمد ج 6 ص 380 و سنن أبي داود ج 1 ص 78 و السنن الكبرى للبيهقي ج 2 ص 407 و البداية والنهاية ج 4 ص 232 و السيرة النبوية لابن هشام ج 3 ص 804.

الذى أصاب حقيقة الرحل بالماء والملح شيء، وجعله في طهرها شيء آخر..

على أننا لا ندرى داعيا لوضع الملح في الماء، فإن الماء يكفى لغسل حقيقة الرحل..

ثانياً: إنه لا ريب في أن بلوغ الفتاة إنما هو ياتمامها تسع سنين.. والفتيات إنما يحصلن - غالباً - في سن الثالثة عشرة.

ومن الواضح: أن النبي «صلى الله عليه وآله» لا يمكن أن يردد خلفه من تكون في هذه السن، أو أقل من ذلك أيضاً.

وقد تحدثنا عن موضوع بلوغ الفتاة بشيء من التفصيل في غزوة بنى قريظة، فراجع..

ثالثاً: إن الكل يعلم: أن علياً «عليه السلام» كان لا يلقي السلام على الشابة من النساء [\(1\)](#) فكيف برسول الله «صلى الله عليه وآله» [\(2\)](#).

ص: 97

1- راجع: الكافي ج 5 ص 535 و من لا يحضره الفقيه ج 3 ص 461 و الوسائل {ط دار الإسلامية} ج 8 ص 458 و مستدرك الوسائل ج 8 ص 373 وج 14 ص 290 و مكارم الأخلاق ص 235 و مشكاة الأنوار للطبرسي ص 247 و البحار ج 101 ص 37 و جواهر الكلام ج 11 ص 118 وج 29 ص 99 و جامع المقاصد ج 12 ص 34 و مسائل الأفهام ج 7 ص 56 و مجمع الفائدة للمحقق الأردبيلي ج 2 ص 495 وج 3 ص 121 و الحدائق الناضرة ج 9 ص 83 و مستند الشيعة ج 16 ص 61.

2- راجع: الكافي ج 2 ص 648 و البحار ج 40 ص 235 وج 16 ص 215 و 229 و الوسائل {ط دار الإسلامية} ج 8 ص 452 وفي هامشه عن من لا يحضره الفقيه ج 2 ص 52.

وورد النهي عن الجلوس في مجلس تقوم عنه المرأة حتى يرد [\(1\)](#).

فهل يرضى بأن يرد خلفه فتاة في سن من تحيض؟!

رابعاً: ما معنى: أن يرد النبي «صلى الله عليه وآله» هذه الفتاة الأجنبية عنه، ولماذا لم يرد زوجته أم سلمة، أو أيا من زوجاته في أية غزوة من الغزوات؟!

وهل لم يوجد من يتبع بارتداف هذه الفتاة سوى رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!

ومن كان يرد أم زياد الأشجعي، التي خرجت إلى خيبر في خمسة نسوة ليداونين الجرحي، ولغير ذلك، فأسمهم لهن تمرا؟!

بل لقد حضر خيبر عشرون امرأة.

فلماذا لم يجعل هذه الفتاة معهن؟! أو مع زوجته أم سلمة في هودجها؟!

خامساً: هل ارتدفها «صلى الله عليه وآله» على ناقته، أم على فرسه، أم على حماره؟!

فقد تقدم: أنهم قد اختلفوا في أنه: هل كان النبي «صلى الله عليه وآله» راكباً فرساً، أم حماراً مخطوماً برسن من ليف، وتحته أكاف من ليف!!

وقد ذكرنا ما يدل: على هذا وذاك فيما يأتي تحت عنوان: «وصول النبي «صلى الله عليه وآله» إلى خيبر».

ص: 98

---

1- راجع: الوسائل {ط دار الإسلامية} ج 14 ص 185 وفي هامشه عن الكافي {الفروع} ج 2 ص 77 وعن من لا يحضره الفقيه ج 2 ص 183.

2- مسند أحمد ج 5 ص 271 وفي التراتيب الإدارية ج 2 ص 511 عن أبي داود: حنين بدل خيبر. ولعله تصحيف؛ لأجل عدم وجود نقط للحرروف في تلك الأزمنة.

وقد رجعوا: أنه قد ركب الحمار في الطريق إلى خير، ثم ركب الفرس، حين نشب القتال..

وأما الحديث الذي صرخ: بأن الناقة مأمورة، فلا دلالة فيه على أنه «صلى الله عليه وآله» كان راكباً عليها.

وحتى لو دل على ذلك، فإنه يصبح متعارضاً مع حديث ركوبه للحمار، أو الفرس، حسبما أوضحتناه..

وفي جميع الأحوال نقول: إذا كان راكباً للفرس، فلماذا لا تركب هي على الناقة، أو الحمار؟ وإن كان راكباً على الحمار فيمكن أن تركب هي الناقة أو الفرس، وكذلك لو كان قد ركب الناقة، فالحمار والفرس صالحان للركوب، فلا حاجة -في جميع الأحوال- إلى إرادتها خلفه «صلى الله عليه وآله» ..

### اختيار الطريق إلى خير:

وعن حديث طلب النبي «صلى الله عليه وآله» من الدليل: أن يأخذ بهم في صدور الأودية، حتى يأتي بهم إلى خير من جهة الشام، نقول:

1- إنه «صلى الله عليه وآله» يكون بذلك قد تحاشى الظهور على قمم الجبال، وعلى جوانبها التي تظهر للرأي البعيد، لكنه يتحاشى رؤية الناس لجيشه الضارب، ويكون في منأى عن موقع الرصد التي ربما يكون العدو قد أقامها في الموضع المشرف.

2- إنه «صلى الله عليه وآله» قد اختار أن يسلك الدليل طريقاً تؤدي بهم إلى خير من جهة الشام، وهو الطريق الذي يشعر اليهود بالأمن من

جهته، ولا يشعرون بالحاجة إلى رصده بدقة وبفعالية.

3-إنه «صلى الله عليه وآلها» قد أوضح أيضاً أنه يريد أن يقطع عن اليهود المدد من جهة الشام، سواء أكان المدد مالاً، أم رجالاً، أم عتاداً، أم طعاماً، أم غير ذلك.

4-إنه «صلى الله عليه وآلها» يريد أيضاً أن يحول بين اليهود وبين حلفائهم من غطфан، وسيأتي: أن هذا هو ما حصل بالفعل، وذلك حين جاءت غطphan لمعوتهم، ثم تراجعت خوفاً من أن يتمكن «صلى الله عليه وآلها» من مهاجمة ديارهم وأهليهم.

### التطيير و التفاؤل:

واللافت هنا قولهم: إن رسول الله «صلى الله عليه وآلها» قد طلب من الدليل أن يسمى له الطرق إلى خير؛ لأنَّه كان يحب الفَأْلَ الحسن، فسماها له، فاختار أحدها.

ونقول:

أولاً: إن من الواضح: أن طلب تسميتها ليس بالضرورة أن يكون من أجل أن يتفاعل بأسمائها، فإن ذلك بعيد عن شأن النبي «صلى الله عليه وآلها» و مقامه. وقد تكلمنا عن بعض ما يرتبط بذلك في جزء سابق من هذا الكتاب.

ثانياً: إن من جملة الطرق التي سماها الدليل طريقاً باسم «شاس» وليس في هذه الكلمة التفاؤل، أو التشاُم.

ثالثاً: من أين ثبت لهم: أنه «صلى الله عليه وآلها» قد رفض السير في تلك الطريق من منطلق التشاُم والتفاؤل، فقد يكون الغرض هو:

ص: 100

1-أن يظهر خبرة الدليل، وأنه قادر على إنجاز المهمة التي أوكلت إليه.

2-أن يوجهه إلى الطريق الأكثر أماناً، والأشد ملاءمة للأهداف المتواخدة.

3-أن يعرف الناس بأنه «صلى الله عليه وآله» عالم بمسالك تلك البلاد، وإن لم يكن قد وطأتها قدمه من قبل.

### لا حول ولا قوة إلا بالله:

روى أصحاب الكتب الستة، عن أبي موسى الأشعري، قال: أشرف الناس على واد، فرفعوا أصواتهم بالتكبير: «الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله».

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله» : «اربعوا على أنفسكم، إنكم لا تدعون أصم ولا غائبا، إنكم تدعون سمعيا قريبا، وهو معكم» .

وأنا خلف دابة رسول الله «صلى الله عليه وآله» ، فسمعني وأنا أقول: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

قال: «يا عبد الله بن قيس» .

قلت: لبيك يا رسول الله، فداك أبي وأمي.

قال: «ألا أدلك على كلمة من كنز الجنة»؟ .

قلت: بلى يا رسول الله، فداك أبي وأمي.

قال: «لا حول ولا قوة إلا بالله» [\(1\)](#).

ص: 101

1- سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 150 وفي هامشه عن: البيهقي ج 2 ص 184 و ابن أبي عاصم ج 1 ص 274 والطبرى ج 8 ص 147 و ابن السنى {512} و عبد الرزاق {9244} و انظر البداية والنهاية ج 4 ص 213 و راجع: السيرة الحلبية ج 3 ص 33 و مسنن أحمد ج 4 ص 418 و ج 5 ص 402 و ج 5 ص 265 وعن صحيح البخاري ج 5 ص 75 و ج 7 ص 169 وعن صحيح مسلم ج 8 ص 74 و مجمع الزوائد ج 10 ص 98 و الديباج على مسلم ج 6 ص 59 و مسنن أبي داود ص 326 و منتخب مسنن عبد بن حميد ص 192 و السنن الكبرى للنسائي ج 4 ص 398 و ج 6 ص 7 و كتاب الدعاء للطبراني ص 472 و سير أعلام النبلاء ج 8 ص 332 و السيرة النبوية لابن كثير ج 3 ص 404

هناك حالات تتناسب الجماعات، وهي تواجه قضاياها الكبرى، لا يصح الانسياق معها، بل لا بد من معالجتها والتخلص منها. ومن هذه الحالات: أن اجتماعها مع بعضها البعض قد يشعرها بالقوة بدرجة قد تتجاوز حدود قوتها الطبيعية، الأمر الذي يهيء لوقوعها في براثن الغفلة عن بعض التغرات التي تعاني منها. . وربما يكون ذلك سببا في تدني مستوى قوتها بصورة كبيرة وخطيرة. .

وقد ظهر مصداق ذلك في حرب حنين، حيث تلاشت قوة المسلمين أو كادت، بسبب هذا الشعور بالذات. فقد قال تعالى: لَقَدْ نَصَرَكُمْ اللَّهُ فِي مَوَاطِنٍ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتُكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحِبَتْ ثُمَّ وَلَيْسَ مُدْبِرِينَ (1).

ومن هذه الحالات أيضا، هيمنة العقل الجماعي على تلك الجماعة، وتدني مستوى تفكيرها ليصل إلى أضعف حالاته. .

ص: 102

---

- الآية 25 من سورة التوبه.

ويزيد هذه الحالة حدة فيهم، تعالى الصرخات، واحتلاط الأصوات، والصخب، والعجب و الضجيج.

وهذا يفسر لنا: أمره «صلى الله عليه وآله» لأصحابه بأن يربعوا على أنفسهم، ويختفوا من غلوائهم، ويخفضوا أصواتهم، حتى لو كانوا يجهرون بكلمة «الله أكبر».

فقد كان ثمة حاجة إلى الهدوء والتعقل، ليتمكن النظر إلى الأمور والأحجام، والقدرات بواقعية و اتزان، بعيداً عن الانتفاخات والتضخيمات الصوتية وغير الواقعية.

ثم.. إنه «صلى الله عليه وآله» صرخ لهم بالحقيقة و طلب منهم ترددها في عملية تلقين عفوية للنفس، وإدراك للعقل، وتلمس للوجودان، حين دلهم على كلمة هي كنز الجنة، يتعلمون منها: أن قدرتهم ليست بكثرة جمعهم، ولا بجودة سلاحهم، ولا بقدراتهم الذاتية وشجاعتهم؛ إذ «لا حول ولا قوة إلا بالله».

### **المطلوب هو الخير لا الغنائم:**

روى ابن إسحاق، عن أبي مغيث بن عمرو، و محمد بن عمر عن شيوخه، قالوا: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لما أشرف على خيبر - و كان وقت الصبح - قال لأصحابه: «قفوا». فوقفوا.

فقال: «اللهم رب السموات السبع و ما أظللن، و رب الأرضين السبع و ما أقللن، و رب الشياطين و ما أضللن، و رب الرياح و ما أذرین، فإنما نسألك من خير هذه القرية و خير أهلها، و نعوذ بك من شرها و شر ما فيها. أقدموا بسم الله».

وكان يقولها لكل قرية يريد دخولها.

ورواه النسائي، وابن حبان عن صحيب [\(1\)](#).

ونقول:

إن هذا الدعاء قد جاء ليحدث تغييراً جذرياً في أهداف هؤلاء القادمين إلى بلاد أعدائهم. إذ إن الإنسان حين يتخذ صفة المقاتل، ويعد للقتال عدته، ويحمل سلاحه، ويشرف على بلد عدوه، فإنه لا يhardt نفسه إلا بالنزال والقتال، ولا يفكر إلا بالموت أو الحياة، وبالنصر أو الهزيمة، ولا يحلم إلا بالغنائم والسبايا.

ولذلك يوقف النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» أصحابه، ويوجههم إلى الله تعالى، ليفهمهم أنه تعالى هو المهيمن والمشرف على إيصال كل شيء إلى كماله، من حيث هو رب المدبّر الحكيم، والخبير العليم، والرؤوف الرحيم، وهو القاهر فوق عباده.

فحلول هذا الجيش بهذا البلد لا ينبغي أن يكون بهدف الحصول على المغانم، والاستيلاء على البلاد والعباد.

ص: 104

---

1- سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 118 وقال في هامشه: أخرجه ابن خزيمة {2565} والبخاري في التاريخ الكبير ج 6 ص 472 والطبراني في الكبير ج 8 ص 39 والبيهقي في الدلائل ج 4 ص 204 وابن السندي {518}. وراجع: السيرة الحلبية ج 3 ص 32 و 33 والبحار ج 21 ص 1 و 14 وج 73 ص 249 وعن مجمع البيان ج 9 ص 200 والإمتناع ص 310 والمعازى للوقدى ج 2 ص 642 و مناقب آل أبي طالب ج 1 ص 176 والمزارص 52 والأمان من الأخطارص 132 ومدينة المعاجز ج 1 ص 173.

بل يجب أن يكون الهدف هو الحصول على الخير: خير البلد و خير أهله، و تجنب الشر: شر البلد و شر ما فيه.. سواء أكان الشر من الناس، أم من غيرهم.

و يلاحظ أيضاً أن هذا الدعاء قد أظهر للداعين ولغيرهم: أن الهيمنة الإلهية كما تشمل السماوات والأرض، من حيث هي موجودات كونية، فإنها تشمل ما أطللن، و ما أقللن من موجودات، لها وظائف و مهام، فيهما على حد سواء..

و أفاد أن هذه السلطة تشمل أيضاً حتى الموجودات المتمردة والطاغية، و تشمل من وقع تحت تأثيرها. فهو تعالى رب الشياطين و ما أطللن.. كما أنها تشمل ما له حركة و تصرف، و ما يكون محل للحركة و التصرف، وإن لم يكن من الموجودات العاقلة و المختارة. فهو رب الرياح و ما أذرين.

فإذا كانت الهيمنة لله تعالى على ذلك كله، فلا بد من أن يتوجه الناس إليه في حاجاتهم. وقد حدد رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» هذه الحاجات في دعائه، بأنها الحصول على الخير، و تجنب الشر..

ثم إنه «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» قال: «أَقْدَمُوا بِاسْمِ اللَّهِ..».

فإذا كان إقدامهم متمازجاً مع اسم الله تعالى، و ملابساً له، فلا بد أن يتزموا بخطه تعالى، وأن لا يشذوا عنه، فيكون معهم في كل حركة، و كل سكون، وكل موقف.

و ما أحوجهم إلى استحضار الله تعالى في مواقفهم هذه التي ينسى الإنسان فيها أكثر الأشياء قرباً منه، فينسى حتى الطعام و الشراب، و ينسى الأهل والأولاد، و ينسى المال و المقام، و ينسى.. و ينسى.. وكل هذا النسيان

لا ضير فيه، إذا كان ذاكرا لله سبحانه، مستشعرا لوجوده، منسجما معه.. ولأجل ذلك قال لهم «صلى الله عليه وآله» : «أقدموا باسم الله . . .».

### ابن أبي يحدر اليهود:

وذكروا: أن عبد الله بن أبي أرسل إلى اليهود يخبرهم: بأن محمدا سائر إليكم، فخذلوا حذركم، وأدخلوا أموالكم حصونكم، وخرجوا إلى قتاله، ولا تخافوا منه، إن عدكم كثير، وقوم محمد شرذمة قليلون، عزّل لا سلاح معهم إلا قليل.

فلما علم بذلك يهود خيبر أرسلوا وفدا إلى غطفان يستمدونهم كما سيأتي [\(1\)](#).

ونقول:

إن توجيهات ابن أبي لهم، وتحريضه لياههم على التصدي لرسول الله «صلى الله عليه وآله» قد استند إلى عدة أمور، نشير منها إلى الأمرين التاليين:

1- كثرة عددهم، وقلة عدد جيش المسلمين، مع أن ابن أبي و الناس كلهم قد شاهدوا كيف ينتصر المسلمون في حروبهم، وخصوصا في بدر، رغم قلة عددهم، وكثرة عدد جيش عدوهم المهاجم.

وقد بيّن القرآن هذه الحقيقة في موارد كثيرة. وصرح: بأن العشرة من المسلمين قادرون على أن يغلبوا مائة، فيما لو تدرعوا بالصبر والإيمان.

ص: 106

---

1- راجع: تاريخ الخميس ج 2 ص 42 وسبل الهدى والرشاد ج 4 ص 364.

قال تعالى أيضاً: كَمْ مِنْ فِتَّةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتَّةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ . [\(1\)](#)

2- إنه قد ركز على السلاح، كعنصر حاسم في المعركة بين الإيمان والكفر.

غير أن من الواضح: أن للسلاح في نوعه وفي مقداره بعض التأثير في الحرب.

ولكن قد أثبتت الواقع أيضاً: أن الكلمة الأخيرة، و الفاصلة ليست له، وإنما هي للعزيمة والإيمان بالقضية، و الالتجاء إلى الله سبحانه، بالإضافة إلى مفردات كثيرة من منظومة القيم، والمفاهيم، والاعتقادات، و النظرة إلى الكون وإلى الحياة، و مستوى تربية النفس، و درجة التفاعل مع تلك القيم، و درجات رسوخ تلك النظارات والاعتقادات في كيان الإنسان، وفي أعمق وجوده .

### غطفان تخاف، فتراجع:

أرادت غطفان، وسيدهم عيينة بن حصن أن يعينوا أهل خير -و كانوا أربعة الآف- لما سمعوا بمجيئه «صلى الله عليه و آله» إليهم، فأرسلوا كانة ابن أبي الحقيق، وهوذة بن قيس، في أربعة عشر رجلاً إلى غطفان، يستمدونهم، وشرطوا لهم نصف ثمار خير إن غلبوا على المسلمين.

فجمعوا أربعة آلاف مقاتل -كما في بعض المصادر- ثم خرجوا ليظاهروا يهود خير.

ص: 107

---

1- الآية 249 من سورة البقرة.

ويقال: إن رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» أرسَلَ إِلَيْهِمْ: أَنْ لَا يُعِينُوهُمْ عَلَى أَنْ يُعْطِيهِمْ مِنْ خَيْرٍ شَيْئاً سَمَاهُ لَهُمْ، وَهُوَ نَصْفُ ثِمَارِهَا تَلَكَ السَّنَةُ، وَقَالَ لَهُمْ: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ وَعَدَنِي خَيْرًا».

فَأَبْوَا، وَقَالُوا: جِيرَانُنَا وَحَلْفَاؤُنَا.

فَلَمَّا سَارُوا قَلِيلًا - سَمِعُوا خَلْفَهُمْ فِي أَمْوَالِهِمْ وَأَهْلِهِمْ حَسَا ظُنُونَهُمْ أَغَارُوا عَلَى أَهْلِهِمْ، فَأَلْقَى اللَّهُ الرُّعبَ فِي قُلُوبِهِمْ.

وَحَسْبُ نَصِ الْوَاقِدِيِّ: سَمِعْنَا صَاحِحاً - ثَلَاثَ مَرَاتٍ - لَا نَدْرِي مِنَ السَّمَاءِ، أَوْ مِنَ الْأَرْضِ أَهْلَكُمْ بِحَفِيَاءٍ {أَوْ حَيْفَاءً} - مَوْضِعُ قَرْبِ الْمَدِينَةِ} ، فَإِنَّكُمْ قَدْ خَوْلَفْتُمْ إِلَيْهِمْ.

فَرَجَعُوا عَلَى الصَّعْبِ وَالذَّلُولِ. أَيْ مَسْرِعِينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ، فَأَقَامُوا فِي أَهْلِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، وَخَلُوَا بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» وَبَيْنَ أَهْلِ خَيْرٍ.

وَفِي رَوَايَةٍ: سَمِعُوا صَوْتاً يَقُولُ: أَيُّهَا النَّاسُ، أَهْلِيْكُمْ خَوْلَفْتُمْ إِلَيْهِمْ، فَرَجَعُوا فِلْمَ يَرَوُا لِذَلِكَ نَبَأً[\(1\)](#).

زَادَ فِي نَصِ آخَرَ: أَنَّهُمْ قَالُوا: «فَعَلِمْنَا: أَنَّ ذَلِكَ مِنْ قَبْلِ اللَّهِ، لِيَظْفِرَ مُحَمَّدٌ بِيَهُودِ خَيْرٍ»[\(2\)](#).

بَلْ ذَكْرُ بَعْضِهِمْ: أَنَّ عَيْنَةَ بْنَ حَصْنٍ قَدْ جَاءَ إِلَى خَيْرٍ فِي أَرْبَعَةِ آلَافٍ، فَدَخَلُوا مَعَ الْيَهُودِ فِي حَصُونَ النَّطَاطَةِ، قَبْلَ قَدْوَمِ رَسُولِ اللَّهِ «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

ص: 108

- 
- 1- السيرة الحلبية ج 3 ص 51 والإمتاع ص 313 وراجع: المغازى للواقدي ج 2 ص 642 و 650 و تاريخ الخميس ج 2 ص 42 و البحار ج 21 ص 30 عن الخرائج والجرائح والإصابة ج 3 ص 254 و 301.
  - 2- البحار ج 21 ص 30 وج 21 ص 30 والخرائج والجرائح ج 1 ص 164.

وآلهم» بثلاثة أيام. فلما قدم رسول الله «صلى الله عليه وآلهم» خير أرسل إليهم سعد بن عبادة وهم في الحصن.

فلما انتهى سعد إلى الحصن ناداهم: إني أريد أكلم عينية بن حصن.

فأراد عينية أن يدخله الحصن، فقال مرحباً: لا تدخله فيرى خلل حصننا، ويعرف نواحيه التي يؤتى منها، ولكن تخرج إليه.

قال عينية: لقد أحبت أن يدخل فيرى حصانته، ويرى عدداً كثيراً. فألبى مرحباً أن يدخله، فخرج عينية إلى باب الحصن.

قال سعد: إن رسول الله «صلى الله عليه وآلهم» أرسلني إليك، يقول: إن الله قد وعدني خير فارجعوا، وكفوا، فإن ظهرنا عليها فلكم تمر خير سنة.

قال عينية: إننا والله ما كنا لنسلم حلفاءنا لشيء، وإننا لنعلم ما لك وما معك مما ه هنا طاقة، هؤلاء قوم أهل حصون منيعة، ورجال عدهم كثير، وسلاح. إن قمت هلكت و من معك، وإن أردت القتال عجلوا عليك بالرجال والسلاح.

ولـ الله، ما هؤلاء كقريش، وقوم ساروا إليك، إن أصابوا غرراً منك فذاك الذي أرادوا و إلا انصروا، وهؤلاء يماكرونك الحرب ويطاولونك حتى تملهم.

قال سعد بن عبادة: أشهد ليحضرنـ في حصنك هذا حتى تطلب الذي كنا عرضنا عليك، فلا نعطيك إلا السيف، وقد رأيت يا عينية من قد حلـنا بساحتـه من يهود يشربـ، كيف مزقوا كل ممزقـ!

فرجع سعد إلى رسول الله «صلى الله عليه وآلهم» فأخبرـ بما قالـ.

وقال سعد: يا رسول الله، لئن أخذه السيف ليسلمنهم، وليهربن إلى بلاده، كما فعل ذلك قبل اليوم في الخندق.

فأمر رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» أصحابه: أن يوجهوا إلى حصنهم الذي في غطfan، وذلكعشية وهم في حصن ناعم، فنادي منادي رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» أن أصبحوا على رأيكم عند حصن ناعم الذي فيه غطfan.

قال: فرععوا من ذلك يومهم وليلتهم، فلما كان بعد هذه من تلك الليلة سمعوا صائحاً يصيح، لا يدرؤون من السماء أو الأرض: يا معاشر غطfan، أهلكم أهلكم! الغوث، الغوث بحيفاء-صيح ثلاثة-لا تربة ولا مال!

قال: فخرجت غطfan على الصعب والذلول، وكان أمراً صنعه الله لنبيه.

فلما أصبحوا أخبر كنانة ابن أبي الحقيق -وهو في الكتبية- بانصرافهم، فسقط في يديه [\(1\)](#).

ونقول:

1- إن قبيلة غطfan أصرت على أن تنصر اليهود، لأمريرين، هما: أنهم جيرانهم. وأنهم حلفاؤهم.

والاستجابة لنداء الجيرة والتحالف ليس بأولى من الاستجابة لما يوجبه العقل، وتفضله الفطرة، فإن غطfan كانت على الشرك الذي هو ظلم عظيم، وتأbah العقول، وتغافل منه الفطرة ..

ص: 110

---

1- المغازى للواقدى ج 2 ص 650 و 651.

فكان من المفروض: أن تستجيب-قبل كل شيء- لنداء العقل والفطرة، لتكشف صحة ما جاء به رسول الله «صلى الله عليه وآله» ، فتتسرير في خط طاعة الله سبحانه، موالية لأولئك، ومعادية لأعدائهم، ومحاربة لهم بكل قوة وصرامة وحزم. فلا عهد فوق عهد الله تعالى، ولا جوار لأحد في معصية الله سبحانه وتعالى.

2-إنه إذا كان اليهود قد وعدوا غطفان بشرط ثمار خير، فإن النبي «صلى الله عليه وآله» قد وعدهم بنفس ما وعدوهم به، مع فارق عظيم و هام، وهو: أن اليهود كانوا معروفيين بالغدر.

أما النبي «صلى الله عليه وآله» فكان الصادق الأمين، والوفي بالوعود والعقود.

3-إن اليهود إنما وعدوهم: بأن يعطوهم شطر ثمار خير، ولكن بشرط أن يعيشوهم، ويحاربوا معهم، ولا بد أن يقتل من يقتلون منهم، وأن تنشأ العداوات، والثارات، والإحن بينهم وبين المجتمع الإسلامي كله..

أما النبي «صلى الله عليه وآله» فلم يكلفهم بالحرب، بل اكتفى منهم بالكف وعدم الإقدام على مساعدة اليهود، فلا قتلى، ولا عداوات، ولا إحن، ولا أحقاد..

مع ملاحظة: أن طلب اليهود العون يشير إلى ضعفهم أمام عدوهم، وطلب النبي «صلى الله عليه وآله» منهم اعتزال الحرب، والحياد يشير إلى استغنائه عنهم، وإلى ثقته بالنصر على أعدائه. فكانت الاستجابة لرسول الله «صلى الله عليه وآله» هي الأصلح لهم حتى في حسابات الربح والخسارة الدينية.

4- ولعل الحس الذي سمعته غطfan، و خافت أن يكون في أهلها قد جاء ليؤكّد شدة خوفهم، و مدى رعبهم في قبال جيش المسلمين، على قاعدة: يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُ (1). لمجرد أنهم علموا بتوجه المسلمين نحو خير، رغم أنهم يعرفون: أن طريق النبي «صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» الآتي من المدينة إلى خير لا تمرّ بهم، لأن طريق غطfan إلى خير كانت من جهة الشام.

وقد استطاع النبي «صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» في هذا الالتفاف اللافت: أن يقطع هذه الطريق عليهم، كما أسلفنا.

5- إن غطfan لم تكن صادقة فيما ادعنته: من أنها تريد أن تستجيب لنداء الجيرة والعهد، حيث قالوا: هم جيراننا و حلفاؤنا. فإنه إذا كان هذا هو دافعهم الحقيقي فلماذا يكلفون اليهود نصف ثمار خير؟ فإنها إذا كانت تريد أن تقى بالتزاماتها الأخلاقية، و تستجيب لنداء الجيرة، و تنفذ عهدها فيما بينهم وبينها. فلا حاجة إلى هذه الأموال.

بل إن قبولها من المتربي بها، فضلا عن المطالبة بها عيب، و عار، و خسنه، و صغار.

6- وإذا كانت غطfan قد خافت من إغارة المسلمين على ديارها وأهلها، فقد كان بإمكانها أن ترسل سرية-لو رمزية-من رجالها، لمساعدة اليهود، قضاء لحق الجيرة، و وفاء بالعهد و الحلف. و يبقى الآخرون لدفع المهاجمين المحتملين.

ص: 112

---

1- الآية 4 من سورة المنافقون.

فإذا كان ثمة من هجوم، فإن باستطاعة هؤلاء أن يشاغلوا المهاجمين إلى أن يرسلوا إلى حلفائهم وجيروانهم من اليهود ليعينوهم مع باقي الرجال الذين ذهبوا لنجدتهم، وإن لم يهاجمهم أحد، فإنهم يكونون قد وفوا بالتزاماتهم، ودفعوا عن جيروانهم، ووفوا بعهودهم، لوحظ أنه كانت لهم معهم عهوداً!

7- إن كلمة بـ«حيفاء» قد صحت فصارت «جنفاً»، كما سيأتي حينما قال النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» لبني فزارة عندما هددوه بالقتال إن لم يعطهم الغنائم: «موعدكم حيفاً». حيث أراد «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» أن يذكرون بهذا النداء السماوي، ليفهمهم أن الله تعالى هو الذي يدافع عنه، أو يهيء له الأمور.

8- ثم إن النداء الذي سمعته غطfan، قد عرّفهم: أن الله سبحانه يريد أن يظفر نبيه الأكرم «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» بيهود خير. . وقد كان هذا الأمر كافياً لهم ليعودوا إلى أنفسهم، وليرثمنوا بالله، وبرسوله، وأن يتهاقتو لنصرة هذا الرسول العظيم على أعدائه وأعدائهم. .

ولكنهم لم يفعلوا ذلك، بل استمروا على الكفر والجحود، ولو وجدوا الفرصة لخرجوا إلى حرب رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ»، وإلى نصرة أعداء الله تعالى..

وهذا هو الخدلان الإلهي، والخيبة والخسران. نعوذ بالله من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب.

9- وسيأتي: أن العرب وقريشاً قد شاركوا اليهود في الحرب ضد الإسلام والمسلمين. .

بل في بعض النصوص الآتية تصريح: بأن عدد الذين واجههم المسلمون في خيبر كان أربعة عشر ألفا.

10- إن الظاهر: أن هذه الأعداد الكبيرة كانت موزعة على الحصون المختلفة، وكانوا قد قرروا أن لا يخرجوا للقتال في ساحات الحرب والنزال. . فكان رأيهم هذا وبالا عليهم أيضا. .





## وصول رسول الله صلى الله عليه وآله إلى خيبر:

قال محمد بن عمر: ثم سار رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» حتى انتهى إلى المنزلة، وهي سوق لخيبر، صارت في سهم زيد بن ثابت، فعرّس رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» بها ساعة من الليل.

و كانت يهود لا يظنون قبل ذلك أن رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» يغزوهم لمنعهم، و حصونهم، و سلاحهم، و عددهم، فلما أحسوا بخروج رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» إليهم، قاموا بخروج كل يوم عشرة آلاف مقاتل صفوفا، ثم يقولون: محمد يغزونا؟ ! هيهات ! هيهات ! و كان ذلك شأنهم.

و كان يهود المدينة يقولون حين تجهز النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» إلى خيبر: ما أمنع -و الله - خيبر منكم. لو رأيتم خيبر، و حصونها، و رجالها لرجعتم قبل أن تصلوا إليهم، حصون شامخات في ذرى الجبال، والماء فيها واتن {أي لا ينقطع} .

إن بخيبر لألف دارع. ما كانت أسد، و غطfan يمتنعون من العرب إلا بهم. فأنتم تطيقون خيبر؟ !

فخرج رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» إليهم فعمي عليهم مخرجه،

حتى نزل رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» بساحتهم ليلاً، و كانوا حين بلغهم عزم النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» على المسير إليهم، اختلعوا في خطة حربهم معه، ولم يتحركوا تلك الليلة، ولم يصح لهم ديك حتى طلعت الشمس، فأصبحوا و أفتادتهم تخفق، و فتحوا حصونهم غادين معهم المساحي، و الكرازين [\(1\)](#) و المقاتل، فلما نظروا إلى رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» ولوا هاربين إلى حصونهم [\(2\)](#).

وروى الشافعى، و ابن إسحاق، و الشيخان من طرق، عن أنس، قال: سار رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» إلى خير، فانتهى إليها ليلاً، و كان رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» إذا طرق قوماً بليل لم يغير عليهم حتى يصبح، فإذا سمع أذاناً أمسك، وإن لم يسمع أذاناً أغار عليهم حتى يصبح.

فصلينا الصبح عند خير بغلس، فلما أصبح ركب رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» و ركب معه المسلمين، و أنا رديف أبي طلحة.

فأجرى نبي الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ»، فانحسر عن فخذ رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ»، فإني لأرى بياض فخذ رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ»، وإن قدمي لتمس قدم رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» [\(3\)](#).

ص: 118

---

1- الكرازين: الفووس.

2- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 118 و السيرة الحلية ج 3 ص 33 و الإمتناع ص 310 و راجع: المغازى للواقدي ج 2 ص 637 و 642 و 643 و الطبقات الكبرى لابن سعد ج 2 ص 106.

3- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 118 و السيرة الحلية ج 3 ص 33 و المغازى للواقدي ج 2 ص 643.

وخرج أهل القرية إلى مزارعهم بمكالاتهم. ومساحيهم، فلما رأوا رسول الله «صلى الله عليه وآله» ، قالوا: محمد والخميس. فأدبروا هربا.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله» ، ورفع يديه: «الله أكبر، خربت خير، إنا إذا نزلنا بساحة قوم، فساء صباح المندرين» [\(1\)](#).

وروي بسنن ضعيف، عن أنس، قال: كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» يوم خير على حمار مخطوم برسن من ليف، وتحته إكاف من ليف [\(2\)](#).

قال ابن كثير: الذي ثبت في الصحيح: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» جرى في زقاق خير حتى انحسر الإزار عن فخذه.

فالظاهر: أنه كان يومئذ على فرس لا على حمار.

ص: 119

---

1- سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 119 وفي هامشه عن: البخاري ج 2 ص 89 {610/2991} و مسلم ج 3 ص 1426 {120/1365} و راجع: السيرة الحلبية ج 3 ص 33 ولباب التأويل ج 4 ص 152 والإمتناع ص 311 والمغازي للواقدي ج 2 ص 642 و 643.

2- سبل الهدى والرشاد ج 7 ص 33 وج 5 ص 119 وفي هامشه عن: الحكم في المستدرك ج 2 ص 466 والبيهقي في الدلائل ج 4 ص 204، وانظر: الدر المنشور ج 6 ص 111. و راجع: السيرة الحلبية ج 3 ص 34 و مستدرك الوسائل ج 8 ص 268 و مكارم الأخلاق ص 15 والبحارج 6 ص 229 و سنن ابن ماجة ج 2 ص 1339 و الجامع الصحيح ج 2 ص 241 وفتح الباري ج 6 ص 56 و شرح النهج للمعتلي ج 11 ص 194 و تاريخ مدينة دمشق ج 4 ص 210 و الشفا بتعريف حقوق المصطفى ج 1 ص 131 و السيرة النبوية لابن كثير ج 3 ص 350 وعن تاريخ الخميس ج 1 ص 493.

قال: ولعل هذا الحديث-إن كان صحيحاً-محمول على أنه ركب في بعض الأيام، وهو محاصراً.

ونقول:

إن لنا مع النصوص المتقدمة عدة وقفات، هي التالية:

### الجيش هو الخميس:

سمى الجيش بالخميس، لأن خمسة أقسام: المقدمة، والقلب، والجناحان -أعني: الميمنة والميسرة- والساق.

### خربت خير:

وذكروا: أن الرسول «صلى الله عليه وآله» رفع يديه، وقال:

«الله أكبر، خربت خير، إنا إذا نزلنا بساحة قوم، فساء صباح المنذرين..».

فهل كان هذا منه «صلى الله عليه وآله» دعاء بخراب خير؟!

أو أنه «صلى الله عليه وآله» قد تفاعل بخرابها، حين رأى الفؤوس والمساحي، التي هي آلة الهدم، كما زعمه بعضهم.

أو أنه «صلى الله عليه وآله» بقصد الإخبار عن خرابها، بقرينة قوله: «إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين..»[\(1\)](#).

ص: 120

---

1- السيرة الحلبية ج 3 ص 33 والدر المنضود ج 2 ص 145 والبحار ج 20 ص 234 و 262 وج 21 ص 32 والأم للشافعي ص 267 والمجموع للنwoي ج 19 ص 288 و توير الحالك ص 391 والمبسوط للسرخسي ج 10 ص 31 و مناقب أمير المؤمنين ج 2 ص 509 والإرشاد للمفید ج 1 ص 110 و ميزان الحكمة ج 3 ص 2247 و مسند الشافعي ص 318 و مسند أحمد ج 3 ص 102 وج 3 ص 111 و 164 و 186 و 206 و 246 و 263 و 270 وج 4 ص 28 و 29 وعن صحيح البخاري ج 1 ص 98 و 152 و 228 وج 4 ص 5 و 16 و 188 و ج 5 ص 73 وعن صحيح مسلم ج 4 ص 145 و ج 147 و ج 5 ص 185 و الجامع الصحيح للترمذی ج 3 ص 54 و سنن النسائي ج 1 ص 272 وج 6 ص 132 و ج 7 ص 204 و المستدرک للحاکم ج 1 ص 460 و السنن الكبرى للبيهقي ج 2 ص 230 وج 9 ص 55 و 80 و 153 و شرح مسلم للنwoي ج 12 ص 164 و مجمع الزوائد ج 6 ص 149 وعن فتح الباري ج 7 ص 359 و شرح سنن النسائي للسيوطی ج 6 ص 132 و مسند أبي داود ص 283 و مسند الحمیدی ج 2 ص 504 و بغية الباحث ص 261 و كتاب السنة ص 594 و السنن الكبرى للنسائي ج 1 ص 478 وج 3 ص 161 و 335 وج 5 ص 177 و 178 و 200 وج 6 ص 441 و مسند أبي يعلى ج 5 ص 286 و 384 وج 6 ص 431 و ج 7 ص 30 و شرح معانی الآثار ج 3 ص 208 و صحيح ابن حبان ج 11 ص 50 وج 14 ص 452 وج 16 ص 195 و المعجم الصغير للطبراني ج 1 ص 196 و المعجم الأوسط للطبراني ج 3 ص 95 وج 4 ص 142 وج 8 ص 358 و المعجم الكبير للطبراني ج 5 ص 97 و مسند الشاميين ج 4 ص 22 و دلائل النبوة للإصفهاني ص 112 و الأذكار النبوية للنwoي ص 209 و نصب الرایة للزيلعی ج 6 ص 135 و كنز العمال ج 10 ص 385 و ص 465 وغير ذلك كثیر.

قد يكون هذا الاحتمال الأخير قريبا، ثم الاحتمال الأول. والله هو العالم.

**انحسار الإزار عن فخذ رسول الله صلى الله عليه وآله:**

وأما قولهم: جرى رسول الله في زفاف خيير حتى انحسر الإزار عن

ص: 121

أولاً: هل يراد الإيحاء: بأن النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» لم يكن متحفظاً في لباسه وستره بالمقدار الكافي؟!

وأين هو وقاره، وسكتنته «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ»؟ فلماذا لا يحتفظ بهما في مثل هذه الحالات التي لا توجب عجلة، إذ ليس هناك أمر يخاف فوته، ولا يوجد عدو تخشى مbagتته؟!

ثانياً: أليس يقولون: إن الفخذ من العورة، التي ينزعه رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» من الغفلة عن التحفظ عليها، أو التهاون في ستتها؟ أو أن يعجله أمر عن ذلك؟!

وقد قدمنا في جزء سابق من هذا الكتاب (1) ما روي عنه «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ»: أنه أمر رجلاً بستر فخذه؛ فإنها من العورة (2).

وهناك نصوص كثيرة، تدل على أن ما بين السرة والركبة عورة،

ص: 122

---

1- راجع: الصحيح من السيرة ج 2 ص 175 و 176.

2- مسندي أحمد ج 5 ص 290 وج 1 ص 275 و صحيح البخاري ج 1 ص 51 و سنن البيهقي ج 2 ص 228 والإصابة ج 3 ص 448 و فتح الباري ج 1 ص 403 و نيل الأوطار ج 2 ص 50 و مستدرك الحاكم ج 4 ص 180 و 181 و مجمع الزوائد ج 2 ص 52 عن أحمد، و الطبراني في الكبير، و الغدير ج 9 ص 282 فما بعدها، عن من تقدم، وعن إرشاد الساري، و ابن حبان في صحيحه، وليراجع: موطأ مالك، و الترمذى، وأبو داود، و مشكل الآثار ج 2 ص 284 و 285 و 286 وحتى ص 293. والمصنف ج 11 ص 27 و تأویل مختلف الحديث ص 323 و 324.

هناك نصوص تدل على حياة أبي موسى الأشعري وأبي بكر، والخدرى، لا مجال لإيرادها فعلاً (2). فيمكن الرجوع إليها في مظانها.

وقال العالمة الأميني: «هب أن النهي عن كشف الأخذاد تزريبي، إلا أنه لا شك في أن سترها أدب من آداب الشريعة، ومن لوازم الوقار، ومقارنات الأبهة، ورسول الله «صلى الله عليه وآله» أولى برعاية هذا الأدب، الذي صدع به هو الخ..» (3).

هذا، ولا بأس بالمقارنة بين ما يذكر هنا عن نبينا الأعظم «صلى الله عليه وآله» وبين ما يذكر عن حياة عثمان، حتى إن أبو بكر، وعمر ليدخلان على النبي «صلى الله عليه وآله»، وفهذه مكتوفة، فلا يسرّها، حتى إذا دخل عليه عثمان جلس، وستر فحذه، وسوى عليه ثيابه؛ فتسأله عائشة عن ذلك.

فيجيبها: بأنه ألا يستحيي من رجل تستحي منه الملائكة؟! أو ما هو

ص: 123

---

1- راجع: الغدير ج 9 ص 285 و 284 و 288 و 290 و 291 و 292. والمعجم الصغير ج 2 ص 96. و حياة الصحابة ج 2 ص 612 و 613 تجد كثيراً من أقوال العلماء و النصوص حول ذلك.

2- راجع: طبقات ابن سعد ج 4 ص 113 و 114 و الزهد و الرقائق ص 107 و ربیع الأبرار ج 1 ص 760 و حياة الصحابة ج 3 ص 482 عن کنز العمال ج 8 ص 306 وج 5 ص 124 وعن حلية الأولياء ج 1 ص 34 و الغدير ج 7 ص 248 وج 9 ص 281.

3- الغدير ج 9 ص 285.

يضاف إلى ذلك: أن النبي «صلى الله عليه وآله» نفسه يأمر بالحياة ويؤكد ويحث عليه باستمرار، فيقول: إذا لم تستح، فاصنع ما شئت [\(2\)](#).

ص: 124

1- مجمع الزوائد ج 9 ص 82 و البداية والنهاية ج 7 ص 202 عن الطبراني في الكبير، والأوسط، ومسند أحمد، وأبي يعلى، وتاريخ جرجان ص 416، والمصنف للصناعي ج 11 ص 232 و 233 و المحاسن والمساوئ ج 1 ص 61 و حياة الصحابة ج 2 ص 611 و 612 عن الأولين، ومشكل الآثار ج 2 ص 283 و 284 و مسند أحمد ج 1 ص 71 وج 6 ص 62 و 155 و 167 و صحيح مسلم ج 7 ص 116 و 177 و الغدير ج 9 ص 274 و 275 و 287 و 290 عن الآخرين، وعن: مصابيح السنة ج 2 ص 273 و الرياض النضرة ج 2 ص 88 و راجع: تأويل مختلف الحديث ص 323 و التراطيب الإدارية ج 2 ص 383 و 384 وفيه أحاديث أخرى عن حياة الملائكة من عثمان، ومسند أبي يعلى ج 7 ص 415.

2- راجع: كنز العمال ج 3 ص 122 و مسند أحمد ج 4 ص 273 و 5 ص 121 وج 5 ص 273 و عن صحيح البخاري ج 5 ص 100 و تحفة الأحوذى ج 2 ص 74 و مسند ابن الجعد ص 130 و المعجم الكبير ج 17 ص 236 و 237 و 238 و مسند الشهاب ج 2 ص 186 و الأذكار التنووية ص 410 و رياض الصالحين للنووي ص 713 و الجامع الصغير لسيوطى ج 1 ص 6 و 382 و عن فتح البارى ج 10 ص 434 و الغدير ج 9 ص 275 و مستدرك الوسائل ج 8 ص 466 و الشرح الكبير لابن قدامة ج 12 ص 43 و سبل السلام لابن حجر ج 4 ص 206 و المغني لابن قدامة ج 12 ص 33 و تنوير الحوالك ص 167 و إعانته الطالبين ج 4 ص 318 و الإقناع للحجاوي ج 2 ص 280 و مغني المحتاج ج 4 ص 427 و ميزان الحكمة ج 1 ص 718 و فيض القدير ج 2 ص 685 و كشف الخفاء ج 1 ص 14 و 98 و تقسيم مجمع البيان ج 8 ص 388 و المحسوب للرازي ج 2 ص 34 و الكامل ج 6 ص 82 و طبقات المحدثين ياصيبهان ج 3 ص 560 و تاريخ بغداد ج 3 ص 315 وج 10 ص 303 و 354 و تاريخ مدينة دمشق ج 25 ص 388 وج 36 ص 183 و 53 ص 120 و أسد الغابة ج 2 ص 227 و تهذيب الكمال ج 16 ص 124 و الأنساب للسمعاني ج 4 ص 154 و البداية والنهاية ج 2 ص 169 وج 12 ص 68 و 158.

1- راجع: الكافي ج 1 ص 7 وج 2 ص 106 وتحف العقول ص 394 وشرح أصول الكافي ج 8 ص 301 والوسائل { ط دار الإسلامية } ج 11 ص 330 ومستدرك الوسائل ج 8 ص 461 وج 463 ص 81 وكتاب الزهد للكوفي ص 6 والمسترشد للطبراني ص 16 ودلائل الإمامة ص 66 ومشكاة الأنوار للطبرسي ص 411 والبحار ج 1 ص 149 وج 68 ص 329 وج 75 ص 309 وج 76 ص 112 والغدير ج 9 ص 275 ومستدرك سفينة البحار ج 1 ص 310 ومكاتيب الرسول ج 3 ص 576 و 577 و ميزان الحكمة ج 1 ص 717 ومسند أحمد ج 2 ص 501 وسنن ابن ماجة ج 2 ص 1400 وسنن الترمذى ج 3 ص 247 و المستدرک للحاکم ج 1 ص 52 و 53 و مجمع الزوائد ج 1 ص 91 وج 8 ص 26 وعن فتح الباري ج 10 ص 433 ومسند ابن الجعد ص 421 والمصنف لابن أبي شيبة ج 6 ص 92 وج 7 ص 222 والأدب المفرد للبخاري ص 278 ومكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا ص 35 وأمالي المحاملي ص 104 و صحيح ابن حبان ج 2 ص 373 و 374 والمعجم الصغير ج 2 ص 115 والمعجم الأوسط ج 5 ص 193 والمعجم الكبير ج 10 ص 196 وج 18 ص 178 وج 22 ص 414 و موارد الظمان ص 476 و الجامع الصغير ج 1 ص 596 وج 2 ص 25 والعهود المحمدية للشعراوي ص 459 و كنز العمال ج 3 ص 53 وج 120 ص 15 و فيض القدير ج 3 ص 877 و فيض القدير ج 3 ص 568 وج 4 ص 75 و تفسير الشعابي ج 4 ص 269 وتاريخ بغداد ج 6 ص 189 و تاريخ مدينة دمشق ج 14 ص 55 و ميزان الإعتدال ج 1 ص 110 و الكشف الحيث لسبط ابن العجمي ص 48 و لسان الميزان ج 1 ص 198 و تاريخ اليعقوبي ج 2 ص 93 و بيت الأحزان للقمي ص 46 و لسان العرب ج 14 ص .148

إلى غير ذلك من النصوص الكثيرة المروية عنه «صلى الله عليه وآله» ، ولا مجال لتبعها.

**لا يظن اليهود: أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بَغْرَوْهُمْ:**

وقد ذكرت الرواية المتقدمة: أن اليهود كانوا لا يظنون قبل ذلك: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» يغزوهم لمنعهم وسلامتهم، وعدهم.

ونقول:

1- إن هؤلاء كانوا مغرورين بأنفسهم بدرجة كبيرة، فهم يرون أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد خاض حرباً صعبة وهائلة، و من الله عليه بالنصر فيها، وهو قد ألجأ قريشاً، التي لا يشك أحد في زيادة عددها أضعافاً على العدد الذي عنده، ولا يماري أحد في سيادتها وتغدوها في الحجاز كله-أجلها- إلى طلب الصالح. وفرض عليها شروطه القوية، رغم أن عدد الذين كانوا معه في جميع تلك المشاهد لا يقاس بعدد جيوش أعدائه. إضافة إلى ضعف ظاهر في التجهيز في السلاح، وفي كثير من الامتيازات الحربية الأخرى.

ص: 126

ثم إنهم قد رأوا: أنه «صلى الله عليه وآله» يكاتب ملوك الأرض، ويدعوهم إلى دينه. وإلى الاعتراف ببنوته. .

فكيف مع هذا كله لم يكن اليهود يظنون أنه يغزوهم؟ !

ومتى ظهر لهم: أنه «صلى الله عليه وآله» قد خاف من كثرة الحصون، أو ثني عزيمته كثرة عدد أعدائه؟ !

2- إذا كانوا لا يظنون أنه يغزوهم لمنعهم و. . فلماذا أرسلوا وفدهم إلى قبيلة غطfan لطلب العون، وجعلوا لتلك القبيلة شطر ثمار خير،  
إذا انتصروا على المسلمين؟ ! ..

و مع كل ذلك نؤكد على: أنهم ربما كانوا يظهرون للناس هذا الأمر تجليداً منهم، و مكراً و دهاء، يخفي وراءه رعباً قاتلاً، و خوفاً مخزيَاً،  
دفعهم إلى الاتصال بتلك القبيلة، وعرض ثمرة ديارهم عليهم، ليفوزوا بنصرهم. .

ولكن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد عرض ثمرة بلاد عدوه، مقابل وقوف تلك القبيلة على الحياد، وشنان ما بينهما. .

### الأذان عالمة الإسلام:

وقد تقدم: أنه «صلى الله عليه وآله» كان ينتظر أذان الصبح، فإن سمع الأذان امتنع عن الهجوم.

ولعل السبب في ذلك: أن قرار الحرب والسلم قد يتخذه زعماء تلك الجماعة، لأطماع، معينة، أو لثارات شخصية، أو أهداف شخصانية،  
ترمي إلى بسط الزعامة والنفوذ لبعض الطامحين، وقد تكون لأسباب اقتصادية أو

غيرها.. مع عدم رضا المرؤوسين بتلك الحرب، أو مع عدم وجود مبرر لها في حياتهم.. فيسوق زعيم القبيلة مع حفنة من أعوانه قبيلته إلى حرب رسول الله «صلى الله عليه و آله» في حين يكون عامة الناس في تلك القبيلة، و الجماعة غير راضين بخوض تلك الحرب.

فكان «صلى الله عليه و آله» يراقب حاله الناس و يميز بينهم، فإن رأى فيهم أية أمارة تدل على استحقاق الرفق بهم، أو تدل على إسلامهم- كالأذان- كف عنهم، و سعى في حل الإشكال مع الذين يسوقونهم إلى الحرب بطرق أخرى، أو سعى إلى استهداف المجرمين منهم دون المستضعفين المقهورين. وهذا هو الغاية في الحكمة و منتهى اللطف منه «صلى الله عليه و آله» بمن يظهرون العداوة و ينصبون الحرب له.

و من جهة أخرى، فقد ذكرت الروايات: أنه «صلى الله عليه و آله» كان لا يهاجم عدوه ليلا، بل ينتظر فيه طلوع الفجر، وفقا لما أشير إليه في قوله تعالى: فَالْمُغَيْرَاتِ صُبْحًا [\(1\)](#).

وقوله تعالى: وَلَقَدْ صَبَّحُهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقْرٌ [\(2\)](#).

وقوله: فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَّاحُ الْمُنْذَرِينَ [\(3\)](#).

وقوله: .. إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ [\(4\)](#).

ص: 128

---

1- الآية 3 من سورة العاديات.

2- الآية 38 من سورة القمر.

3- الآية 177 من سورة الصافات.

4- الآية 81 من سورة هود.

وقوله: أَنَّ دَابِرَ هُؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ [\(1\)](#).

وقوله: فَأَخَذْتُهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ [\(2\)](#) وغير ذلك.

وذلك كله يدل: على أن الهجوم على العدو صباحا-كما كان يفعل رسول الله «صلى الله عليه وآله» وكذلك علي «عليه السلام» من بعده-هو الراجح والأولى، ولعل لهذا الأمر اعتبارات نفسية، وعملية قد يحتاج التعرف عليها إلى مزيد من التأمل والتدقيق.

### استعارات و انتفاخات كاذبة:

وإن ما كان يقوم به اليهود من الخروج في كل يوم، وهم عشرة آلاف، يصفون ويقولون: محمد يغزونا؟ هيئات! هيئات! لا يحتاج إلى تعليق.

فقد أشرنا أكثر من مرة إلى أن الاغترار بالكثرة والاعتماد عليها.. دليل الفشل والسقوط.

خصوصا إذا كان ذلك في حال الحرب، وبالأخص إذا كان أولئك الناس من أهل الدنيا، والغارقين بالحياة المادية إلى آذانهم، لأن كلاما منهم يريد أن يضحي بغيره من أجل نفسه، فهو يتخذ من غيره مجندا، وترسا يتحفّى وراءه باستمرار، وهو يشعر: أن نفسه التي بين جنبيه هي المستهدفة بالقتل والقتال..

ولذلك فهو يتخيل: أن الكثرة من شأنها تكديس الموانع والحواجز التي سوف يختبئ وراءها.. ويحتاج العدو إلى إزالتها والتخلص منها قبل أن يصل إليه..

ص: 129

---

1- الآية 66 من سورة الحجر.

2- الآية 83 من سورة الحجر.

مع أنه إذا جد الجد و حمي الوطيس سيري: أن الكل يفكر بنفس الطريقة، فإن كانوا عشرة آلاف، فسيجده العشرة آلاف كلهم يفكرون بما يفكرون به هذا وذاك، أي أن كل واحد منهم يريد أن يجعل الآخر ترساً و مجنأ لهم، ليكون في قبال حرب العدو، وسيوفه و سهامه، التي سوف تأكل من لحمه، و تهشم عظمه.

فإذا وصل به الخيال إلى هذا الحد، فإنه سوف يسعى لإبعاد شبح الحرب عن مخيلته، و سوف يتلذذ بالصور التي يخترعها لمبررات التخلص من عدوه.

ولعل ألذها وأغلاها على قلبه هي تلك الصور التي تزين له كيفية انصراف العدو عن الحرب، و لسوف يندمج و يتفاعل مع هذه الصور، حتى تصبح هي الحقيقة التي لا محيسن منها عنده، و لا بديل عنها لديه. .

ولذلك اعتقاد اليهود: أن النبي «صلى الله عليه وآلـه» سوف لا يأتي لحربهم، لأنهم توهموا: أنه «صلى الله عليه وآلـه» يفكر كما يفكرون، و يخشى من الكثارات كما يخشون. .

و كانت تلك الاستعراضات والانتفاخات الكاذبة تجسد لهم أحلامهم هذه، و تزينها. حتى إذا استفاقوا من سباتهم هذا وجدوا أنفسهم أمام الحقيقة، ولم يكن لهم بد من مواجهة مصيرهم المحتوم.. و هكذا كان..

و هذا يصلح تقسيراً لما قد يعتبر تناقضنا ظاهراً في مواقفهم، فهم إذا كانوا قد أحسوا بخروج رسول الله «صلى الله عليه وآلـه» إليهم، و طلبوا معونة غطfan، و ربوا حصونهم بحيث يحاربون في بعضها، و يجعلون ذراريهم وأموالهم في البعض الآخر..

فما معنى قولهم: محمد يغزونا؟ ! هيهات ! هيهات !

ولكن شرط أن يضاف إليه: أن يكون المقصود بهذا الاستعراض، إظهار الإعجاب بقوتهم وبكثرتهم، والسعى للتشجع، والحصول على الجرأة على خوض تلك الحرب التي يخشونها كل الخشية ..

### مشورة الحباب:

#### اشارة

وقال محمد بن عمر: إنه حين نزل النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» في خير، وجاء الحباب بن المنذر، فقال: يا رسول الله، إنك نزلت منزلك هذا، فإن كان من أمرت به فلا تتكلم، وإن كان الرأي تكلمنا.

فقال «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» : «هو الرأي» .

فقال: يا رسول الله، دنوت من الحصون، ونزلت بين ظهري النخل، والنَّرْ، مع أن أهل النطة لي بهم معرفة، ليس قوم أبعد مدى سهم منهم، ولا أعدل رمية منهم، وهم مرتفعون علينا، ينالنا نبلهم، ولا نأمن من بياتهم، يدخلون في خمر النخل، فتحوّل يا رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» إلى موضع بريء من النَّرْ، ومن الوباء، نجعل الحرة بيننا وبينهم، حتى لا تناالنا نبالهم، ونأمن من بياتهم، ونرتقع من النَّرْ.

فقال رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» : «أشرت بالرأي، ولكن نقاتلهم هذا اليوم» [\(1\)](#). إذا أمسينا إن شاء الله تحولنا [\(2\)](#).

ص: 131

- 
- 1- سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 119 و 120 وفي هامشه عن ابن سعد في الطبقات 3/109 و راجع: السيرة الحلبية ج 3 ص 33 و 34 والمغازي للواقدي ج 2 ص 643 و 644.
  - 2- السيرة الحلبية ج 3 ص 33 و 34 و سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 120 و راجع: المغازي للواقدي ج 2 ص 644.

ودعا رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» محمد بن مسلم، فقال: انظر لنا منزلًا بعيدًا من حضورهم، بريئًا من الوباء، نأمن فيه من بيتهم، فطاف محمد حتى أتى الرجيع، ثم رجع إلى رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ»، فقال: يا رسول الله، وجدت لك منزلًا.

فقال رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ»: «على بركة الله» [\(1\)](#).

وسيأتي: أنه «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» تحول لما أمسى، وأمر الناس بالتحول.

ويذكرون أيضًا: أن راحلته «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» قامت تجر بزماتها، فأدرك لترد، فقال: دعوها، فإنها مأمورة.

فلما انتهت إلى موضع من الصخرة بركت عندها، فتحول رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» إلى الصخرة. وتحول الناس إليها، واتخذوا ذلك الموضع معسكرا.

وفي الأصل: أنه نزل بذلك الموضع، ليحول بين أهل خير، وبين غلطان، لأنهم كانوا مظاهرين لهم على رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ»

وابتني هنالك مسجدا صلي به طول مقامه بخبير [\(2\)](#).

ص: 132

---

1- طبقات ابن سعد 109/3 و المصنف للصنعاني {9291} و السيرة الحلية ج 3 ص 34 و سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 119 و

120 وفي الهامش: أخرجه عبد الرزاق في المصنف {9291} .

2- السيرة الحلية ج 3 ص 34 و راجع: المغازي للواقدي ج 2 ص 644.

ونقول:

إن لنا مع النص المتقدم عدة وقفات، نجملها على النحو التالي:

### ألف: الإنقاذه من رسول الله صلى الله عليه و آله:

قد أظهرت الرواية المتقدمة: أن النبي «صلى الله عليه و آله» قد اختار لجيشه منزلًا غير صالح، من حيث إنه-كما أوضح الحباب- قريب من العدو إلى حد أن سهامهم تصل إليه.

يضاف إلى ذلك: ارتفاع الموضع التي يتواجد العدو فيها بالنسبة لموقع جيش المسلمين، فلهم إشراف، وسلط و هيمنة عليهم.

كما أن وجود التخل بكثافة يعطيهم الفرصة للاستفادة منه في مهاجمة المسلمين تحت جنح الظلام..

فهذه الحيثيات كلها لا ينبغي أن تخفي على أي إنسان عادي، يملك عقلاً وإدراكاً، ويعيش حالة التوازن في شخصيته، ولا يغفل عنها إلا من كان يعنيه من اختلالات في عقله، فكيف يصح نسبتها إلى عقل الكل، وإمام الكل، ومدبر الكل، وهو سيد الأنبياء والمرسلين، وأفضل الخلق أجمعين، من الأولين والآخرين، إلى يوم الدين؟!

وكيف يكون الحباب بن المنذر أعرف، وأرشد، وأوفر عقلاً من الرسول المسدد من الله، و المؤيد بالوحى؟!

ويجب أن لا ننسى: أنهم قد نسبوا إلى النبي «صلى الله عليه و آله» ، مثل ذلك في غزوة بدر، وقد ذكرنا هناك أيضاً أننا لا نشك في كون ذلك من الأكاذيب، فراجع..

## اشارة

و لعل الصحيح هو: أن الناس أو معظمهم كانوا قد تسرعوا في الأمر، و نزلوا في ذلك المكان القريب من العدو، الذي تنز الأرض فيه ماء. . حتى إن من يقيم في ذلك الموضع يبتلى- بسبب ذلك- ببعض الأدواء والأوبئة. فشكى الناس بلسان الحباب بن المنذر ذلك لرسول الله، و كان «صلى الله عليه و آله» عالما بالأمر، و عازما على التحول. .

ولكنه كان لا يريد أن يكسر عنفوان أولئك الناس الذين انطلقوا فيما فعلوه من نوايا طيبة، و نفوس سليمة، و ظاهرة. كما أنهم إذا عاينوا سوء ذلك الموضع بأم أعينهم فسوف يكون قرار الانتقال حاجة يشعرون هم أنفسهم بضرورة تلبيتها، من دون أي تردد، أو إحساس بالمرارة، أو اتهام منهم للآخرين بالمبالغة والتجمي.

كما أنه «صلى الله عليه و آله» لا يريد أن يشعر اليهود بأن ثمة تردا أو اهتزازا في القرارات، وفي السلوك والممارسة لدى المسلمين. فيجرؤهم ذلك عليهم، و تهتز هيبتهم في أعينهم، و يهيء لهم الأـجواء للفكر في منافذ من شأنها أن تثير بعض المتابع لديهم، فقرر «صلى الله عليه و آله» المقام في ذلك المكان إلى الليل، للإيحاء لهم بأن ذلك داخل في جملة القرارات المدروسة والمؤثرة.

## الحباب ذو الرأي من هو؟ !

واللافت هنا: أن المؤرخين يذكرون: أن الحباب بن المنذر قد عارض أهل السقيفة، و قال لقومه: لكأني بأبنائكم على أبواب أبنائهم {أي الدين

بوعوا في السقيفة} ، قد وقروا يسألونهم بأكفهم، ولا يسرون الماء.. [\(1\)](#).

بل ذكروا: أنه حين قال في السقيفة: أنا جديها المحك، وعديقها المرجب، أخذ ووطئ في بطنه، ودسو في فيه التراب [\(2\)](#).

وهو القائل في السقيفة: منا أمير، ومنهم أمير [\(3\)](#).

ولكن ذلك: لا يدل على أنه كان بقصد مناصرة علي «عليه السلام» ، بل قد يفهم من سياق حديث السقيفة: أنه كان بقصد تدبير الأمور لسعد بن عبادة، وأنه لم يكن -فيما يظهر- من المعروفين بالولاء لعلي «عليه السلام» ، أو لبني هاشم.

ومن جهة أخرى: فإننا تعودنا من فريق عينه من الناس تعظيم مناوي علي «عليه السلام» ، ومنهم الأوسمة، واعطائهم الامتيازات، مما الذي جعل الحجاب يستحق هذه الأوسمة منهم يا ترى؟ !

فهل تمكن الذين حكموا بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله» من اجتنابه إلى جانبهم، فاستحق بذلك أن ينال بعض هذا الثناء، فيكون الرجل الرشيد، وصاحب الرأي السديد، دون الرسول «صلى الله عليه

ص: 135

---

1- الإمامة والسياسة {ط سنة 1356 ه بمصر} ج 1 ص 9.

2- قاموس الرجال ج 3 ص 46 عن شرح النهج للمعتزلي ج 6 ص 40 والغدير للأميني ج 7 ص 76.

3- الإمامة والسياسة {ط سنة 1356 ه بمصر} ج 1 ص 7 وشرح النهج للمعتزلي ج 2 ص 24 وج 6 ص 9 وصحیح البخاری كتاب الحدود باب رجم الحبلی من الزنى، والکامل لابن الأثیر ج 2 ص 25 و تاریخ الأمم والملوک ج 2 حوادث سنة 11 هـ . والإحتجاج للطبرسي ج 1 ص 92.

وآلہ»، حتی لیدّعون أنه حين نزل النبي «صلی اللہ علیہ وآلہ» فی بدر، استنادا إلى رأی نفسه، وأشار هو عليه «صلی اللہ علیہ وآلہ» بالنزول في موضع آخر، نزل جبرئيل «عليه السلام»، فقال: الرأي ما وأشار به حباب [\(1\)](#).

### ج: حديث الراحلة:

1-وكما كانت ناقة رسول الله «صلی اللہ علیہ وآلہ» مأمورة بتحديد الموضع كما جرى في الحديبية، وحين وصوله «صلی اللہ علیہ وآلہ» إلى المدينة مهاجرا من مكة، فقد كان لناقته «صلی اللہ علیہ وآلہ» دور أيضا في واقعة خير. فإنها كانت مأمورة حين قامت تجر بزمامها حتى انتهت إلى موضع بعينه، فبركت فيه، فتحول «صلی اللہ علیہ وآلہ» إليه. وتحول الناس معه، واتخذوا ذلك الموضع معس克拉.

و كانت هذه إشارة كافية لتعريف الناس برعاية اللہ تعالى لهذه المسيرة، ورضاه عنها. فلتسكن القلوب إذن، وليطمئن الناس إلى ما يختاره اللہ تعالى لهم. فالمقتول في هذه المعركة شهيد، والباذل مهجته في سبيل اللہ مجاهد. وما هي إلا إحدى الحسنين: إما النصر، وإما الشهادة! .

2-وحديث الراحلة هذا يكذب الرواية الأخرى التي زعمت: أن النبي «صلی اللہ علیہ وآلہ» قد طلب من محمد بن مسلمة: أن يبحث لهم عن مكان ينزلون فيه، فطاف حتى أتى الرجيع فاختاره له، فانتقل «صلی اللہ علیہ وآلہ» إليه. .

ص: 136

فإننا لا نجد في رواية الراحلة أية دواع للكذب، والافعال، بينما تكون هذه الدواعي متوفرة بالنسبة لمحمد بن مسلمة، حسبما أشرنا إليه عدة مرات، وربما نشير إلى ذلك أيضا فيما يأتي .

3- بل إن بعض النصوص قد صرحت: بأنه «صلى الله عليه وآله» قد اختار ذلك المكان ليحول بين أهل خير وغطfan..

وربما تكون الراحلة، قد حددت الموضع، ثم جاء التصریح من النبي «صلى الله عليه وآله» : بأن النزول في ذلك المكان بعينه سوف يقطع طريق الاتصال بين اليهود، وبين غطfan..

#### **د: بناء المسجد في خير:**

وليس من قبيل الصدفة: أن يبادر رسول الله «صلى الله عليه وآله» لبناء مسجد له في خير، فإن ذلك يتضمن الإيحاء لل المسلمين بالنتائج الإيجابية لهذه الحرب التي يقدمون عليها.

كما أنه إشارة، بل إعلان لليهود خير بثقتهم «صلى الله عليه وآله» بالنصر عليهم، وبظهور الإسلام في بلادهم رغم عنهم .

#### **صوابية تدبیر اليهود:**

قالوا: «ابتدا رسول الله «صلى الله عليه وآله» من حصونهم بحصون النطة. وقيل: ابتدا بحصون الكتبية؛ لأنهم أدخلوا عيالهم وأموالهم في حصون الكتبية، وجمعوا المقاتلة في حصون النطة» [\(1\)](#).

ص: 137

غير أننا لم نستطع أن نقنع أنفسنا بصوابية هذا التدبير، فإن فصل العيال عن المقاتلين بهذا التحول قد يعطي الفرصة للجيش المهاجم لتكليف طائفة من مقاتليه بمساغلة المقاتلين في حصن النطة، ثم تتولى فئة أخرى مهاجمة الحصن الذي فيه العيال والأموال، وفتحه، والاستيلاء على ما وُمِن فيه. . وبذلك يكونون قد عرضوا أنفسهم لضربة قاصمة على الصعيد النفسي على أقل تقدير.

ومن جهة ثانية نقول: ماذا لو أن الجيش المهاجم اختار أن يهاجم الحصن الذي فيه المال والعيال بكل جنوده، أو اختار حصنا آخر غير حصني النطة والكتيبة، ليهاجمه، فما الذي يصنعه الجيش المتجمع في حصن النطة؟! هل سيترك موقعه، ويبادر لنجدته مقاتلي الحصن الآخر؟!

وهل سوف يصحر للجيش المهاجم، ويلقيه في الصحراء، أو بين أشجار التخيل؟

أم سوف يبقى معتصما بالحصن الذي هو فيه، ويكتفي بالرمي من فوق الأسوار؟!

من أجل ذلك نقول:

لعل الحقيقة هي: أن اليهود قد وضعوا عيالهم وأموالهم، ورجالهم في الحصن الأقوى بنظرهم. ووضعوا قسمًا من رجالهم في أول حصن يتوقعون مهاجمة الجيش القادم له. . على أمل أن يتمكنوا من حفظ تلك الحصون من أخذ المهاجمين لها، والاستفادة منها في إذلالهم، وقهرهم.

كما أن تواجدهم في تلك الحصون قد يربك المسلمين، ويوهمهم صعوبة تحقيق النصر، ويعيث في نفوسهم اليأس من الظفر، ويحملهم على

التفكير بالرجوع عنهم بلا نتيجة، أو بنتيجة هي لصالحهم في جميع احتمالاتها ووجوهاها .

### قطع نخيل النطة:

قالوا: «وأمر «صلى الله عليه وآلـه» بقطع نخيل أهل حصنون النطة؛ فوقع المسلمين في قطعها، حتى قطعوا أربع مائة نخلة، ثم نهاهم عن القطع، فما قطع من نخيل خير غيرها» [\(1\)](#).

بل لقد زعموا: أن الحباب بن المنذر هو الذي أشار على النبي «صلى الله عليه وآلـه» بقطع النخيل، لأن النخيل أحب إلى اليهود من أبكار أولادهم، فأمر «صلى الله عليه وآلـه» بقطع النخل، فوقع المسلمين في قطعها حتى أسرعوا في ذلك، فجاء أبو بكر إلى النبي «صلى الله عليه وآلـه» ، وقال له: يا رسول الله، إن الله عز وجل قد وعدكم خير، وهو منجز ما وعدكم. فلا تقطع النخل.

فأمر منادي رسول الله «صلى الله عليه وآلـه» فنهى عن القطع [\(2\)](#).

وفي نص آخر: أن الذي طلب من النبي «صلى الله عليه وآلـه» عدم قطع النخيل هو عمر [\(3\)](#).

ص: 139

---

1- السيرة الحلبية ج 3 ص 34 والإمتناع ص 311 والمغازي للواقدي ج 2 ص 644 و 645 و تاريخ الخميس ج 2 ص 46.

2- راجع: المغازي للواقدي ج 2 ص 644.

3- السير الكبير للشيباني ج 1 ص 55 و تدوين القرآن ص 27.

ونقول:

إن ذلك غير مقبول، لأن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يكن العوبة بأيدي الآخرين، وكان أعلم الناس بالمصالح والمفاسد، وبالتدبر الصحيح.

و مع ذلك نقول: 1-إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» كان يوصي سراياه وبعوته بأن لا يقطعوا شجرا [\(1\)](#).

2-لماذا أمرهم بقطع نخيلهم في خصوص حصون النطاة دون سواها؟ مع أن النخيل في حصون الكتبية كان أكثر بكثير، فقد قيل -كما تقدم- إنه كان فيها أربعون ألف عذق.

3-لماذا اعاد فهادهم عن موافقة قطع النخيل، مع أنهم لم يقطعوا سوى أربع مائة نخلة؟! فهل هو قد وجد: أن قطع النخيل لم يكن صوابا؟ أو لم يكن راجحا؟! ثم تبين له الصواب والراجح!!

4-إذا كانت مشورة أبي بكر هي التي منعته من موافقة القطع . فلماذا أدرك أبو بكر ما لم يدركه رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟ !

ولماذا كانت النبوة من نصيب الذي قصر فهمه عن إدراك هذا الأمر، وحرم ذلك الرجل الراجح العقل من هذا المقام؟!

ص: 140

---

1- الكافي ج 1 ص 334 و 335 وج 5 ص 30 و البخاري ج 19 ص 177-179 و راجع: مسند أحمد ج 1 ص 300 والتهدیب للطوسي ج 6 ص 138 و 139 والأموال ص 35 و تذكرة الفقهاء ج 1 ص 412 و 413 و منتهي المطلب ج 2 ص 908 و 909 و جواهر الكلام ج 21 ص 66 والوسائل ج 11 ص 43 و 44 و المحاسن للبرقي ص 355.

5- وإذا كان قطع النخيل يرضي الله تعالى، فلماذا أطاع النبي «صلى الله عليه وآله» أبا بكر؟!

وإذا كان لا يرضي الله تعالى فلماذا أطاع الحباب؟!

وكيف يصبح هذا وذاك، والنبي «صلى الله عليه وآله» لا يقول ولا يفعل إلا ما يرضي الله سبحانه؟!

فالظاهر هو: أنه «صلى الله عليه وآله» قد أمر بقطع بعض النخلات استجابة لضرورات الحرب، لاحتياج العسكر إلى الفسحة المناسبة، حيث لا عائق له عن الحركة، ولا موانع من الرصد الدقيق لتحركات العدو، ولغير ذلك من موجبات.

### الأمان لمن أراد:

عن الصحاك الأنباري، قال: لما سار النبي «صلى الله عليه وآله» إلى خير جعل علياً «عليه السلام» على مقدمته، فقال «صلى الله عليه وآله» : من دخل النخل فهو آمن.

فلمما تكلم النبي «صلى الله عليه وآله» نادى بها علي «عليه السلام» ، فنظر النبي «صلى الله عليه وآله» إلى جبرائيل يضحك، فقال: ما يضحكك؟!

قال: إني أحبه.

فقال النبي «صلى الله عليه وآله» لعلي «عليه السلام» : إن جبرائيل يقول إنه يحبك!

قال «عليه السلام» : بلغت، أن يحبني جبرائيل؟

قال «صلى الله عليه وآله» : نعم، ومن هو خير من جبرائيل، الله عزّ

ونقول:

إن لنا مع ما تقدم عدة وقفات، هي التالية:

### من دخل النخل فهو آمن:

لقد تضمن هذا النص: أمرا هاما، من حيث دلالته الصريحة على: أنه «صلى الله عليه وآله» لم يكن يقاتل اليهود، لأنّه اتخذ قرارا مسبقا بقتلهم ويايادتهم، أو بقهرهم، والاستيلاء على بلادهم، وقد جاء الآن لتنفيذ هذا القرار.

كما أنه قد تضمن إعطاء الأمان للناس من دون أي شروط، والاكتفاء بمجرد إظهار الرغبة في الدخول في الأمان.

وهذا يعني: أنه «صلى الله عليه وآله» لم يكن يريد أن يستفيد من قوته العسكرية الضاربة لفرض شروطه على محاربيه، بل كانت شروطه هي تلك الشروط، التي يسعى إليها كل إنسان بحسب سجنته وفطرته العامة، وهي كل ما يتضمنه العدل والإنصاف للناس.

وهذا يدل: على أن الهدف هو مجرد التخلص من الفتنة، ودرء الأخطار، وإعادة تصحيح الأوضاع لصالح السلم، وإشاعة الأمن، وضمان الحرية في نطاق الانضباط والالتزام بالحدود، والوفاء بالعهود، والمواثيق.

ثم إن هذه الشروط قد أعطت الإيحاء للعدو: بأن ثمة يقينا بالنصر، وبأن عليهم أن يراجعوا حساباتهم، فلا تغرهم عدتهم، ولا عديدهم.

ص: 142

كما أن وجود هذا الخيار، وظهور الميل إليه لدى بعض الفئات المحاربة، سوف يضعف الثقة فيما بينهم، ويخلّ بإمكانية الاعتماد على بعضهم البعض، حين يبقى احتمال رغبة الناس بالأمان واحتمال أن يبادر إلى التماسه كل فرد منهم، ماثلاً أمامهم، يثير القلق في نفوسهم، ويضعف تأثير قراراتهم في تسكين النفوس، وفي الشعور بالأمن، وبالطمأنينة للسلامة، والثقة بالنصر، وبالتناصر..

يضاف إلى ذلك: أنه قد يكون هناك أناس مستضعفون مغلوبون على أمرهم، يقهرهم الأقوباء على موقف لا يريدونها، ويستحررونهم لتحقيق مآربهم، فيكون إعطاء هذا الأمان فرصة لهم يعيد إليهم الخيار، ويمكّنهم من الاختيار، وبذلك يصبحون هم الذين يتّحملون المسؤولية لو خاضوا تلك الحرب، وارتكبوا أي خطأ، أو ذنب.

وليس لهم أن يعتذروا بالاستضعفاف، وانسداد أبواب الخيارات الصحيحة أمامهم.

### **جعل عليه السلام على المقدمة:**

وإن جعل قيادة ذلك الجيش إلى علي «عليه السلام» هو في حد ذاته أحد مفردات الحرب النفسية، الشديدة التأثير على الأعداء، الذين يعرفون عليها «عليه السلام»، وقد أذاقهم سيفه ال威يلات، وحلت بهم منه الكوارث والنكبات. وهو أيضاً يعطي المسلمين المزيد من القوة والاندفاع، والثقة بالنصر..

### **الشكك في قيادة علي عليه السلام:**

وقد حاول بعضهم التشكيك بجعل علي «عليه السلام» على مقدمة الجيش.

ص: 143

فقد قال الديار بكري: «و استعمل على مقدمة الجيش عكاشة بن محسن الأُسدي، وعلى الميمونة عمر بن الخطاب، وعلى الميسرة واحداً من أصحابه، وفي بعض الكتب على أبي بن أبي طالب.

وهذا غير صحيح: لأن الروايات الصحيحة تدل على: أن علياً في أوائل الحال لم يكن في العسكر. وكان به رمد شديد. ولما لحق بالعسكر، أعطاه الرأبة، وأمره على الجيش، وقع الفتح على يده كما سيجيء» انتهى [\(1\)](#).

ونقول:

إن لنا على ما ذكره بعض المؤاخذات: فأولاً: إن دعوه: أن النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» قد جعل عمر بن الخطاب على الميمونة غريبة حقاً، فإننا لم نعهد في هذا الرجل طيلة حياته مع رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» أية مواقف شجاعية، تؤهله لهذا المقام الخطير.

وقد كنا نتوقع: أن يذكروا هنا أشخاصاً آخرين ممن لهم هوى، حتى لو كان سعد بن عبادة، أو الحباب بن المنذر، أو الزبير، الذي شفعت له عندهم حرب الجمل التي قادها ضد علي «عليه السلام»، أو محمد بن مسلمة، لأننا نعلم: أن لهم عنابة خاصة بأمثال هؤلاء، وحرصاً على تسطير الفضائل والكرامات لهم.

وأما أبو دجانة، والمقداد، ونظراؤهم من الذين كان لهم ميل إلى علي «عليه السلام»، فلا نكاد نشعر بأن لهم نصيباً في شيءٍ من ذلك.

ولعلهم قد أبهموا اسم الذي كان على الميسرة لأنَّه كان في جملة هؤلاء

ص: 144

الذين لا يحبون ذكرهم في أمثال هذه المواقف، ولم يكن ثمة مجال لتبديله بغيره، لشدة ظهور أمره للناس.

ثانياً: سيأتي إن شاء الله تعالى: أن علياً «عليه السلام» كان على رأس جيش رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» من حين خروجه من المدينة، وقد طال مقامه في خير عشرات الأيام، وربما بلغ أشهراً، فالرمد لم يصب علياً «عليه السلام» كل هذه المدة الطويلة، بل أصابه قبل قتل مرحباً بوقت يسير، وإنما قتل مرحباً في آخر أيام خير، وبعد حصار حصونهم المختلفة عشرات الأيام.

بل لقد حوصل حصن القموص نفسه عشرين يوماً كما سيأتي.

وسيأتي أيضاً في الفصل الثالث في فقرة «الرایات بدأت في خير»: أنه «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» قبل أن يبدأ القتال في حصن ناعم قد أعطى لواهه إلى علي «عليه السلام» . . . و حصن ناعم هو أول حصون خير فتحاً .

### **علي عليه السلام يسمع الناس أقوال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ:**

وقد لوحظ: أن علياً «عليه السلام» هو الذي تولى إسماع الناس ما تكلم به النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» . . . وكان هذا الأمر قد جاء وفق توجيهه مسبقاً ينطوي هذه المهمة بعلي «عليه السلام» .

لأننا نعلم: أن علياً «عليه السلام» لا يمكن أن يقدم على أمر، إذا لم يكن هناك توجيه من رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» .

وقد ثبت ذلك بصورة قاطعة في نفس غزوة خير، حين قال له النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» : اذهب ولا تلتفت، فسار قليلاً، ثم قام ولم يلتفت،

فقال «عليه السلام» : علام أقاتلهم، كما سيأتي إن شاء الله .

### جبرئيل يحب عليا عليه السلام:

ثم يأتي إخباره «صلى الله عليه و آله» عن صاحب جبرئيل حين نادى «عليه السلام» في الناس بكلامه «صلى الله عليه و آله» .

فإن ما يثير الانتباه هو: أن ذلك قد جاء توطئة للإعلان بحب جبرئيل «عليه السلام» ، و حب الله تعالى لأمير المؤمنين «عليه السلام» ، و هو الحب الذي لم يوجب له «عليه السلام» . أي نوع من أنواع الغرور غير المقبول، بل هو قد بادر إلى هضم نفسه، ولم يعطها مداها، و لا أتاح الفرصة لأن يتوجه أي كان أن لها أي دور، أو تأثير سلبي في أي شأن من شأنه «عليه السلام» ..

مع أنه هو الذي سيفتح الله تعالى خير على يديه، و سوف يتمني المنهزمون الذين كانوا يحبون أصحابهم، و يحبونهم أصحابهم: أن يعطيهم الرسول «صلى الله عليه و آله» الراية، التي لا نشك في أنها لو حصلوا عليها، فسوف يفرون بها من جديد، مرة بعد أخرى..

و قد جاء بيان ذلك كله.. في سياق إعطاء الأمان لمن دخل النخل، ليكون ذلك بمثابة إعلان لهم: بأن هذا الذي سوف يقتل فرسانهم، و يفتح حصونهم، هو إنسان قريب من الله سبحانه و هو له حبيب.. وليس مجرد فارس شجاع، و بطل فاتك، لا يبالي بازهاق الأرواح، و لا يهدف في حروبه تلك إلى أن يفرض إرادته على الآخرين بالجبروت و بالقهر، و قوة السلاح..

اشارة

ص: 147



قال ابن إسحاق، و محمد بن عمر، و ابن سعد: و فرق رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» الرايات، ولم تكن الرايات إلا يوم خيبر، وإنما كانت الألوية [\(1\)](#).

و كانت راية رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» سوداء من برد لعائشة، تدعى العقاب، ولواؤه أبيض، دفعه إلى علي بن أبي طالب «عليه السلام»، و دفع راية إلى العجائب بن المنذر، و راية إلى سعد بن عبادة.

و كان شعارهم: «يا منصور أمت» [\(2\)](#).

و أضاف الحلبي: راية إلى أبي بكر، و راية إلى عمر [\(3\)](#).

ثم صفت رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» أصحابه، و عظامهم، و نهاهم

ص: 149

---

1- سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 120 وأخرجه البيهقي في الدلائل ج 4 ص 48 و ذكره ابن حجر في المطالب العالية {4202} و السيرة الحلبية ج 3 ص 35 والإمتناع ص 313 و المغازى للواقدي ج 2 ص 649.

2- سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 120 وفي الهاشم قال: أخرجه البيهقي في الدلائل ج 4 ص 48 و ذكره ابن حجر في المطالب العالية {4202} و الواقدي في المغازى ج 2 ص 649 و راجع: السيرة الحلبية ج 3 ص 35 والإمتناع ص 311 و 313 .  
3- السيرة الحلبية ج 3 ص 35 .

عن القتال حتى يأذن لهم، فعمد رجل من أشجع، فحمل على يهودي قتله، فقال الناس: استشهد فلان.

فقال رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» : «أَبْعَدْ مَا نَهَيْتُ عَنِ الْقَتْالِ» ؟ .

قالوا: نعم.

فأمر رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» مناديا فنادى في الناس: «لَا تَحْلُّ الْجَنَّةَ لِعَاصٍ» .

وروى الطبراني في الصغير، عن جابر: أن رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» قال يوم خير: «لَا تَتَمَنُوا لِقَاءَ الْعُدُوِّ، وَاسْأَلُوا اللَّهَ تَعَالَى الْعَافِيَةَ، إِنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ مَا تَبْتَلُونَ بِهِ مِنْهُمْ، إِنَّا لَقَيْتُمُوهُمْ فَقُولُوا: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبُّنَا وَرَبُّهُمْ، وَنَوَّاصِنَا وَنَوَّاصِيهِمْ بِيْدُكَ، وَإِنَّمَا تَقْتِلُهُمْ أَنْتَ».

ثم الرموا الأرض جلوسا، فإذا غشوكم فانهضوا، و كبروا» و ذكر الحديث [\(1\)](#).

وقالوا: إن مرحبا هو الذي قتل ذلك الرجل الأشجع [\(2\)](#).

وأذن رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» في القتال، و حثهم على الصبر،

ص: 150

- 
- 1- المستدرك للحاكم ج 3 ص 38 و مجمع الزوائد ج 5 ص 328 وج 6 ص 151 و المعجم الصغير للطبراني ج 2 ص 11 و عيون الأثر ج 2 ص 136 و سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 120 وفي هامشه عن: مسلم في الجهاد باب 6 رقم {20} ، و نحوه عند البخاري في الصحيح حديث {7237} و سنن الدارمي ج 2 ص 216 و المصنف لعبد الرزاق {9513} {9518} و سنن أبي داود في الجهاد باب 97 و السيرة الحلبية ج 3 ص 34 و راجع: الإمتاع ص 312.
  - 2- الإمتاع ص 312 والمعاذي لواقدي ج 2 ص 649.

وأول حصن حاصره حصن ناعم، وقاتل «صلى الله عليه وآله» يومه ذاك أشد القتال، وقاتلته أهل النطة أشد القتال، وترس جماعة من أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» عليه يومئذ، وعليه-كما قال محمد بن عمر- درعان، وبيبة، وغفر، وهو على فرس يقال له: الطرب، وفي يده قناه وترس [\(1\)](#).

وتقديم في حديث أنس: أنه كان على حمار، فيحتمل أنه كان عليه في الطريق، ثم ركب الفرس حال القتال. والله أعلم.

وجعلت نبل يهود تحالف العسکر وتجوازه، وال المسلمين يلتقطون نبلهم ثم يردونها عليهم. فلما أمسى رسول الله «صلى الله عليه وآله» تحول إلى الرجيع، وأمر الناس فتحولوا، فكان رسول الله «صلى الله عليه وآله» يغدو بالمسلمين على راياتهم حتى فتح الله الحصن عليهم.

وروى البيهقي من طريق عاصم الأحول، عن أبي عثمان الفهري، وعن أبي قلابة.

وأبو نعيم، والبيهقي، عن عبد الرحمن بن المرقع.

ومحمد بن عمر، عن شيوخه: أن المسلمين لما قدموا خير كان التمر أخضر، وهي وبئنة وخيمة، فأكلوا من تلك الشمرة. فأهمدتهم الحمى، فشكوا إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال: «قرسو الماء في الشنان- أي القرب- فإذا كان بين الأذاني- أي أذاني الفجر- فاحدروا الماء عليكم

ص: 151

---

1- سبل الهدى والرشاد ج 3 ص 120 والسيرۃ الحلبیة ج 3 ص 34 والإمتناع ص 313 والمغاری للواقدی ج 2 ص 644 وراجع: الغدیر للشيخ الأمینی ج 7 ص 204.

حدرا، واذكروا اسم الله تعالى» .

ففعلا، فكانما نشطوا من العقل [\(1\)](#).

ونقول:

### على فرس، أو على حمار؟ !

قد ذكر آنفا: أنه «صلى الله عليه وآلها» كان على فرس اسمه «الضرب» وهذا لا ينافي أنه «صلى الله عليه وآلها» كان في خير على حمار، مخطوم برسن من ليف..

فللعل ركوبه الحمار كان في مسيرة إلى خير، وفي غير ساحة القتال..

بل لقد صرحت رواية ركوبه الحمار: بأن ذلك كان وهو متوجه إلى خير، فراجع [\(2\)](#).

وقد تقدم بعض الحديث عن ذلك فلا نعيد..

### قتال رسول الله صلى الله عليه وآلها في خير:

و جاء في الروايات الآتية الذكر: أنه «صلى الله عليه وآلها» قاتل يومه ذاك أشد القتال.

مع أنهم يقولون: إنه «صلى الله عليه وآلها» لم يباشر القتال بنفسه إلا في واقعة أحد.

ص: 152

---

1- سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 120 و 121 وفي هامشه عن: ابن أبي شيبة ج 7 ص 454 و السيرة الحلبية ج 3 ص 53 و المغازي للواقدي ج 2 ص 644.

2- راجع: السيرة الحلبية ج 3 ص 34.

يضاف إلى ذلك: أنه لو كان قد باشر القتال بنفسه لكان قد قتل أو جرح أحدا من المشركين، ولكن أحدا لم يذكر ذلك، مع أن هذا الأمر مما تتوفر الدواعي على نقله.

وقد يجاب عن ذلك: بأن المراد: أنه «صلى الله عليه وآله» قد قاتل بجيشه أشد قتال [\(1\)](#).

ويجاب أيضاً: بأنه ليس بالضرورة أن يكون ما ذكروه من أنه «صلى الله عليه وآله» لم يقتل أحداً في غير غزوة أحد صحيححا، فإنهم ذكروا هنا أيضاً - كما سيأتي -: أنه «صلى الله عليه وآله» رمى بسهم فما أخطأ رجلاً منهم [\(2\)](#).

### الآيات بدأ في خير:

ثم إنهم قد ادعوا: أن راية رسول الله «صلى الله عليه وآله» تسمى العقاب، وأن الآيات بدأت من خير، وأن اللواء غير الراية، وأن لواء رسول الله «صلى الله عليه وآله» كان أيضاً، وهو الذي أعطاه لعلي «عليه السلام» في خير.

ونقول:

أولاً: ذكروا: أن اللواء الذي دفعه «صلى الله عليه وآله» إلى علي «عليه السلام» يوم خير - وكان أيضاً - كان يقال له: العقاب أيضاً [\(3\)](#).

ألا يفيد ذلك: أن اللواء هو نفس الراية؟ !

ص: 153

---

1- السيرة الحلبيه ج 3 ص 34.

2- سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 122.

3- راجع: السيرة الحلبيه ج 3 ص 36 عن سيرة الدمياطي.

ثانياً: قد صرحت الروايات: أنه «صلى الله عليه وآله» أعطى اللواء لعلي في قضية قتل مرحبا، وفتح خير..

مع أن عبارة النبي «صلى الله عليه وآله» التي تناقلتها الروايات الكثيرة هي: «لأعطين الرایة غدا رجلا يحب الله ورسوله الخ..».

كما أنه «صلى الله عليه وآله» قد قال لعلي «عليه السلام» : خذ هذه الرایة وتقدم [\(1\)](#).

إلا أن يجاب عن هذا الأمر الأخير: بأنه «صلى الله عليه وآله» قد أعطاه الرایة واللواء معا..

ثالثاً: لقد صرحت الروايات التي ذكرناها في أوائل غزوة أحد: بأن لواء رسول الله «صلى الله عليه وآله» {أو رايته} -فقد عبرت الروايات بهذا تارة وبذاك أخرى- كانت مع علي «عليه السلام» في جميع المشاهد.

فلا معنى للتفرق بين اللواء والرایة، ثم توزيع هذه أو تلك على هذا الرجل أو ذاك، وفقاً لبعض الإعتبارات التي يراد التسويق لها.

ص: 154

---

1- راجع: السيرة الحلبية ج 3 ص 36 وكشف الغطاء ج 1 ص 15 وشرح الأخبار للقاضي النعمان ج 1 ص 302 والعمدة لابن البطريق ص 153 والطرائف لابن طاووس ص 57 والصومات المهرقة للتسريي ص 35 والبحارج 39 ص 90 وبغية الباحث ص 218 والمعجم الكبير للطبراني ج 7 ص 35 والثقة لابن حبان ج 2 ص 13 والكامل لابن عدي ج 2 ص 61 وتاريخ مدينة دمشق ج 42 ص 89 والبداية والنهاية ج 7 ص 373 والسيرة النبوية لابن هشام ج 3 ص 798.

## **الزموا الأرض جلوسا:**

و حول أمر النبي «صلى الله عليه و آله» لهم بلزم الأرض، ثم النهوض، والتkickير.

تقول:

ألف: إن جلوسهم في البداية ربما يثير رغبة العدو في اغتنام الفرصة والهجوم عليهم، لأن حالة الجلوس قد تجعل هذا العدو يشعر بأن له هيمنة على الموقف، وأن الذين هم أمامه أقل حجما وأضعف قدرة منه، فإذا بادر إلى الهجوم عليهم، فوجئ بقيامهم، فإن انقلاب الصورة بسرعة سوف يحدث إرباكا لدى هذا العدو المهاجم من حيث إيجاب ذلك تبدلا سريعا في مشاعره و ارتياحاته قد تعيق ولو للحظات سيطرته على الموقف، و اتخاذ القرارات المناسبة للحظة المناسبة في هذا الوضع المستجد.

فإذا صاحب ذلك تكبير هؤلاء الناهضين، فإن ذلك سيزيد من تزاحم الصور، و احتلالها، و سوف تظهر علامات الفوضى والإرباك، و فقدان القدرة على التمييز بين ما هو حسي وبين ما هو ذهني، مما له اتصال بالتفكير والمشاعر، و التصورات العقائدية، بالإضافة إلى حالات من الهواجرس المبهمة التي توقظ مشاعر الخوف على النفس، و تستدعي استحضار ما يفيد في حفظها، و دفع الأخطار التي تزاحم احتمالاتها في مخيلتهم.

## **نداء لا تحل الجنة ل العاص:**

و قد تقدم أيضا: أنه «صلى الله عليه و آله» كان قبل ذلك أمر بلا فنادي: لا تحل الجنة ل العاص، و ذلك حين خرج رجل على جمل صعب،

فصرعه فمات.

و ها هم يقولون هنا: إنه «صلى الله عليه و آله» قد أمر مناديا لينادي بنفس النداء، وفي نفس غزوة خير أيضا، وذلك في شأن رجل من أشجع، حمل على يهودي فقتله اليهودي !

فهل جرى هذا النداء مرتين؟!

ألم يكن المفروض: أن يتعلم الناس من النداء الأول، فلا يقدم أحد منهم على معصية رسول الله «صلى الله عليه و آله»؟! ..

وربما يجاح عن هذا السؤال بالإيجاب، فيقال: إن النداء في المرة الأولى لا يكفي للردع عن المخالفات في المرة الثانية؛ لأن النداء في المرة الأولى قد يفهم أنه نداء على أمر يعتقدون أن المخالفة فيه لا تشكل خطرا كبيرا، لأنها تكون في أمر هو أقرب إلى الأمور الشخصية التي تعني ذلك الراكب نفسه.

وينظر الناس إلى الأوامر والنواهي في مثله على أنها مجرد إرشادات ونصائح لا - تشدد فيها. بخلاف موضوع إشعال نار الحرب بين الجيشين، بالمبادرة إلى البراز، فإن اتخاذ قرار القتال بصورة منفردة وشخصية، و من دون مراجعة القيادة لا يمكن قبوله من أحد، لأنه قد يورط القيادة ويسوق الأمور إلى خلاف ما ترمي إليه، وقد يفسد عليها خططها، ويبطل تدبيرها .

إذن.. فقد لا يكون النداء الأول كافيا لردع الناس عن المخالفات الأقوى والأشد. .

ونقول:

إنه إذا ثبت أن المخالفات في ذلك الأمر العادي محرمة، وأنها توجب

ص: 156

تحريم الجنة على العاصي، فإن ثبتت هذا التحريم للجنة في الأمر الثاني، يصبح أمراً بذاته، ولا يصح ارتكابه من أحد..

فإذا حصل ذلك، فإن النداء بتحريم الجنة على مرتکبه يكون أشد ضرورة، وأكثر إلحاحاً. ولا سيما إذا كان من يبادر إلى القتال، قد ساقه إلى ذلك حبه للشهادة، وشدة شوقه إلى الله وحنقه على أعدائه تبارك وتعالى.

### الإنضباط ضرورة لا تقبل الجدل:

وعلى كل حال: فإن هذا الأمر إذا كان قد حصل من ذلك الرجل فعلاً، فإنه يكون عملاً بالغ الخطورة، من حيث إنه يصدر قرارات القيادة، ويمهد لاستلام زمام الأمور من يدها، وإضعاف هيمنتها، وإسقاط هيبتها، وقد يسعى الأعداء للتأثير على قراراتها بمثل هذه الأساليب بالاستفادة من عناصر مدرسسة، ووفق خطط مدروسة.

هذا عدا عن أن ذلك سوف يجعل القيادة تضيع في مataهات أهواء الناس، واختلاف آذواهم ومشاربهم، فلا تعرف كيف تخطّط، ولا ماذا تقرر، ولا كيف تفكّر..

من أجل ذلك: فإن للانضباط الدور العظيم في إنجاح أية قضية، ولا بد أن تكون عقوبة من يخل بهذا الأمر كبيرة بحجم الفساد الذي تحدثه مخالفته، ويفرضه إخلاله..

### تمني لقاء العدو:

وإذا ألقينا نظرة على الدعاء الذي طلب «صلى الله عليه وآله» من أصحابه أن يدعوا به ربهم عند لقاء العدو، فسوف تظهر لنا أمور كثيرة،

ص: 157

نذكر منها ما يلي:

ألف: إن تمني لقاء العدو، وإهمال التفكير في تلافي الحرب بوسائل الإقناع أو نحوها معناه: ترجيح خيار سفك دماء الناس المعارضين والخلص منهم بأسلوب القتل والتدمير، على خيار السلم، والوئام، وعلى بذل الجهد في محاولات إقناع حثيثة ومتعاقبة، يمكن أن تكون ذات أثر في حسم الأمور.

مع أن ما يسعى إليه الإسلام هو الاستصلاح للناس، وليس الاستصالح لهم، إلا إذا فقدت جميع فرص الإصلاح، وأصبح وجودهم مضرا بالإنسان والإنسانية.

ب: إن الاستهتار بقدرات العدو يجر إلى كوارث ونكبات ربما لم يحسب لها حساب.

وهذا نوع من السذاجة الاختيارية، التي تصل إلى حد التفريط والتقصير غير المقبول.. حيث يؤدي إلى إهمال كثير من الإجراءات الاحتياطية، التي من شأنها أن تبعد شبح كثير من الضربات القوية التي ربما يكون العدو قد أعد لها.

ج: إن تمني لقاء العدو يجسد شعورا بالقوة الذاتية، وربما اغترارا بالقدرة على التصرف، وعلى التأثير المستقل.. فكان لا بد من تصحيح هذه النظرة بالاستناد إلى أساس عقائدي متيقن. يستند إلى الاعتراف: بأن الله تعالى هو المتصرف بهم، لأنه رب والإله.. وذلك بالتصريح أو التلويع بأمرین:

أحدهما: أن ربوبيته تعالى للجميع تشير إلى: أن حق التصرف منحصر به سبحانه.. وأن ما يفعله الناس إنما هو بإذن منه تعالى، من خلال إجراء

سنة إلهية جعلت من إرادة البشر حلقة في سلسلة العلل، ومن موجبات الفيض الإلهي للوجود على بعض الأشياء.

الثاني: أن ذلك التصرف يرتكز إلى حقيقة: أن نواصي كلا الفريقين بيده تعالى، فهو المالك الحقيقي، والمهيمن على الجميع من موقع القدرة، والقاهرية؛ لأنه رب الجميع.

### بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

روى البيهقي، عن جابر بن عبد الله، والبيهقي عن أنس، والبيهقي عن عروة، وعن موسى بن عقبة: أن عبداً حبسياً لرجل من أهل خير، كان يرعى غنماً لهم، لما رأهم قد أخذوا السلاح، واستعدوا لقتال رسول الله «صلى الله عليه وآله» سألهم: ما تريدون؟

قالوا: نقاتل هذا الرجل، الذي يزعم أنهنبي.

فوقع في نفسه ذكر النبي «صلى الله عليه وآله» ، فخرج بعنه ليرعاها، فأخذه المسلمون، فجاؤوا به لرسول الله «صلى الله عليه وآله» .

وفي لفظ ابن عقبة: أنه عمد بعنه إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» ، فكلمه رسول الله «صلى الله عليه وآله» ما شاء الله أن يكلمه.

فقال الرجل: ماذا تقول، وماذا تدعوه؟

قال: «أدعوك إلى الإسلام، وأن تشهد أن لا إله إلا الله، وأنني رسول الله، وأن لا تعبد إلا الله» .

قال العبد: وماذا يكون لي إن شهدت بذلك، وأمنت بالله تعالى؟

قال رسول الله «صلى الله عليه وآله» : «لك الجنة إن آمنت على ذلك» .

فأسلم العبد، وقال: يا رسول الله، إني رجل أسود اللون، قبيح الوجه، منتن الريح، لا مال لي، فإن قاتلت هؤلاء حتى أقتل، أدخل الجنة؟

قال: «نعم».

قال: يا رسول الله، إن هذه الغنم عنديأمانة، فكيف بها؟

فقال رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» : «أخرجها من العسكر، وارمها بالحصباء، فإن الله عز و جل سيؤدي عنك أمانتك» .

فعمل، وأعجب رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» كلمته، فخرجت الغنم تشتد مجتمعة، كأن سائقا يسوقها حتى دخلت كل شاة إلى أهلها، فعرف اليهودي: أن غلامه قد أسلم.

ثم تقدم العبد الأسود إلى الصدف، فقاتل، فأصابه سهم فقتله، ولم يصل لله تعالى سجدة قط، فاحتمله المسلمين إلى عسكرهم، فقال رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» : «أدخلوه الفسطاط» ، وفي لفظ: «الخباء» .

فأدخلوه خباء رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» حتى إذا فرغ رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» دخل عليه، ثم خرج فقال: «لقد حسن إسلام صاحبكم، لقد دخلت عليه، وإن عنده لزوجتين له من الحور العين» [\(1\)](#).

وفي حديث أنس: فأتى عليه رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» وهو

ص: 160

---

1- سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 129 وفي هامشه عن: البيهقي في الدلائل ج 4 ص 22 والسيرة النبوية لأبن هشام ج 2 ص 344 و البداية والنهاية ج 4 ص 190 ورائع: السيرة الحلبية ج 3 ص 39 والإمتاع ص 313 والمعاذي للواقدي ج 2 ص 649 و 650 و المستدرك للحاكم ج 2 ص 136 والسنن الكبرى للبيهقي ج 9 ص 143 ودلائل النبوة ص 188 وكنز العمال ج 16 ص 743.

مقتول، فقال: «لقد حسّن الله وجهك، وطيب ريحك، وكثُر مالك. لقد رأيت زوجتيه من الحور العين، ينزعان جبته يدخلان فيما بين جلدته وجنته» [\(1\)](#).

و عند ابن إسحاق: «ينفضان التراب عن وجهه، ويقولان: ترب الله وجه من تربك، وقتل من قتلك» [\(2\)](#)

ونقول:

أولاً: من الواضح: أنه إذا قامت الحرب بين فريقين، فأي مال يحصل عليه أحدهما فإنه يستولي عليه بعنوان أنه غنيمة. فلا يعقل أن يخرج الراعي بالغنم إلى أي مكان يصل إليه جيش المسلمين؛ لأن ذلك معناه: أن يستولي المسلمون على ذلك الغنم فور رؤيتهم له.

ولا يمهدون ذلك الراعي حتى يراجع أحدا في الأمر.

بل إنهم سوف يعتبرون نفس ذلك الراعي أحد الغنائم، إن كان عبداً، أو يعتبرونه أسيراً إن لم يكن كذلك.

اللهم إلا أن يكون ذلك قد حصل في فترة المفاوضات، والسعى لإقامة الحجة على اليهود، حتى إذا لم يستجيبوا لداعي الله سبحانه، وأصرروا على معاندة الحق وأهله، وأعلنوا الحرب، وتنبذ الفريقيان، فإن كل فريق سوف يسعى إلى حماية ماله، ووضعه في أماكن مأمونة، بعيداً عن متناول يد عدوه.

ص: 161

---

1- سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 129 و البداية والنهاية ج 4 ص 218 و السيرة النبوية لابن كثير ج 3 ص 362.

2- سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 130 و السيرة النبوية لابن هشام ج 3 ص 806 و عيون الأثر ج 2 ص 148.

ولكن ليس في الرواية ما يشير إلى ذلك، فيبقى مجرد احتمال معلق في الهواء.

ثانياً: إن وصول الغنم إلى أصحابها بمجرد رميها بالحصباء قد يوجب يقين أصحاب تلك الغنم بأنهم محقون، وبأن الله تعالى هو الذي رد عليهم غنائمهم، لأنه راض عنهم، ماض لطفه فيهم.

وفي هذا إغراء بالعناد واللجاج، والتشبث بالباطل، ودخول الشبهة على المبطلين، فلا يعقل صدور عمل يؤدي إلى ذلك من رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» ..

وأما الاعتذار عن ذلك: بأن عدم أخذهم لذلك العبد، إنما هو لعدم كونه محاربا، فهو اعتذار واه، لأن المفروض: أن جميع من هم في تلك المنطقة، ويتربدون إلى الحصون هم من المحاربين لأهل الإسلام.

والكلام إنما هو بالنسبة للناس العاديين، لا بالنسبة لرسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» المتصل بالوحي والغيب.

ومما يضحك التكلى احتمال البعض: أن النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» إنما أرجع الغنم إلى الحصن بهذه الطريقة لكي يظهر لذلك العبد معجزة تقنعه بنبوته.

فإن الأمور لم تضيق على رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» إلى حد أنه يصنع معجزة من شأنها أن تعيد لليهود قطيعاً كبيراً من الغنم، بحيث يعود إليهم لوحده.

وليس ثمة ما يدلهم على: أن رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» هو الذي أرجعها إليهم، فإن دخول العبد في الإسلام قد لا يكون استناداً إلى عودة الغنم إليهم، بل لأنه قد استضعف و خاف..

هذا الو سلم أنهم عر فوا ياسلامه، ولم يثبت ذلك.

## متى شبع النبي صلى الله عليه وآله من خبز الشعير؟ !

وقالوا: إن حصن ناعم هو أول حصن فتح من حصون النطاة على يد علي «عليه السلام» .

وعن عائشة قالت: ما شبع رسول الله «صلى الله عليه وآلها» من خبز الشعير والتمر حتى فتحت دار بني قمة، أي وهي أول دار فتحت بخيبر، وهي منزل ياسر أخي مرحبا، وظاهر السياق أنها ناعم [\(1\)](#).

ونقول:

إن ثمة قدرا من الجرأة من عائشة على مقام رسول الله «صلى الله عليه وآلها» ، حيث ساقت حديثها بنحو يوحى: بأن الجوع والشبع كان يمثل قضية ذات أهمية بالنسبة إليه «صلى الله عليه وآلها» ..

كما أنها عبرت بكلمة «ما شبع» ، وهي لا تتناسب رسول الله «صلى الله عليه وآلها» .. الذي لم يكن يتملى من الطعام، وفقا لقاعدة: اجلس على الطعام وأنت جائع، وقم عنه وأنت تستهيه.. مع ملاحظة النواهي الصادرة عنه «صلى الله عليه وآلها» عن الأكل حتى الشبع، وعن التملق من الطعام، وهي لا يكاد يجهلها أحد..

وفي جميع الأحوال نقول: لماذا يجعلون رسول الله «صلى الله عليه وآلها» محور الحديث عن هذا

ص: 163

الأمر بالذات؟! .. وقد كان بإمكانهم جعل الحديث عن غيره، أو أن يستفيد المتحدثون من عناوين عامة، ليس فيها هذا الإيحاء غير المحبب، فيقولون مثلاً، ما شبعنا، أو ما شبع الناس، أو المسلمين، أو نحو ذلك.

### محمود بن مسلمة يقتل في حصن ناعم:

ويقولون: إن السبب في قتل محمود بن مسلمة هو: أنه كان قد حارب في حصن ناعم حتى أعياه الحرب، ونقل السلاح. وكان الحر شديداً، فانحاز إلى ظل ذلك الحصن يتغى فيه.

قالوا: ولا يظن محمود أن في ذلك الحصن أحداً من المقاتلة، وإنما ظن أن فيه متعة وأثاثاً.

فألقى عليه مرب حجر الرحى، فهشم البيضة على رأسه، ونزلتجلدة جبينه على وجهه، وندرت عينه. فأدركه المسلمون، فأتوا به النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» فسوى الجلدة إلى مكانها، وعصبه بخرقة، فمات من شدة الجراحة. وتحول «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» خشية على أصحابه من البیات [\(1\)](#).

و جاء أخوه محمد بن مسلمة إلى رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» ، فقال: إن اليهود قتلوا أخي محمود بن مسلمة، وبكي.

فقال رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» : لا تمنوا لقاء العدو، وسائلوا الله العافية، فإنكم لا تدركون ما تبتلون به منهم، فإذا لقيتموه، فقولوا: اللهم أنت ربنا وربهم، ونواصينا ونواصيهم بيده، وإنما تقتلهم أنت.

ص: 164

---

1- المغازي للواقدي ج 2 ص 645 والإمتاع ص 311 و 312 وراجع: السيرة الحلية ج 3 ص 34.

ثم الزموا الأرض جلوسا، فإذا غشوكم، فانهضوا، وكبروا [\(1\)](#).

ونحن نشك في صحة هذه الرواية من أساسها.

فأولاً: إن القتال كله كان مع المدافعين عن حصن ناعم، فما معنى قولهم: «ولَا يظن محمود: أن فيه أحدا من المقاتلة، إنما ظن: أن فيه متباعا وأثاثا»؟! فهل ترك المقاتلون حصنهم، و تاهوا في الصحراء؟!

ثانيا: إذا كان اليهود بعد القتال قد دخلوا حصنهم. فإن من غير المعقول: أن يحارب محمود بن مسلمة اليهود حتى أعياد الحرب، وتقلل السلاح، ثم يجلس في أسفل حصنهم ليستريح.

إذ أى عاقل لا يخطر في باله: أن اليهود قد يفكرون في إلقاء حجر عليه لقتله، وأن عليه أن يتحرز من ذلك؟!

وقد علم الناس كلهم: أن سبب حرب النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» لبني النضير، حتى أجلاهم من ديارهم، هو: أنه جاءهم مع أصحابه في أمر، وجلس إلى بعض بيوتهم، فحاولوا إلقاء حجر عليه لقتله، فأخبره الله تعالى بذلك فقام وتركهم، وكانت الحرب.

فإذا كان هذا حال اليهود في السلم، فكيف ستكون حالهم في الحرب؟! ولا سيما بعد حصول معركة حامية يعيا فيها المحارب.

ألم يسمع محمود بحرب النضير؟!

ص: 165

---

1- السيرة الحلبية ج 3 ص 34 وراجع: المعجم الصغير ج 2 ص 136 والمستدرك على الصحيحين ج 3 ص 38 ومجمع الزوائد ج 5 ص 328 وج 6 ص 151 وكتاب الدعاء للطبراني ص 328 وكنز العمال ج 4 ص 361 وعيون الأثرج 2 ص 136.

وألم يعرف سبب نشوبيها، وهي الحرب التي انتهت إلى تلك النتائج الخطيرة والكبيرة على مستوى المنطقة بأسرها؟ !

ثالثاً: كيف لم يحذّر أحد من المسلمين محمود بن مسلمة من مغبة جلوسه في ذلك الموضع؟ ! أم يعقل أن يكون الجميع قد تركوه وحده، وغادروا المكان؟ !

رابعاً: والغريب في الأمر: أنهم يذكرون عن النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» أنه قال لمحمد بن مسلمة، حينما أخبره بقتل أخيه: إنه سوف يرسل رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، ليأخذ له بثأر أخيه، ثم أرسل علياً «عَلَيْهِ السَّلَامُ» [\(1\)](#).

فلماذا لم يرسل محمد بن مسلمة نفسه. مع أنهم يدعون له مقاماً فريداً في الفروسيّة والشجاعة، حتى زعموا -كذباً و زوراً-: أنه هو الذي قتل مرحباً؟ !

بالإضافة إلى ما لا يجهله أحد من أن النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» قال: لأعطيين الراية رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله الخ. . . بعد فرار أبي بكر و عمر، ولأجل تلafi ما حصل. . لا في مناسبة إخبار محمد بن مسلمة له «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» بقتل أخيه محمود.

خامساً: والأغرب من ذلك، والأعجب: أن يجيب «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» ابن مسلمة على إخباره إياه بقتل أخيه، بقوله: لا تمنوا لقاء العدو الخ. . فهل تراه يحذّر ابن مسلمة، من أن يحدث نفسه بلقاء العدو الذي قتل أخيه للتوكؤ؟ !

وهل هو يخشى أن يصيبه ما أصاب أخاه؟ !

ص: 166

---

1- راجع: السيرة الحلبية ج 3 ص 35 و مجمع الزوائد ج 9 ص 123.

وهل ينسجم هذا، وذاك مع ما زعموه من أن محمد بن مسلمة قد بارز مرحبا وقتله بأخيه؟ !

أم أنه «صلى الله عليه وآله» يريد أن يتباًل له مسبقا بفرازه وفارغ غيره حينما يواجهون اليهود في حصن القموص، حينما يرسلهم «صلى الله عليه وآله» بالرأي إلى حرب الخميريين؟ ! ..

سادسا: قد ذكرت الروايات المتقدمة: أن مرحبا هو الذي ألقى الرحي على محمود بن مسلمة، فقتلها بها..

ولكن رواية أخرى تقول: إن الذي ألقى الرحي عليه هو كنانة بن الريبع..

وفي رواية ثالثة: أن قاتله هو شخص آخر، وهو الذي سلمه علي «عليه السلام» لمحمد بن مسلمة ليقتله بأخيه..

وقد حاول الحلبي الجمع بين الروايتين الأوليين: بأن من الممكن أن يكون الرجالان قد اجتمعا على قتل محمود هذا [\(1\)](#).

ولكننا نقول له: إن مجرد الإمكان لا يكفي لصياغة التاريخ، بل ذلك يحتاج إلى شواهد وأدلة صالحة للاعتماد..

سابعا: إن الظاهر هو: أن مرحبا كان حبيبا وقريبا لأخيه محمد بن مسلمة، فقد صرخ أمير المؤمنين «عليه السلام»: بأن محمدا كان ينقم على علي «عليه السلام» أنه قتل أخيه مرحبا [\(2\)](#).

ص: 167

---

1- السيرة الحلبية ج 3 ص 34.

2- الإمامة والسياسة {ط سنة 1356 هـ- بمصر} ج 1 ص 54 وقاموس الرجال ج 8 ص 388 عنه.

ولعله كان أخاه من الرضاعة، إن لم يكن أخاه لأمه..

### وفي جميع الأحوال نقول:

إن ذلك كله يشير إلى مدى الإصرار والحرص على الكذب والافتعال في هذا الأمر بالذات.

ولعلهم أرادوا إسداء خدمة لمحمد بن مسلمة، بتضخيم أمر قتل أخيه محمود من جهة، بادعاء: أن أعظم بطل في اليهود هو الذي قتله.. ثم بإظهار اهتمام النبي «صلى الله عليه وآله» بقتل قاتله، ثم سعيه للثأر لأخيه.

وذلك كله: في سياق التوطئة والتسويق المؤثر لادعاء: أن محمد بن مسلمة هو قاتل مرحباً، بطل أبطال اليهود.

وبذلك يمكنهم أيضاً: حرمان علي «عليه السلام» من هذا الفضل، أو تشكيك الناس به على الأقل..

والأهم من ذلك كله: التقليل من شأن هذا النصر العظيم الذي سجله «عليه السلام»، بقتل مرحباً، واقتلاع باب خير، وظهور فضله على الصحابة كلهم، بعد أن اتخذوا طريق الفرار سبيلاً للنجاة في الحياة الدنيا، دون أن يعبأوا بعقاب الآخرة.

### أين قتل ابن مسلمة؟ !

إن ظاهر بعض النصوص المتقدمة: أن محمود بن مسلمة قد قتل في حصن القموص (1). مع أنه إنما قتل في حصن ناعم حسبما تقدم تفصيله..

ص: 168

---

1- البداية والنهاية ج 4 ص 185 عن البيهقي.





لم يكن بخبير حصن أكثر طعاماً، وودكاً، و ماشية، و متابعاً من حصن الصعب بن معاذ و وجدوا فيه ما لم يكونوا يظنون، من الشعير، والتمر، والسمن، والعسل، والزيت، والودك [\(1\)](#). وكان فيه خمسة مقاتلين، وكان المسلمون قد أقاموا أياماً يقاتلون، ليس عندهم طعام [إلا العلف](#) [\(2\)](#).

بل قال الواقدي: إن الأطعمة كلها كانت في هذا الحصن [\(3\)](#).

وروى محمد بن عمر، عن أبي اليسر كعب بن عمر: أنهم حاصروا حصن الصعب بن معاذ ثلاثة أيام، وكان حصناً منيعاً، وأقبلت غنم لرجل من يهود ترع وراء حصنهم، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله» : «من رجل يطعمنا من هذه الغنم»؟

فقلت: أنا يا رسول الله.

فخرجت أسعى مثل الظبي.

ص: 171

---

1- راجع: سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 121 و 122 والمغازي للواقدي ج 2 ص 658 و 659 و راجع: السيرة الحلبية ج 3 ص 39 و 40.

2- راجع: سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 121 والمغازي للواقدي ج 2 ص 658.

3- المغازي للواقدي ج 2 ص 662.

وفي لفظ: مثل الظليم، فلما نظر إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» موليا قال: «اللهم متعنا به» .

فأدركت الغنم - وقد دخل أولها الحصن - فأخذت شاتين من آخرها فاحتضنتهما تحت يدي، ثم أقبلت أعدو، كأن ليس معني شيء، حتى انتهيت إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» ، فأمر بهما فذبحتا، ثم قسمهما، فما بقي أحد من العسكر الذين معه محاصرین الحصن إلا أكل منها.

فقيل لأبي اليسر: كم كانوا؟

قال: كانوا عددا كثيرا [\(1\)](#).

فيقال: أين بقية الناس؟ .

فيقول: في الرجيع، بالمعسرك [\(2\)](#).

وروى ابن إسحاق، عن بعض قبيلة أسلم، و محمد بن عمر، عن معتب الأسلمي، واللفظ له، قال: أصابتنا معشر أسلم مجاعة حين قدمنا خبيث، وأقمنا عشرة أيام على حصن النطة، لا نفتح شيئا فيه طعام، فأجمعنا أسلم أن أرسلوا أسماء بن حارثة، فقالوا: أنت رسول الله «صلى الله عليه وآله» فقل له: إن أسلم يقرئونك السلام، ويقولون: إنّا قد جهدنا من الجوع والضعف.

ص: 172

- 
- 1- سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 121 و إمتناع الأسماع ص 316 و 317 و المغازى للواقدي ج 2 ص 660 و راجع: مجمع الزوائد ج 6 ص 149 وج 9 ص 316 و عن البداية والنهاية ج 4 ص 221 وعن السيرة النبوية لابن هشام ج 3 ص 798 و السيرة النبوية لابن كثير ج 3 ص 368 .
  - 2- المغازى للواقدي ج 2 ص 60.

قال بريدة بن الحصيف: والله، إن رأيت كال يوم قط من بين العرب يصنعون هذا!!

قال زيد {هند} بن حارثة أخو أسماء: والله، إني لأرجو أن يكون هذا البعث إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» مفتاح الخير.

فجاءه أسماء فقال: يا رسول الله إن أسلم تقرأ عليك السلام، و تقول: إنا قد جهدنا من الجوع والضعف، فادع الله لنا.

فدعوا لهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» ثم قال: «و الله ما بيدي ما أقويه به، قد علمت حالهم، وأنهم ليست لهم قوة، ثم قال: «اللهم فاتح عليهم أعظم حصن فيها، أكثرها طعاما، وأكثرها ودكا» [\(1\)](#).

ودفع اللواء إلى الحباب بن المنذر، و ندب الناس، فما رجعنا حتى فتح الله علينا حصن الصعب بن معاذ.

قالت أم مطاع الإسلامية: لقد رأيت أسلم حين شكوا إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» ما شكوا من شدة الحال، فندب رسول الله «صلى الله عليه وآله» الناس فنهضوا، فرأيت أسلم أول من انتهى إلى حصن الصعب بن معاذ، فما غابت الشمس من ذلك اليوم حتى فتح الله..

إلى أن قال: و كان عليه قتال شديد.

وبرز رجل من يهود يقال له: يوشع، يدعوه إلى البراز، فبرز له الحباب بن المنذر، فاختلغا ضربات، فقتله الحباب.

ص: 173

---

1- سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 121 و 122 و السيرة الحلبية ج 3 ص 39 و إمتناع الأسماع ص 316.

وبرز له آخر - يقال له: الزيال، أو الديال - فبرز له عمارة بن عقبة الغفاري، فبادره الغفاري فضربه ضربة على هامته، وهو يقول: خذها وأنا الغلام الغفاري.

فقال الناس: «بطل جهاده» .

فبلغ رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ذلك، فقال: «ما بأس به، يؤجر ويحمد» [\(1\)](#).

وروى محمد بن عمر، عن محمد بن مسلمة، قال: رأيت رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) رمى بسهم فما أخطأ رجلاً منهم، وتبسم رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) إلي، وانفرجاوا، ودخلوا الحصن [\(2\)](#).

ووجدوا في حصن الصعب بن معاذ: آلة حرب، ودببات، ومنجنقا.

وكان أحدهم قد أخبر النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) بأن في حصن الصعب بن معاذ، في بيت منه تحت الأرض منجنيق، ودببات، وسيوف [\(3\)](#).

وحسب نص الحلبي: إن اليهود حملت حملة متكررة، فانكشف المسلمون حتى انتهوا إلى رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ، وهو واقف قد نزل عن فرسه، ثبتت الحباب بن المنذر، فحرض «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» على الجهاد، فأقبلوا، وزحف بهم الحباب، فانهزمت يهود، وأغلقت الحصون عليهم.

ص: 174

- 
- 1- سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 122 و السيرة الحلبية ج 3 ص 39 و 40 و المغازي للواقدي ج 2 ص 659 و راجع: المعجم الكبير للطبراني ج 6 ص 94 و 95 و رياض الصالحين للنووي ص 385 و عن سنن أبي داود ج 2 ص 267.
  - 2- سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 122 و المغازي للواقدي ج 2 ص 622.
  - 3- السيرة الحلبية ج 3 ص 40 و راجع ص 41 عن الإمتاع.

ثم إن المسلمين اقتحموا الحصن، يقتلون، ويأسرون، فوجدوا في ذلك الحصن من الشعير الخ..[\(1\)](#)

ونادى منادي رسول الله «صلى الله عليه وآلها» : كلوا، واعلفوا، ولا تحملوا، أي لا تخرجوا به إلى بلادكم [\(2\)](#).

و حسب نص الواقدي: وقد أقمنا عليه يومين نقاتلهم أشد القتال، فلما كان اليوم الثالث بكر رسول الله «صلى الله عليه وآلها» عليهم، فخرج رجل من اليهود كأنه الدقل في حرية له، و خرج و عاديته معه، فرموا بالنبل ساعة سراعاً، و ترسنا عن رسول الله «صلى الله عليه وآلها» ، و أمطروا علينا بالنبل، فكان نبلهم مثل الجراد، حتى ظنت ألا يقلعوا، ثم حملوا علينا حملة رجل واحد.

فانكشف المسلمون حتى انتهوا إلى رسول الله «صلى الله عليه وآلها» و هو واقف، قد نزل عن فرسه، و مدعوم [\(3\)](#) يمسك فرسه.

وثبت الحباب برأيتنا، والله ما يزول، يرافقهم على فرسه، ونذهب رسول الله «صلى الله عليه وآلها» المسلمين و حضورهم على الجهاد و رغبهم فيه، وأخبرهم أن الله قد وعده خير يغنمهم إياها.

قال: فأقبل الناس جمِيعاً حتى عادوا إلى صاحب رأيهم، ثم زحف بهم

ص: 175

---

1- السيرة الحلبية ج 3 ص 40.

2- سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 122 و السيرة الحلبية ج 3 ص 40 و راجع: السنن الكبرى للبيهقي ج 9 ص 61 و بغية الباحث ص 211 و نصب الرأية للزياعي ج 4 ص 267 و السير الكبير للشيباني ج 3 ص 1018.

3- مدعوم: هو العبد الأسود الذي كان مولى رسول الله «صلى الله عليه وآلها» .

الحباب، فلم يزل يدنو قليلاً قليلاً، وترجع اليهود على أدبارها حتى لحمها الشر، فانكشفوا سراغاً، ودخلوا الحصن وغلقوا عليهم، ووافوا على جدره -وله جدر دون جدر- فجعلوا يرموننا بالجندل (١) رمياً كثيراً، ونحونا عن حصنهم بوقع الحجارة، حتى رجعنا إلى موضع الحباب الأول.

ثم إن اليهود تلاؤمت بينها، وقالت: ما نستبقي لأنفسنا؟ قد قتل أهل الجد والجلد في حصن ناعم.

فخرجو مستميتين، ورجعنا إليهم، فاقتتنا على باب الحصن أشد القتال، وقتل يومئذ على الباب ثلاثة من أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله»: أبو صياح، وقد شهد بدرًا، ضربه رجل منهم بالسيف فأطعن قحف رأسه. وعدى بن مرة بن سراقة، طعنه أحدهم بالحربة بين ثدييه فمات، والثالث الحارث بن حاطب وقد شهد بدرًا، رماه رجل من فوق الحصن فدمغه.

وقد قتلتنا منهم على الحصن عدة، كلما قتلتنا منهم رجلاً حملوه حتى يدخلوه الحصن.

ثم حمل صاحب رايتنا وحملنا معه، وأدخلنا اليهود الحصن، وتبعناهم في جوفه، فلما دخلنا عليهم الحصن فكأنهم غنم، فقتلتنا من أشرف لنا، وأسرنا منهم، وهربوا في كل وجه، يركبون الحرة، يريدون حصن قلعة الزبير، وجعلنا ندعهم يهربون.

وصعد المسلمون على جدره، فكبروا عليه تكيراً كثيراً، فقتلتنا أعضاد

ص: 176

---

1- الجندي: الحجارة. لسان العرب ج 13 ص 136.

اليهود بالتكبير، لقد رأيت فتيان أسلم وغفار فوق الحصن يكثرون، فوجدنا والله من الأطعمة ما لم نظن أنه هناك، من الشعير الخ..

ونادى منادي رسول الله «صلى الله عليه وآلـه» : كلوا واعلـفوا ولا تحتمـلوا.

يقول: لا تخرجوا به إلى بلادكم.

فكان المسلمين يأخذون من ذلك الحصن مدة مقامهم؛ طعامهم وعلف دوابهم، لا يمنع أحد أن يأخذ حاجته، ولا يخمن الطعام.

ووجدوا فيه من البز والآنية، وجدوا خوابي السـكر، فأمرـوا فـكسـرـوها، فـكانـوا يـكسرـونـها حتى سـالـ السـكـرـ فيـ الحـصـنـ، وـالـخـوابـيـ كـبارـ لاـ يـطـاقـ حـمـلـهـاـ.

وكان أبو ثعلبة الخشنـيـ يقول: وـجـدـنـاـ فـيـ آـنـيـةـ مـنـ نـحـاسـ وـفـخـارـ، كـانـتـ الـيـهـودـ تـأـكـلـ فـيـهـاـ وـتـشـرـبـ، فـسـأـلـنـاـ رـسـوـلـ اللـهـ «صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ»ـ، فـقـالـ: اـغـسـلـوـهـاـ وـاطـبـخـوـاـ وـكـلـوـاـ فـيـهـاـ وـاـشـرـبـواـ.

وقـالـ: أـسـخـنـوـاـ فـيـهـاـ مـاءـ ثـمـ اـطـبـخـوـاـ بـعـدـ، وـكـلـوـاـ وـاـشـرـبـواـ.

وـأـخـرـجـنـاـ مـنـهـ غـنـماـ كـثـيرـاـ، وـبـقـرـاـ، وـحـمـراـ، وـأـخـرـجـنـاـ مـنـهـ آـلـةـ كـثـيرـةـ لـلـحـرـبـ، وـمـنـجـنـيـقاـ، وـدـبـابـاتـ وـعـدـةـ، فـنـعـلـمـ أـنـهـمـ قـدـ كـانـوـ يـظـنـنـوـنـ أـنـ الـحـصـارـ يـكـونـ دـهـرـاـ، فـعـجـلـ اللـهـ خـرـيـهـمـ.

فحـدـثـيـ عبدـ الـحـمـيدـ بنـ جـعـفرـ عنـ أـبـيهـ، قـالـ: لـقـدـ خـرـجـ مـنـ حـصـنـ الصـعـبـ بنـ مـعـاذـ مـنـ الـبـزـ عـشـرـونـ عـكـمـاـ (1)ـ مـحـزـوـمـةـ مـنـ غـلـيـظـ مـتـاعـ

صـ: 177

---

1- العـكـمـ: ثـوـبـ يـبـسـطـ، وـيـجـعـلـ فـيـهـ مـتـاعـ وـيـشـدـ. تـاجـ الـعـرـوـسـ جـ 8ـ صـ 404ـ.

اليمن، وألف وخمس مائة قطيفة، يقال: قدم كل رجل بقطيفة على أهله، ووجدوا عشرة أحمال خشب، فأمر به فأخرج من الحصن ثم أحرق، فمكث أياماً يحترق، وخوابي سكر كسرت، وزقاق خمر فاهرقت.

وقالوا أيضاً: كان من سلم من يهود حصن ناعم انتقل إلى حصن الصعب من حصون النطاء، ففتحه الله قبل ما غابت الشمس من ذلك اليوم. من بعد ما أقاموا على محاصرته يومين [\(1\)](#).

ونقول:

إن لنا مع ما تقدم وقفات، هي التالية:

### فرار المسلمين . و ثبات الحباب:

1- قد أظهر هذا النص: أن المسلمين قد فروا أمام اليهود، حتى انتهوا إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأن هذه الهزيمة قد تكررت منهم.

وهذا أمر لا بد أن يزعج النبي «صلى الله عليه وآله» ويؤذيه، خصوصاً إذا كان هذا الفرار يشجع اليهود، ويزيدهم إصراراً على مواصلة الحرب، ويوجب تعرض المسلمين للمزيد من الأخطار، ويقع في صفوفهم خسائر أكبر في الأرواح.

2- إن رواية الواقدي، زعمت: أن الحباب قد ثبت بالراية.

ولا ندري أين ثبت الحباب؟ ومتى؟

فإنه حامل الراية- إن صح أنه حاملها حقاً- فلا بد أن يكون في المقدمة.

ص: 178

فهل انهزم عن الناس، وبقي يقاتل وحده بين اليهود؟! ..

أم أنه انهزم معهم، ثم لما وصل إلى رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» ثبت هناك؟!

فإن كان وحده، فلا بد أن نسأل ماذا جرى له مع اليهود؟ وكيف خرج سالماً من بينهم؟! وهل خرج خروج منهزم؟ أم خروج منتصر؟! وكيف؟ أم أنه بقي بينهم إلى حين انقضاء القتال، أو إلى حين معاودة المسلمين هجومهم؟! وكيف استطاع أن يحفظ نفسه منهم في هذه الحال؟

وأين كان عنه مرحباً وسائر الأبطال اليهود في هذه المدة؟!

ولماذا لم يسجل التاريخ له هذه المفخرة العظيمة؟! ولماذا؟! ولماذا؟!

3- إن ظاهر النص: أن المسلمين لم يرجعوا إلى القتال إلا بعد تطميعهم بالغنية، لأنه «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ»: حضهم على الجهاد ورغبهم فيه، وأخبرهم أن الله قد وعده خبير، يغنمها إياها..

4- ما معنى تخصيص فتيان أسلم وغفار بالمدح، وأن المتحدث قد رآهم فوق الحصن يكثرون؟! خصوصاً بعد أن ذكر: أن المسلمين صعدوا على جدر الحصن يكثرون، فكبروا تكبيراً كثيراً.

### لماذا الإخراج؟ :

إن ما فعلته قبيلة أسلم من شأنه أن يحرج رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» ، بل قد اقتضى الأمر: أن يظهر «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» للملأ ما لم تجر عادته على إظهاره، وهو أنه ليس بيده شيء يعطيهم إياه.

مع أن لهذا الإظهار سلبياته أيضاً، فإنه ربما يؤثر على سكينة ضعفاء

الناس و ثباتهم، ويثير لديهم الكثير من الهواجس تجاه مصيرهم، وسيتمثل لهم الخطر الذي ينتظرون أمام أعينهم.

وأما إذا بلغ ذلك إلى مسامع الأعداء، الذين يملكون الكثير من الطعام في حصونهم، فقد يزيدونه ذلك إصراراً على التحدي، ويدفعهم إلى التفكير في وسائل تسويف الوقت، انتظاراً لتأثير الجوع في ثبات عدوهم المحارب لهم، حتى يضطر إلى التخلص من حصارهم، بحثاً عن لقمة تحفظ له خيط الحياة، وتمكنه من البقاء والنجاة.

### أوسمة أسلم:

وقد تحدثت النصوص المتقدمة: أن أسلم هي التي عانت من الجوع، وأنها شكت ذلك إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» ، فدعا «صلى الله عليه وآله» لها، بعد أن أظهر الرقة والتعاطف معها، وقد تضمن دعاؤه أن يفتح الله عليهم أعظم حصن.

ثم ذكرت أم مطاع: أن أسلم أول من انتهى إلى حصن الصعب، وأن شمس ذلك اليوم لم تغرب حتى فتح الله ذلك الحصن.

ونقول:

إن ما كانت تعاني منه قبيلة أسلم هو ما كان يعاني منه سائر المسلمين . . ولكن لعل أسلم تستحق كل هذه الأوسمة من هؤلاء، بل وأزيد منها، وأعظم وأفحى، لأنها هي التي ساعدت أبا بكر يوم السقيفة على نيل الخلافة، حيث جاءت إلى المدينة بقضها وقضيضها واحتلتها، واستخرجت كل معارض من بيته، وأدت به إلى المسجد ليбاعي أبا بكر، تحت تهديد

السلاخ، فراجع كتابنا: أفلأ تذكرون، و مختصر مفيد.

### الموقف الشائن:

و إن مطالبة قبيلة أسلم النبي «صلى الله عليه و آله» بهذا الأمر؛ لها وجهان:

فإما أنهم يعلمون: أنه «صلى الله عليه و آله» يكابد ما يكابدون، و يعيش كما يعيشون، فلا يبقى لهذه المطالبة ما يبررها.

و إما أنهم كانوا يظنون برسول الله «صلى الله عليه و آله» : أنه يحتفظ بشيء من الطعام لنفسه، كان يتناوله في الخفاء، و يؤثر به نفسه عليهم و هي تهمة شائنة، يعرف الناس كلهم بطلاهنها، وزيفها، و سوء سريرة من يأتي بها.. و لأجل ذلك اعترض عليهم رجل منهم، وهو: بريدة الإسلامي. و لا م لهم على فعلهم هذا.

ولعلنا نرجح الاحتمال الآخر، و هو: أن قبيلة أسلم كانت تظن برسول الله «صلى الله عليه و آله» هذا، فإنها إحدى قبائل الأعراب التي كانت تحيط بالمدينة، و نزل القرآن ليخبر بوجود المنافقين في تلك القبائل.. و لا نريد أن نقول أكثر من هذا!!

### اللواء للحباب بن المنذر:

هذا.. وقد ذكرت الفقرة السابقة أيضاً: أن رسول الله «صلى الله عليه و آله» أعطى اللواء للحباب بن المنذر، بعد فتح حصن ناعم، و ذلك حين مهاجمة حصن الصعب..

مع أننا نعلم: أن لواء رسول الله «صلى الله عليه و آله» كان مع علي

«عليه السلام» في جميع المشاهد، باستثناء تبوك. .

وقد تقدمت النصوص الدالة على ذلك في واقعة أحد، فراجعها. .

وما زعموه من أن عليا «عليه السلام» لم يحضر بداية حرب خيبر. غير صحيح كما أظهرته النصوص حسبما أثبتناه في سياق حديثنا في وقائع هذه الغزوة. .

### الصعب أكثرها طعاما:

زعمت الرواية المتقدمة: أن حصن الصعب كان أكثر حصون خيبر طعاما، وأن الجوع قد أصاب أسلم، وسائر المسلمين، حتى فتح عليهم حصن الصعب، ولكننا في مقابل ذلك نرى:

ألف: أن عائشة تروي: أن حصن ناعم قد سد حاجتهم إلى الطعام، فلم تبق لديهم أية مشكلة، فقد قالت: ما شبع رسول الله «صلى الله عليه وآله» من خبز الشعير والتمر، حتى فتحت داربني قمة—وقالوا: إن المقصود: هو حصن ناعم (1).

ولا يعقل: أن يشبع رسول الله «صلى الله عليه وآله» ويوجع من معه!

كما لا يعقل: أن يكون المقصود: أنه شبع مرة واحدة ثم جاع.

ب: وأن اليهود كانوا موجودين في حصن ناعم بالمئات و كانوا قد أعدوا من الأطعمة ما يكفيهم في حصار المسلمين لهم مدة طويلة. .

وبعد فرارهم وخروج الحصن من يدهم بقي ما كانوا قد أعدوه في

ص: 182

---

1- السيرة الحلبيه ج 3 ص 39 وراجع: معجم ما استعجم للبكري الأندلسي ج 2 ص 523.

مكانه، وقع في أيدي المسلمين..

بقي أن نشير إلى قولهم: إن اليهود جعلوا أموالهم في حصن الكتبية [\(1\)](#). لا يصح الاستدلال به هنا. إذ يجوز أن يكون المراد بأموالهم هو: خصوص النقود ونحوها، دون ما ذكرها هنا [\(2\)](#).

### تسخين الماء في آنية اليهود:

و عن تسخين الماء في آنية اليهود، قبل استعمال المسلمين لها قال الحلبي: «حكمة تسخين الماء لا تخفي، وهي: أن الماء الحار أقوى في النظافة، وإخراج الدسوقة، والله أعلم» [\(3\)](#).

ونضيف:

أن تدخل النبي الكريم في هذا الأمر يشير إلى: أن ثمة أمراً هاماً، يحتاج إلى معالجته، وإن فقد كان من المناسب ترك هذا الأمر إلى سلقة الناس في تعاملهم مع أواني الآخرين.

ولكن الروايات عجزت عن التصریح بالأمر الذي دعاه «صلی الله علیہ وآلہ وسلم» إلى هذا التدخل في هذه التفاصيل والجزئيات.

فهل السبب في ذلك: أنه «صلی الله علیہ وآلہ وسلم» كان يخشى من كيد اليهود للMuslimين، بوضع سموم لا تزول بمجرد غسل الآنية بالماء؟ ..

أم أنه يريد أن يعرف الناس بمدى قذارة اليهود، وبعدهم عن فروض

ص: 183

---

1- السيرة الحلية ج 3 ص 39.

2- السيرة الحلية ج 3 ص 39 والمغازي للواقدي ج 2 ص 664.

3- السيرة الحلية ج 3 ص 41.

النظافة، مهما كانت عادمة وسطحية؟ .

أو أنه يريد أن يتلافى دسوقة كانت في تلك الأوانى، هي بقایا أطعمة محمرة، يرى ضرورة تنزيه المسلمين عنها؟ ! ..

أو أن الهدف هو تأكيد حالة الفصل بين المسلمين واليهود في تعاملهم مع بعضهم البعض، إذ ربما لم يكن المسلمين يتزهون عن أي شيء من مستويات هذا التعامل، وحالاته، وكيفياته، في الوقت الذي كانت هناك حاجة إلى درجة من التحاشي عن هذا الاندماج المطلق بين الفريقين، وإيجاد مستوى من الإحساس بالفارق، وعدم الرضا بواقع اليهود، وبحالاتهم .

### **أعظم حصون خير:**

وزعم حديث بنى أسلم: أن حصن الصعب بن معاذ كان أعظم حصون خير .

مع أن النصوص تصرح: بأن حصن القموص كان أعظمها، وأنه كان منيعاً حاصراً المسلمين عشرين ليلة، ثم فتحه الله تعالى على يد علي [«عليه السلام»](#) (1).

فلعلهم أرادوا بهوئيل أمر حصن الصعب التفخيم والتعظيم للحباب بن المنذر، ولبني أسلم وغفار، والتحفيف من و هج فتح حصن القموص، وقلع باب خير؟ !

أم أنهم وقعوا تحت تأثير اسمه «الصعب» فاستبطوا له هذه الصعوبة

ص: 184

---

1- السيرة الحلبية ج 3 ص 41 وراجع: سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 124.

التي ميزته عن سائر الحصون .

أم أنهم أرادوا تبرير الهزيمة التي مني بها أولئك المتخاذلون، والتي حدثت أكثر من مرة حتى في هذا الحصن الذي لم يستحق سوى يومين من الحصار، ثم سقط أمام عزمه صادقة من عزمات أهل الإيمان.

قد يكون هذا الاحتمال الأخير هو الأوضح والأظهر، وقد يكون قد تناغم مع الاحتمال الأول حتى كان ما كان.

### الإفتخار في الحرب:

وقد حكم الناس على عمارة بن عقبة الغفارى: بأنه قد بطل جهاده لمجرد قوله، حين ضرب هامة ذلك اليهودى:

خذها و أنا الغلام الغفارى... .

فصحح النبي «صلى الله عليه و آله» لهم هذا المفهوم الخاطئ، و حكم بأنه يؤجر و يحمد.

ونقول:

إن الافتخار في الحرب الموجب لإرعب العدو، و هزيمته النفسية هو في حد ذاته جهاد يثاب الإنسان عليه. و يوجب الثناء والحمد لفاعله؛ لأنه يكون قد أسرهم في كسر شوكة العدو، و إضعافه، و تمهيد السبيل إلى الحقائق الهزيمة التامة به .

كما أن إظهار القوة والعزة في قبال العدو، يمنح أهل الإيمان المزيد من الثبات، و الثقة بالنصر، و يزيد في تصمييمهم، وفي قوتهم، و عزيمتهم، فيجتمع على العدو ضعفان:

ص: 185

ضعف: نابع من داخل ذاته، من خلال الكبت والشعور بالخيبة.

ضعف آخر: ينشأ عن رؤية قوة المسلمين، وشدة اندفاعهم.

ويكون فيه للمسلمين قوتان:

إحداهما: نابعة من داخل ذاتهم.

والآخر: تبلور في ضعف عدوهم، وفي هزيمته الروحية.

### حديث الشاتين، وقطع الغنم:

ونحن لا نشك في كذب حديث قطع الغنم، والاستيلاء على شاتين منه، وذلك لسبب بسيط، هو:

أولاً: إنه لا يعقل وجود قطع الغنم هذا خارج الحصن، ثم لا يستولي عليه المسلمون، ليصبح من غنائمهم.

ثانياً: إذا كان أخذ المسلمين لذلك القطع حلالاً، فلماذا لا يرسل النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» سرية قادرة على أخذ القطع كله، أو جانب كبير منه. بل يكتفي بالأمر بأخذ شاة أو شاتين؟! وإن كان حراماً فكيف جاز له أخذ تينك الشاتين؟!

ثالثاً: إذا كان المقصود للنبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» هو: إطعام جيشه من ذلك الجيش الشاة والشatan ولا العشرة.

وإن كان المقصود هو: أن يأكل النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» و من حوله من أهل بيته و خاصته، فذلك بعيد عن خلقه «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» ..

ولأجل ذلك تقول:

لا يمكننا قبول ما ذكرته الرواية: من أن قسماً من المسلمين لم يستفيدوا

من لحم تينك الشاتين، وهم الذين كانوا في الرجيع. بل اقتصر الأمر على الذين كانوا مع رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» في موضعه الذي كان فيه..

رابعاً: قد صرحت الرواية نفسها: بأن المسلمين كانوا يحاصرون ذلك الحصن، وأنه كان قد مضى على حصارهم له ثلاثة أيام، فأين كان ذلك القطيع في تلك الأيام الثلاثة؟! ولماذا لم يره المسلمون، قبل أن يبادر إلى دخول الحصن؟! وأين كان المسلمون حين اقتربت الغنم من باب الحصن المفتوح، هل كانوا يحاصرونه؟ أم أنهم تركوه وابعدوا عنه؟ ومن أين أقبلت غنم ذلك الرجل اليهودي؟!

وكيف يجرؤ أهل هذا الحصن المحاصر بالرجال على فتح أبواب حصنهم، وإخراج غنائمهم منه، أو إدخالها إليه؟! .. وكيف؟! وكيف؟!

..

### الحباب بن المنذر في الواجهة:

ويلاحظ هنا: أن الروايات قد اختارت الحباب بن المنذر ليكون هو المتتصدر لواجهة الأحداث في حصن الصعب بن معاذ، وله نصيب أيضاً من ذلك في غيره.. ولكن لم يظهر علي «عليه السلام»، ولا لأبي دجانة، ولا للمقداد، ولا حتى للزبير، أو محمد بن مسلمة. وعشرات الفرسان الآخرين، لم يظهر لأحد منهم في هذا الحصن، مع أن محمود بن مسلمة كان قد قتل قبل ذلك في حصن ناعم، فلماذا لا يتحرك أخوه محمد في كل الحصون التي حوصلت عشرات الأيام حتى فتحت؟! ..

ولماذا لم يطالب بالأخذ بشارات أخيه فيها، بل صبر إلى حصن القموص ليقتل مرحباً هناك بأخيه كما يزعمون؟!

ولماذا لم يلاحق مرحبا في حصن الصعب، أو النزار، أو حصن الشق أو غير ذلك؟ ! ..

فأين كان هذا الرجل؟ وأين كان هؤلاء في هذا الحصار الذي استمر أياماً لحصن حسين فيه خمس مائة مقاتل، ولم يكن بخير حصن أكثر طعاماً، و ماشية، و متاعاً منه الخ.. كما زعموا؟ !

ولماذا غابوا جميعاً عن الواجهة، و خبا و هجهم، وأفل نجمهم؟ ! ..

فهل للحباب شأن في موضوع بعينه، يراد التسويق له؟ ! ..

### ابن مسلم يقول: تبسم إلى صلّى الله عليه و آله:

وفي حديث رمي النبي «صلى الله عليه و آله» بسهم صائب في هذا الحصن، يقول محمد بن مسلم: «و تبسم رسول الله «صلى الله عليه و آله» إلى». .

ونحن لم نستطع أن نفهم سبب تبسمه «صلى الله عليه و آله» لخصوص محمد بن مسلم، تاركاً حوالي ألف و خمس مائة مقاتل محروماً من نعمة هذه البسمة، ومن الإيحاء بمعانيها و مراميها، من دون سبب ظاهر؟ !

فهل أعجب-و العياذ بالله-النبي «صلى الله عليه و آله» بنفسه، حين أصاب ذلك الرجل، و ظهر أنه يجيد الرمي، وأراد أن ينال إعجاب خصوص محمد بن مسلم. إن القول بهذا يتجاوز حدود إساءة الأدب ليكون إنكاراً لعصمة رسول الله «صلى الله عليه و آله» ..

أم أن لابن مسلم خصوصية لديه «صلى الله عليه و آله» لم تكن لأحد سواه حتى لعلي «عليه السلام»، فضلاً عن غيره من أصحابه؟ !

وهذا أمر ينكره ولا يعترف لابن مسلمة به أحد حتى محبوه، والمهتمون بشأنه، والساعون لتخصيصه بالكرامات والفضائل..

### الإهتمام بالطعام و الغنيةمة:

والنصوص المتقدمة، وبعض النصوص الأخرى، قد أظهرت: أن ثمة اهتماما خاصا بالطعام والمال، وبالغنيةمة، والغنم، بما في ذلك: السمن، والعسل، والسكر، والزيت، والشعير، والتمر، والودك، والشحم، والماشية، والمتع..

وهي أيضا تتحدث عن جوع، وشكوى، ودعاء، وابتهاج..

فهل ذلك يعبر عن واقع المسلمين؟! أو هل هذا كان كل همهم، وغاية قصدهم؟!

### مدة الحصار:

وقد صرحت النصوص أيضا: بأمور متناقضة، فيما يرتبط بمدة الحصار لحصن الصعب.

فهي تارة تقول: إن الحصار دام أيام، هي أكثر من ثلاثة أيام، بلا شك؛ لأن الاستيلاء على الشاتين كان بعد ثلاثة أيام من الحصار، ولا ندري كم دام الحصار بعدها؟!

وتارة تقول-كما يظهر من حديث أم مطاع-: إنهم فتحوه في يوم واحد..

ولكن نصا آخر يقول: إن الحصار دام يومين فقط، فأي ذلك هو الصحيح؟

وألا يشير هذا إلى: أن ثمة تعمدا للاختلاق والكذب في هذا الأمر بالذات؟!

كان حصن قلعة الزبير في رأس قلعة أو قلعة، لا تقدر عليه الخيل ولا الرجال، فلما تحولت يهود من حصن ناعم، و حصن الصعب بن معاذ إلى قلعة {أو قلعة} الزبير حاصرهم رسول الله «صلى الله عليه و آله» فيه.

فأقام «صلى الله عليه و آله» محاصرهم ثلاثة أيام، فجاء يهودي يدعى غزال فقال: يا أبا القاسم، تؤمنني على أن أدلوك على ما تستريح به من أهل النطة، و تخرج إلى أهل الشق، فإن أهل الشق قد هلكوا رعايا منك؟

فأن منه رسول الله «صلى الله عليه و آله» على أهله و ماله.

فقال اليهودي: إنك لو أقمت شهراً ما بالوا، لهم دبول [\(1\)](#) تحت الأرض، يخرجون بالليل فيشربون منها، ثم يرجعون إلى قلعتهم فيمتنعون منك، فإن قطعت عنهم شربهم أصحرروا لك.

فسار رسول الله «صلى الله عليه و آله» إلى دبولهم فقطعها، فلما قطع عليهم مشاربهم خرجوا و قاتلوا أشد قتال [\(2\)](#).

وقتل من المسلمين يومئذ نفر، وأصيب من اليهود في ذلك اليوم عشرة، و افتتحه رسول الله «صلى الله عليه و آله» و كان هذا آخر حصون النطة.

ص: 190

---

1- الدبول: الجدول {القاموس المحيط ج 3 ص 373} .

2- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 122 و 123 وفي هامشه عن: البيهقي في الدلائل ج 4 ص 124 و المغازي للواقدي ج 2 ص 646 و 667. وراجع: السيرة الحلبية ج 3 ص 40.

قيل: سمي هذا الحصن بحصن قلعة الزبير، لأنه صار في سهم الزبير بن العوام بعد ذلك [\(1\)](#).

ونقول:

أولاً: إن إطلاق هذا الاسم على هذا الحصن لا يعقل أن يكون لأجل ما ذكروه، وذلك لما يلي:

ألف: لا شك في أنه قد كان لهذا الحصن اسم يتداوله أهل تلك البلاد أنفسهم، وذلك قبل أن يأتي النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» إليه، فما هو هذا الاسم.

فإذا ظهر: أنهم كانوا يطلقون عليه نفس هذه التسمية، فذلك يدل على: أنه كان قد سمي باسم زبير آخر، ممن كان على دينهم، ومن الشخصيات المرموقة فيهم مثل الزبير بن باطأ، أو غيره.

ب: إن من غير المعقول، ولا المقبول: أن يعطي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» حصننا بأكمله إلى رجل واحد هو الزبير بن العوام..

ولماذا يعطي الزبير هذا العطاء الكبير، وهو لم يكن له ذلك الأثر العظيم في تلك الحرب..

ج: يضاف إلى ذلك: أن أراضي خير لم تقسم على المسلمين ليكون للزبير سهم بهذا الحجم بل أبقاها النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» بيد اليهود، يعملون فيها على النصف من ثمارها.. وإنما أخرجهم منها عمر بن الخطاب كما سيأتي بيانه.

ص: 191

---

1- السيرة الحلبية ج 3 ص 40 و سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 160

د: إنه إذا أراد النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» أن يعطي أحدا شيئاً فإنه لا يعطيه حصناً أو قلعة - كما ورد في بعض التعابير - بل يعطيه أرضاً زراعية، يستطيع أن يستغلها، أو يستثناها يستفيد من ثمار أشجاره.

ثانياً: إن هذا اليهودي قد بادر من عند نفسه - كما تقول الرواية - إلى إخبار رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» بأمر خطير، من شأنه أن يسقط الحصن بأكمله في أيدي المسلمين، ويمكنهم من إلحاق هزيمة منكرة بمن هم على دينه، لا لشيء، بل لمجرد إعطائه الأمان على نفسه، وأهله وماله !

### غير أنا نلاحظ:

أن النصوص لا تصرح بما جرى لهذا اليهودي المخبر، فهل أخذ أسيراً، فخاف من القتل، فأقر بما أقر به؟!

أم أنه جاء باختياره متطوعاً بإخبار النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» بهذا الأمر الخطير؟! الذي يوجب حلول البلاء بمن هم على دينه؟!

ربما يقال: إن ظاهر النص هو هذا الأمر الثاني؛ لأنَّه قال: فجاء يهودي يدعى نزال، فقال: يا أبا القاسم الخ ..

وعلى فرض صحة هذه الرواية - ونحن نشك في صحتها - فإنَّ هذا يشير إلى: أنَّ هؤلاء الناس لا يعيشون هم الدين، ولا يتزمون بالمبادئ والقيم، بل ولا بالعادات والتقاليد، وإنما همتهم هي في حفظ أنفسهم وامتيازاتهم، حتى إنهم إذا قاتلوا وليس ذلك رغبة منهم في جنة، أو خوفاً من عقوبة الله تعالى لهم على تقصيرهم، وإنما من أجل الدنيا، أو استجابة لنزوات الميول والأهواء، أو لجاجاً، أو عناداً، بداعي الحقد والضغينة، أو لأنَّ الشيطان يزين لهم ظاهرون ومنتصرون، أو سعياً لاكتساب ثناء لا

يدوم، أو مجد موهوم.. أو نحو ذلك.

### بطولات موهومة:

وفي صورة تشبه الصورة التي سبقت، يذكر بعضهم: أنه «صلى الله عليه وآله» مكث سبعة أيام يقاتل أهل حصن النطة، يذهب كل يوم بمحمد بن مسلمة للقتال، ويختلف على محل العسكر عثمان بن عفان، فإذا أمسى رجع «صلى الله عليه وآله» إلى ذلك المحل. ومن جرح من المسلمين يحمل إلى ذلك المحل ليداوي جرحه. فجرح أول يوم خمسون من المسلمين.

ونادى يهودي من أهل النطة بعد ليل: أنا آمن وأبلغكم.

قالوا: نعم.

فدخل على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فدلله على عوره ليهود.

فدعوا أصحابه و حضنهم على الجهاد، فظفره الله تعالى بهم الخ..

وفي نص آخر: كان «صلى الله عليه وآله» ينأوب بين أصحابه في حراسة الليل، فلما كانت الليلة السادسة من السبع استعمل «صلى الله عليه وآله» عمر، فطاف عمر بأصحابه حول العسكر، وفرقهم، فأتى برجل من يهود خبير في جوف الليل، فأمر عمر أن يضرب عنقه.

فقال: اذهب بي إلى نبيكم حتى أكلمه، فأمسك عنه، وانتهى به إلى باب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فوجده يصلی، فسمع «صلى الله عليه وآله» كلام عمر، فسلم وأدخله عليه، فدخل اليهودي، فقال «صلى الله عليه وآله» لليهودي: ما وراءك؟

قال: تؤمنني يا أبا القاسم؟!

قال: نعم.

قال: خرجت من حصن النطة، من عند قوم يتسللون من الحصن في هذه الليلة.

قال: فـأين يذهبون؟

قال: إلى الشق، يجعلون فيه ذراراً لهم، ويتهدّأون للقتال.

وفي هذا الحصن الذي هو الحصن الصعب من حصون النطة، في بيت فيه تحت الأرض، منجنيق، ودبابات، ودروع، وسيوف، فإذا دخلت الحصن غداً، وأنت تدخله.

قال رسول الله «صلى الله عليه وآله» : إن شاء الله.

قال اليهودي: إن شاء الله -أوقفتك عليه، فإنه لا يعرفه غيري. وأخرى.

قيل: ما هي؟

قال: يستخرج المنجنيق، وينصب على الشق {والمراد هو: حصن البريء} ، ويدخل الرجال تحت الدبابات، فيحفروا الحصن، فتحته من يومك. وكذلك تفعل بحصون الكتبة.

ثم قال: يا أبا القاسم، احقن دمي.

قال: أنت آمن.

قال: ولـي زوجة فـهـبـها لـي.

قال: هي لك. ثم دعاه «صلى الله عليه وآله» إلى الإسلام.

فقال: انظرني أياماً.

ثم قال «صلى الله عليه وآله» لمحمد بن مسلمـة: لأعطيـنـ الـرـاـيـةـ إـلـىـ رـجـلـ.

يحبه الله ورسوله، ويحبانه.

وفي لفظ: قال «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» : لأدفعن الرأية إلى رجل يحب الله ورسوله، لا يولي الدبر، يفتح الله عز وجل على يده، فيمكنه الله من قاتل أخيك الخ.. [\(1\)](#).

ونقول:

إن في هذه الرواية أموراً عديدة، لا بد من التوقف عندها، وهي:

### نصب المنجنيق:

إن هذه الرواية ذكرت: أن المنجنيق قد نصب على حصن البريء من حصن الشق.. أو على حصن النزار [\(2\)](#).

مع أنهم يقولون: لم ينصب المنجنيق إلا في غزوة الطائف [\(3\)](#).

والغريب في الأمر: أن الحلببي يقول في وجه الجمع: إنه يجوز أن يكون قد نصب ولم يرم به هنا، ونصب ورمي به هناك [\(4\)](#).

لقد قال الحلببي هذا، مع أن التعبير الذي أوردته هو نفسه يقول: لم ينصب المنجنيق إلا في غزوة الطائف، ولم يقل: لم يرم بالمنجنيق.. وما ذلك

ص: 195

- 
- 1- راجع: السيرة الحلبية ج 3 ص 34 و 35 و راجع ص 41 والإمتاع ص 312 والمغازى للواقدي ج 2 ص 645 و 647 و 648 ونظم درر السمطين للزرندى الحنفى ص 99.
  - 2- المغازى للواقدي ج 2 ص 648.
  - 3- السيرة الحلبية ج 3 ص 41.
  - 4- السيرة الحلبية ج 3 ص 41.

إلا لأن المفهوم من التعبير بنصب المنجنيق هو الرمي به.

والأولى أن يقال: إن الإشكال غير وارد من الأساس.

فإن الرواية لم تذكر: أنه «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهٖ وَسَلَّمَ» قد نصب ذلك المنجنيق، ورمي به.

بل قالت: إن ذلك اليهودي قد افترض أو اقترح ذلك، فبذلك ينحل الإشكال المتعلق بالمنجنيق.

يضاف إلى ما تقدم: أن هذه الرواية تدل على: أن أول حصن بدأ به من حصون الشق هو حصن البريء.

مع أنه سيأتي في فقرة «حصن الشق»: أن أول حصن بدأ به هو أبي. وبالتالي بقلعة سموان.

### **ذراري اليهود لم تكن في حصن الشق:**

ويفهم من الرواية السابقة: أن ذراري اليهود كانوا معهم في حصن النطة، وأنهم نقلوهم بعد أن أرهقهم الحصار إلى حصن الشق [\(1\)](#).

ونقول:

أولاً: قد صرحو: بأن الذراري لم يكونوا في حصن النطة، بل كان فيه المقاتلون فقط.

ثانياً: إن هؤلاء الذراري لم يجعلوا في حصن الشق، بل كانوا في حصن الكتبية كما هو معلوم، وقد جعلوهم -حسب تصريحهم- فيه قبل حصار

ص: 196

---

1- المغازي للواقدي ج 2 ص 648

رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» لَهُمْ .

إلا أن يكون المقصود: هو بعض الدراري، الذين كانوا معهم يساعدونهم في إعداد الطعام والشراب للمقاتلين، أو للقيام على جرحاهم، أو نحو ذلك .

### ابن مسلمة قارة، و الحباب أخرى:

لقد ركزت الرواية المتقدمة على محمد بن مسلم، و جعلته محور التحركات النبوية في حصن النطة .

فهي تقول: إن النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» كان يذهب كل يوم بمحمد بن مسلم للقتال، و يرجع في المساء . فهل كانت قيادة الجيش الإسلامي قد أنيطت بابن مسلم؟ فإن كان الأمر كذلك، فلماذا لم يحدثنا عنه التاريخ و يقول: إن محمد بن مسلم كان صاحب لواء رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» في خيبر؟ !

أما أن رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» كان يأخذ لأجل القتال فقط، لا بعنوان قيادة، و لا غير ذلك؟

فالسؤال هو: إن المشاركون في القتال كثيرون، فلماذا خص الرواية ابن مسلم بالذكر من بين ألف و خمس مائة مقاتل؟! ..

ولماذا لم يذكروا عليا «عليه السلام» ، أو أبي دجانة، أو المقداد، أو غير هؤلاء أيضا؟ !

أم يعقل أن يكون هؤلاء قد أصبحوا متخاذلين؟ ! وغير ذوي أثر، وأن ابن مسلم أصبح أكثر نشاطا و حركة منهم؟

هذا . . واللافت: أن الحباب بن المنذر قد غاب هنا أيضا، و لم يكن له

نصيب يذكر، رغم أنه قد أعطى دوراً كبيراً في موقع آخر..

واللافت أيضاً: أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم ير محمد بن مسلمة أهلاً لأن يقتل قاتل أخيه، كما صرحت به هذه الرواية، فوعده بأن يعطي الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبانه، يمكنه الله من قاتل أخيه {أي أخي محمد بن مسلمة} ، فلماذا لا يمكن الله محمد بن مسلمة نفسه من أن يقتل قاتل أخيه؟!

وإذا كان محمد بن مسلمة هذا لم يستطع أن يقتل قاتل أخيه، حتى احتاج إلى علي «عليه السلام» ليقوم بهذه المهمة.. فكيف كان يختاره النبي «صلى الله عليه وآله» ليذهب معه للقتال؟! وما هو نوع ومستوى القتال الذي كان يذهب به إليه؟!

بل سيأتي: أن محمد بن مسلمة نفسه قد انزعج من قتل علي «عليه السلام» لأخيه مرحباً اليهودي، وحقد على أمير المؤمنين «عليه السلام» بسبب ذلك، واعتبر ذلك ذنباً له «عليه الصلاة والسلام».

### موقع عثمان هو الأنسب:

ولعل أنساب ما في هذه الرواية إعطاء عثمان بن عفان مهمة حراسة منازل النساء، وأثقال العسكري، وهو الموضع الذي يحمل إليه المجرحون للتداوي.. لأنه أكثر المواقع أمناً، وأبعدها عن الخطر.

وقد كان عثمان -فيما يبدو- بحاجة إلى هذا الأمان، فقد أظهر ما جرى له في واقعة أحد: أنه لا يقدر على مواجهة الأهوال، أو ملاقاة الرجال. حيث إن فزعته- الشهيرة -في أحد جعلته يهرب في الهضاب والشعاب، ولا

يعود إلا بعد ثلاثة أيام، حتى قال له النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» : لقد ذهبت بها عريضة [\(1\)](#).

### عمر يأمر بضرب عنق شخص:

وقد صرحت الرواية المتقدمة أيضاً: بأن عمر بن الخطاب حين مناويته في حراسة العسكر قد أتى يهودي، فأمر بضرب عنقه.

وسؤالنا هو:

أولاً: لماذا يأمر غيره بضرب عنق ذلك اليهودي، ولا يبادر هو إلى ذلك؟! أم أنه يريد أن يجد من يشاركه في هذا الفعل، ليكون اللوم عليه

ص: 199

---

1- راجع: تفسير المنار ج 4 ص 191 و الجامع لأحكام القرآن ج 4 ص 244 وفتح القدير ج 1 ص 392 و تفسير القرآن العظيم ج 1 ص 414 و تفسير التبيان ج 3 ص 26 وتاريخ الأمم والملوک ج 2 ص 203 والإرشاد للشيخ المفید ص 50 والبحار ج 20 ص 84 والبداية والنهاية ج 4 ص 28 وشرح النهج للمعتزلي ج 15 ص 21 عن الواقدي، لكن مغازي الواقدي المطبوع لم يصرح بالأسماء بل كنى عنها في ج 1 ص 277 إلا أنه في الهاشم قال: في نسخة {عمر وعثمان} والكامن لابن الأثير ج 2 ص 158 و السيرة الحلبية ج 2 ص 227 و السيرة النبوية لابن كثير ج 3 ص 55 و الدر المنشور ج 2 ص 88 و 89 عن ابن حجر و ابن المنذر، و ابن إسحاق. و راجع: سيرة ابن إسحاق ص 332 و جامع البيان ج 4 ص 96 و غرائب القرآن {مطبوع بهماش جامع البيان} ج 4 ص 113 و التفسير الكبير للرازي ج 9 ص 50 و 51 و أنساب الأشراف ج 1 ص 326. و راجع عن فراره يوم أحد و تخلفه يوم بدر: محاضرات الراغب ج 3 ص 184 و مسند أحمد ج 2 ص 101 وج 1 ص 68 و الصراط المستقيم للبياضي ج 1 ص 91.

أخف؟ ! أو أنه لا يجرؤ على قتل أحد بنفسه؟ !

ثانياً: كيف يجوز أن يأمر بضرب عنق ذلك اليهودي من دون استجازة من رسول الله «صلى الله عليه وآله» ؟ ! بل حتى من دون أن يعلمه بأمره؟ !

وهل للحارس أن يتولى ضرب أعنق الناس الذين يجددهم في نوبة حراسته؟ ! من دون مراجعة؟ !

وكيف لا يرجع أمره إلى النبي «صلى الله عليه وآله» ؟ ! فلعل له فيه رأيا آخر وسياسة أخرى.

وهذا العمل هل يتوافق مع قوله تعالى: لا تقدّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ ؟ ![\(1\)](#).

ثالثاً: كيف يأمر بضرب عنق الرجل قبل استجوابه، و معرفة نواياه، و الذي جاء به، و ما يحمل من معلومات تقيد المسلمين في حربهم؟ !  
فلعل الأمور كانت تسير في غير الاتجاه الذي ظنه..

رابعاً: إن روایة الواقدي تقول: إن الذي أخذ ذلك العين هو عباد بن بشر، وليس عمر بن الخطاب، فجاء به إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» ، فأخبره الخبر.

فتدخل عمر وقال: اضرب عنقه.

قال عباد: جعلت له الأمان الخ..[\(2\)](#).

ص: 200

---

- الآية 1 من سورة الحجرات.

- المغازى للواقدي ج 2 ص 641

وفي جميع الأحوال نقول:

لأنه لا ندري لماذا يتدخل عمر، ويصدر الأوامر بهذه الطريقة، فلو أنهم أطاعوه في أوامر كهذه، فهل سيرضي ذلك رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟

يضاف إلى ذلك: أننا قد ذكرنا في أواخر غزوة أحد: أن عمر كان يطلب ضرب عنق هذا وذاك في موارد ومناسبات مختلفة، وكان رسول الله «صلى الله عليه وآله» يرفض ذلك. كما أنه قد طلب من عدد من الصحابة أن يبادروا إلى قتل بعض الناس، وكانوا يرفضون قبول ذلك منه، كما كان الحال بالنسبة لأبي جندل، الذي كان يحثه عمر، على قتل أبيه في الحديبية. فرفض أبو جندل ذلك.

فلماذا يصر عمر على مثل هذا الأمر في المواقف المختلفة؟!

ولماذا لا يبادر هو إلى قتل هذا وذاك ممن يصدر الأوامر لغيره بقتلهم؟! ولماذا؟! ولماذا؟!

**لا يعرف المنجنيق إلا هذا اليهودي:**

وقد زعمت الرواية المتقدمة: أنه كان في حصن الصعب موضع فيه منجنيق، ودبابات، ودروع، وسيوف. وأنه لا يعرف ذلك الموضع إلا ذلك اليهودي الأسير.

ونقول:

إن كان ذلك اليهودي هو الذي وضع تلك الأسلحة في ذلك الموضع، دون علم أحد، لأن اليهود كلفوه بذلك أو لأن تلك الأسلحة كانت ملكا خاصا به، فمن الطبيعي أن لا يعرفها أحد سواه.

ص: 201

وأما إذا كانت هذه الأسلحة قد هيأها أهل الحصن للدفاع بها عن حصنهم، فاللازم هو: أن يعرف زعماء اليهود، والقيمون على أمر الحرب بالموقع الذي وضعت فيه، ليستفيدوا منها حين تعرض الحاجة، إذ لا يعقل أن يكونوا قد نسوا هذه الأسلحة، أو نسوا موضعها.

وفي جميع الأحوال نقول:

لم يكن هذا اليهودي هو الزعيم الأول لليهود كلهم، ولا ملكوه أسرار حصنهم، ولم يجعلوا أسلحتهم تحت سلطته، ليتولى هو تغييبها عنهم وعن غيرهم.

### لماذا خص النبي صلى الله عليه وآله ابن مسلمية بخطابه؟ !

وقد ذكرت الرواية المتقدمة أيضاً: أنه «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» ، قال لـ محمد بن مسلمية: لاعطين الرأية إلى رجل يحب الله ورسوله، ويحبانه.

غير أننا نقول:

أولاً: لا بد أن نسأل من جديد: لماذا يتم توجيه الخطاب لمحمد بن مسلمية دون سواه؟ فهل هو بهدف التعریض به لأنه كان قد فرّ في تلك الأيام السبعة، التي كان النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» يخرجه فيها إلى القتال.. حتى صح أن يطلق عليه اسم فرار؟ !

ولماذا وعده بأن يمكنه الله تعالى من قاتل أخيه، مع أن ابن مسلمية نفسه لم يتمكن من ذلك طيلة تلك المدة، وما بعدها وإلى آخر أيام حرب خيبر.. حيث إن علياً «عليه السلام» هو الذي تمكّن من ذلك القاتل، وليس ابن مسلمية..

ولماذا يهتم النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» بقتل قاتل أخي ابن مسلم، ولا يذكر من عداه من الشهداء؟! ولا يعلن أنه يريد من علي «عليه السلام» قتل الذين قتلواهم؟! .. فهل لأن قاتله هو مرحباً لعن الله، وهو رأس الحربة لليهود، وأعظم فرسانهم، فإذا قتل مرحباً، تقع الهزيمة بهم، ويحل الفشل والرعب فيهم؟! .. ويكون لذلك النصر العظيم نوع ارتباط بيني مسلمة ويكون ذلك بمثابة مكافأة لهم على خدماتهم لل الخليفة الثاني، من خلال محمد بن مسلم بالذات حسبما أشرنا إليه في جزء سابق.

ثانياً: إن هذا القول: «لأعطيين الراية غداً رجالاً الخ..» إنما كان بعد فتح حصنون النطأة والشق كلها، وبعد وصوله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» إلى حصن القموص -وهو أعظم حصن خير- وهو من حصنون الكتبية وهو آخر حصن فتح في خير كلها، أو قبل آخرها..

### إسهامات عمر في فتح خير:

وهل يمكن أن نفهم من هذه الرواية، التي جعلت أسر اليهودي في نوبة حراسة عمر: أنهم أرادوا أن يجعلوا عمر بن الخطاب سهماً كبيراً في فتح خير؟! بهدف تقليل الفارق بينه وبين علي أمير المؤمنين «عليه السلام» الذي قتل مرحباً، وفتح الله تعالى خير على يديه، واقتلع باب الحصن، واتخذه ترساً. رغم عجز عشرات الأشخاص من حمله، أو عن إعادته إلى موضعه؟!

إذا أخذ رجل في نوبة حراسة عمر، وأدى ذلك الرجل بمعلومات تؤدي إلى فتح أحد حصنون خير، فلربما يفيد ذلك في إعادة رذذ من ماء

الوجه الذي أريق في فرار عمر المتعاقب وكذلك فرار أبي بكر، وغيرهما. حتى صح أن تستعمل في حقهما صيغة المبالغة وهي كلمة: «فَرّار» {أي كثير الفرار} في مقابل «الكُرّار» {أي كثير الكر} . وهو على «عليه السلام» دون سواه .

### قتل مرحباً في القموص لا في الصعب:

وقد فهم من الرواية المتقدمة: أن قول النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» : «لَا يُعْطَيْنَ الرَايَةَ غَدَ رَجُلٌ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إلَّا..» كان في حصن النطة، وبالذات في الحصن الصعب، مما يعني: أن فرار عمر وأبي بكر، وغيرهما، انهزموا، وهم يجتنبون أصحابهم ويتجنبون أصحابهم، قد كان في هذا الحصن بالذات.

مع أن الكلمة المؤرخين متفقة و النصوص متضادرة، و الروايات متواترة في أن محمود بن مسلمة قد قتل في حصن ناعم، وأن فرار عمر وأبي بكر و مبارزة مرحباً و قتله على يد علي «عليه السلام» ، ثم قلع باب الحصن، إنما كان في حصن القموص. وذلك بعد فتح حصن النطة، و حصن الشق كلها، بل إن القموص آخر حصن خير فتحا، أو قبل آخرها.

إلا أن يقال: إن مراد الرواية هو وصف الحصن بأنه صعب ولذلك أدخل الألف واللام على الكلمة الحصن، وليس المراد الحصن المسمى بحصن الصعب بن معاذ.

وهذا يبقى مجرد احتمال، ولكنه احتمال ليس بالقوى.

قد ذكر الصالحي الشامي تبعاً لغيرة:

أنه لما فرغ رسول الله «صلى الله عليه و آله» من النطاة تحول إلى الشق.

و قد روى البيهقي، عن محمد بن عمر، عن شيوخه، قالوا: لما تحول رسول الله «صلى الله عليه و آله» إلى الشق، وبه حصون ذات عد، كان أول حصن بدأ به حصن أبي، فقام رسول الله «صلى الله عليه و آله» على قلعة يقال لها: سموان، فقاتل عليها أهل الحصن، قتالاً شديداً.

و خرج رجل من يهود يقال له: غزول، فدعاه إلى البراز، فبرز له الحباب بن المنذر، فاقتلا، فاختلفا ضربات، ثم حمل عليه الحباب، فقطع يده اليمنى من نصف الذراع، فوقع السيف من يد غزول، فبادر راجعاً منهزاً إلى الحصن، فتبعده الحباب، فقطع عرقوبه، فوقع فذفف عليه.

فخرج آخر، فصاح: من بيارز؟

فبرز له رجل من المسلمين من آل جحش، فقتل الجحش.

و قام مكانه يدعوه إلى البراز، فبرز له أبو دجانة، وقد عصب رأسه بعصابته الحمراء، فوق المغفر، يختال في مشيته، فبدره أبو دجانة فضربه، فقطع رجله، ثم ذفف عليه، وأخذ سليمه، درعه وسيفه، فجاء به إلى رسول الله «صلى الله عليه و آله»، فنفله رسول الله «صلى الله عليه و آله» ذلك.

و أحجم اليهود عن البراز، فكثروا المسلمون، ثم تحاملوا على الحصن فدخلوه، يقدمهم أبو دجانة، فوجدوا فيه: أثاثاً، و متعة، و غنماً، و طعاماً.

و هرب من كان فيه من المقاتلة، و تquamوا العجر، كأنهم الظباء، حتى صاروا إلى حصن النزار بالشق.

وجعل يأتي من بقي من فل النطة إلى حصن النزال - وفي الحلبة: يقال له: حصن البريء، وهو الحصن الثاني من حصني الشق - فغلقوه، وامتنعوا فيه أشد الامتناع.

وزحف رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» إِلَيْهِمْ فِي أَصْحَابِهِ، فَقَاتَلُوهُمْ، فَكَانُوا أَشَدَّ أَهْلَ الشَّقِّ رَمِيَاً لِلْمُسْلِمِينَ بِالنَّبْلِ وَالْحِجَارَةِ، وَرَسُولُ اللَّهِ «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» مَعَهُمْ، حَتَّى أَصَابَتِ النَّبْلَ ثِيَابَ رَسُولِ اللَّهِ «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» وَعَلَقَتْ بِهِ.

فأخذ رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» النَّبْلَ فَجَمَعَهَا، ثُمَّ أَخْذَ لَهُمْ كَفَّاً مِنْ حَصْنِهِمْ، فَحَصَبَ بِهِ حَصْنَهُمْ، فَرَجَفَ الْحَصْنَ بِهِمْ، ثُمَّ سَاخَ فِي الْأَرْضِ، حَتَّى جَاءَ الْمُسْلِمُونَ، فَأَخْذُوا أَهْلَهُ أَخْذًا [\(1\)](#).

ونقول:

إننا نشير إلى ما يلي:

1- لا ندرى إلى أي حد كان أولئك الذين يطلبون البراز بين الصفين مغرورين بأنفسهم، و واثقين بقوتهم! خصوصا إذا كنا مقتنين، بأن الدافع الديني لم يكن هو المؤثر في اندفاعهم إلى الحرب، ولا في اتخاذ القرار بشأنها.

ولعلنا نستطيع أن نؤكد: أن حب الدنيا، و حب الشهرة فيها، جعلهم عاجزين عن تقييم الأمور بصورة منصفة و موضوعية، و سد عليهم باب التعقل، والتدبّر، والإنصاف، حتى لأنفسهم، فكيف ينصفون غيرهم.

ص: 206

---

1- سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 123 و دلائل النبوة للبيهقي ج 4 ص 224 و المغازى للواقدي ج 2 ص 667 و 668 و السيرة الحلبية ج 3 ص 40.

إن من يريد أن ينال بقتل الناس مجدًا وشهرة، وأن يتلذذ بها المجد وبتلك الشهرة لا يملك أدنى حد من الشعور والوجдан الإنساني .

وغني عن البيان: أن صدود هؤلاء عن قبول الحق بعد وضوحيه لهم يثبت بصورة قاطعة: أن أحدا لا يطلب الجنة بقتاله، ولا يسعى لتنفيذ أمر إلهي يخشى العقوبة على مخالفته .

2- وتعود الروايات المتقدمة للحديث عن الحباب بن المنذر من جديد، لتجعل له حصة في فتح هذا الحصن أيضاً، وقد قدمنا عن قريب بعض ما يفيد في تلمّس الإشارات التي تعطي الانطباع عن حقيقة دوافع هؤلاء لنسبة موقف وإنجازات لأناس لا يستحقونها في أنفسهم، وإنما تأتي على شكل مكافآت لهم على موقف اتخذوها، أو نهج اتباعوه، أو أيدوه .

3- وعن تبخر أبي دجابة نقول: قد مر الحديث عن تبخر علي «عليه السلام» في غزوة الخندق، حينما قتل عمرو بن عبد ود، وأن النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» قد أعلن لكل الناس حينئذ: أنها مشية يبغضها الله تعالى إلا في هذا الموضع، الذي يطلب فيه إرهاب العدو، وإضعاف شوكته، والحد من ميله للحرب، فإن ذلك يفيد في حفظ أرواح المسلمين، ودفع ويلات الحرب عنهم، فلعل الله سبحانه يقبل بقلوب هؤلاء الجاحدين، أو بقلوب من يلوذ بهم إلى الإسلام والإيمان، فيما لو أدركوا رعايته تعالى لمسيرة الإيمان، حيث يجد اليأس سبيلاً إلى قلوبهم من أن يستطيع باطلهم أن يتماسك أمام سطوة الحق وأهله .

4- والغريب هنا: أن الرواية المتقدمة: تذكر أنهم حين اقتحموا الحصن كان أبو دجابة يقدمهم، ولا ندرى أيضاً أين كان أسد الله وأسد رسوله

الغالب، الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام»، الذي هو صاحب لواء رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» في كل مشهد؟ !

إذ يبدو لنا: أن هؤلاء قد انتهوا فرصة الإشاعة الباطلة عن أنه «عليه السلام» كان مبتلى بالرمد، وأن التحاقه بالنبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» في خيبر قد تأخر إلى أيام حصن القموص، ونسوا: أن ذلك قد ثبت بطلانه، وزيفه.

حيث سيأتي إثبات رمد عينيه «عليه السلام» إنما اتفق له في آخر أيام حصار حصن القموص، حيث قتل مرحبا..

وسيأتي: أنه لو صح ذلك لم يكن «عليه السلام» هو صاحب لوانه «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» في خيبر وفي كل مشهد..

ويضاف إلى ذلك: أنه إذا كان حصاره «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» لحصن القموص الذي قتل على «عليه السلام» فيه مرحبا قد دام عشرين ليلة، فإن رمد عيني علي «عليه السلام» لم يستمر كل هذه المدة الطويلة..

وسيأتي توضيح ذلك إن شاء الله..

وعلينا ألا ننسى أن رمد علي «عليه السلام»، قد كان من ألطاف الله تعالى، فإنه تعالى قد صنع له ذلك، لكي يفرّ أولئك الناس مرة بعد أخرى، ويظهر للناس من هو الفرار، ومن هو الكرار..

5- وأما بالنسبة لارتفاع الحصن، وأنه ساخ في الأرض لما حصبه النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ»، بكاف من حصى. فهذا إذا ثبتت تكون معجزة عظيمة للنبي الأعظم «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ».

وقد كان المفروض باليهود بعد حصول هذا الأمر العظيم: أن يستسلموا لرسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ»، وأن يؤمنوا به.

إذ لا يعقل: أن يستمرروا على العناد والجحود، وهم يرون هذا العذاب الأليم يحيق بأخوانهم الذين كانوا في ذلك الحصن.

6- إنه إذا صحت هذه الحادثة فلا بد أن يزيد يقين أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» و تتأكد صلابتهم في مواجهة أعداء الله تعالى، فلا يفرون في تلك الحرب مرة بعد أخرى، حتى وصفهم «صلى الله عليه وآله» بأنهم فرّارون .

7- لا ندري الحكمة في جمع النبي «صلى الله عليه وآله» للنبال التي رماهم اليهود بها.. ونحن نرتاتب أيضاً في صحة الرواية التي ذكرت ذلك.

### ماذا عن فتح حصن النزار؟ !

وقد رواه: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» نظر إلى حصن النزار، فقال: هذا آخر حصون خيبر كان فيه قتال..

فلما فتحنا هذا الحصن لم يكن بعده قتال، حتى خرج رسول الله «صلى الله عليه وآله» من خيبر.

ونقول:

لا شك: في أن علياً «عليه السلام» قد قتل مرحباً و ياسراً في حصن القموص، وهو من حصون الكتبية، وإنما انتقل إليه رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعد فراغه من حصون النطاة والشق.

فما معنى قولهم: إنه لم يحصل قتال بعد حصن النزار؟ لا سيما وأن أبو بكر وعمر، وسواهما قد أخذوا الرأبة في حصن القموص، ورجعوا ولم يكن فتحـ كما تصرح به الرواياتـ.

ص: 209

ويمكن أن يجاب: بأن المقصود: أن أبا بكر وعمر وسواهما، وإن أخذوا الراية والجيش، وتوجهوا نحو الحصن، ولكنهم بمجرد أن رأوا مرحباً واليهود فروا خوفاً ورعباً، وصاروا يجتنون أصحابهم، ويتجنبهم أصحابهم.

كما أن النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» قد أرسل المسلمين مع علي «عَلَيْهِ السَّلَامُ»، فهربوا عنه، وتركوه وحده، فقتل مرحباً، وسائر الفرسان، ولم يكن قتال إلا ذلك..

وهذا يوجب الشك: في أن يكون الزبير أو محمد بن مسلمة قد قتل أحداً من الفرسان أيضاً.

ولأجل ذلك: صرحت الروايات والنصوص: بأن فتح حصن الكتبية قد كان بيد علي «عَلَيْهِ السَّلَامُ» وحده. ولا صحة لما زعموه: من حرب وقتل لأحد سواه «عَلَيْهِ السَّلَامُ».

ولعل هذا يفسر لنا أيضاً ما سيأتي: من أن الكتبية والوطيط وسلام كانت لرسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» .. بالإضافة إلى فدك.

### صفية في حصن النزار:

وقد ذكروا هنا أيضاً: أن صفية بنت حبي، وابنة عمها قد أخذتا من حصن النزار، وذلك لأن اليهود أخرجوا النساء والذرية إلى الكتبية، وفرغوا حصن النطة للمقاتلة.

ولكن كنانة بن الحقيق قد رأى أن حصن النزار أحسن ما هنالك،

فأبقياها فيه، هي ونسبيات معها؛ فأسرت تلك النسوة في حصن النزار [\(1\)](#).

ونقول:

إن هناك نصوصاً كثيرة تقول: إن علياً «عليه السلام» هو الذي فتح الحصن، وجاء بصفية إلى رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» [\(2\)](#).

فإن كانت صافية قد سببت في حصن النزار، فذلك يعني: أن علياً «عليه السلام»: هو الذي فتح هذا الحصن أيضاً، كما فتح حصن القموص، وذلك يدل على وجود تصرف خطير في الحقائق التاريخية، ومحاولة تحريف خطيرة لها.

يضاف إلى ذلك: أن هذا النص يفيد: أن رمداً عيني علي «عليه السلام» الذي هيأ الفرصة لأخذ أبي بكر وعمر وغيرهما الراية في حصن القموص، وفرارهما-إن رمداً عينيه «عليه السلام» هذا-قد كان بعد فتح حصن النزار، وفي أيام حصار حصن القموص، الذي استمر عشرين ليلة، كما سيأتي..

ص: 211

---

1- المغازي للواقدي ج 2 ص 668 و 669.

2- قد ذكرنا مصادر ذلك في موضع آخر من هذا الكتاب، وراجع: البحار ج 21 ص 22 وعن الخصائص للنسائي ص 63 وفي هامشه عن أعلام النساء ج 2 ص 333 وأسد الغابة ج 5 ص 490 والدر المنشور ج 1 ص 263.



الفصل الأول: المنهزون الفاشلون الفصل الثاني: وقفات لابد منها الفصل الثالث: قتل مرحباً . أحداث و تفاصيل الفصل الرابع: قلع باب خير . أحداث و تفاصيل

ص: 213







إننا نستمتع القارئ عذراً إذا رأى -في هذا الفصل بالخصوص- أن ثمة تبديلاً في طريقة العرض والمناقشة، حيث آثرنا: أن نقدم في البداية عرضاً لطائفة كبيرة من النصوص.. ثم أحقنها ببعض ما اقتضته الحال من مناقشات لبعضها، وتوضيحات لبعضها الآخر، بالإضافة إلى ملاحظات، أو استفاداترأينا أن من المفيد الإلماح إليها، والوقوف عندها، في نطاق عرض الأحداث التي سجلوها على أنها سيرة وتاريخ.

·  
· وسوف نقتصر على أقل القليل من ذلك، حرصاً منا على عدم إرهاق القارئ بالجزئيات والتفاصيل، فنقول، ونتوكل على خير مأمول، وأكرم مسؤول:

### القموص أعظم حصون خير:

قالوا: لقد كان بخير أربعة عشر ألف يهودي في حصونهم، فجعل رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» يفتحها حصناً، وكان من أشد حصونهم، وأكثرها رجالاً القموص [\(1\)](#).

ص: 217

---

1- البحار ج 21 ص 21 عن إعلام الورى ج 1 ص 207.

وقالوا أيضاً: لما فتح رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» حصن النطة، والشق، انهزم من سلم منهم إلى حصن الكتبية.

وهي: القموص، والوطيع، والسلام.

وأعظم حصونها: القموص، وكان حصننا منها [\(1\)](#). بل هو حصن خير الأعظم [\(2\)](#).

قال ابن وهب: قلت لمالك: و ما الكتبية؟ !

قال: من أرض خير، وهي أربعون ألف عنق [\(3\)](#).

### حار القموص:

وقد فتح الله هذا الحصن العظيم على يد علي «عليه السلام» ، بعد أن حاصره المسلمون عشرين ليلة [\(4\)](#).

وذكر موسى بن عقبة: أن رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» حاصره

ص: 218

---

1- سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 124 و المغازى للواقدي ج 2 ص 670 و راجع: البداية والنهاية ج 4 ص 226 و السيرة النبوية لابن كثير ج 3 ص 376.

2- تاريخ الخميس ج 2 ص 48 و معجم ما استعجم للبكري الأندلسي ج 2 ص 522.

3- إمتناع الأسماع ص 319 و 320 و راجع: سنن أبي داود ج 2 ص 37 و السنن الكبرى للبيهقي ج 6 ص 318 و عون المعبدود ج 8 ص 175 و نصب الرأبة للزياعي ج 4 ص 253 و عن البداية والنهاية ج 4 ص 229 و عن عيون الأثر ج 2 ص 142 و السيرة النبوية لابن كثير ج 3 ص 383 و سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 152.

4- راجع: السيرة الحلبية ج 3 ص 41 و تاريخ الخميس ج 2 ص 48 و سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 124.

قريبا من عشرين ليلة. وكانت أرضا و خمة.

وقال الواقدي: «و بالكتيبة من اليهود، ومن نسائهم، وذراريهن أكثر من ألفين.

فلما صالح رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» أهل الكتبية أمن الرجال والذرية، ودفعوا إليه الأموال: البيضاء والصفراء، والحلقة، والثياب إلا ثوبا على إنسان» [\(1\)](#).

ثم ذكر: أن فلول النطاة والشق جاءتهم إلى الكتبية، والوطيق وسلام، فتحصنتوا معهم في القموص أشد التحصين مغلقين عليهم لا ييرزون، حتى هم رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» أن يرميهم بالمنجنيق [\(2\)](#).

### ربع اليهود:

ويذكر الواقدي أيضاً: أن كنانة ابن أبي الحقيق كان رامياً، يرمي بثلاثة أسهم في ثلاثة ذراع، فدخلها في هدف شبراً في شبر. فما هو إلا أن قيل له: هذا رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» قد أقبل من الشق في أصحابه، وقد تهيأ أهل القموص، وقاموا على باب الحصن بالنبل.. فنهض كنانة إلى قوسه، فلم يستطع أن يورتها لشدة الرعدة التي انتابته..

ثم ذكروا: أنه أرسل إلى رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» ليتلقيه.. ويكلمه في الصلح.. فوقع الصلح بينهما كما سيأتي [\(3\)](#).

ص: 219

---

1- المغازى للواقدي ج 2 ص 669 وإمتناع الأسماع ص 319.

2- المغازى للواقدي ج 2 ص 670.

3- المغازى للواقدي ج 2 ص 670.

ونقول:

لعل هذا النص يريد أن يقول:

إن الصلح كان على بقية حصن الكتبة، أما حصن القموص فقد فتحه علي «عليه السلام» وحده، كما هو صريح كلمات المؤرخين وروياتهم.

### رأيات الفاشلين:

وروى الشیخان، عن سهل بن سعد.

والبخاري، وابن أبيأسامة، وأبونعميم، عن سلمة بن الأكوع.

وأبونعميم، والبيهقي، عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه.

وأبونعميم، عن ابن عمر، وسعد بن أبي وقاص، وأبي سعيد الخدري، وعمران بن حصين، وجابر بن عبد الله، وأبي ليلى.

ومسلم، والبيهقي، عن أبي هريرة.

وأحمد، وأبويعلي، والبيهقي، عن علي «عليه السلام» .

قال بريدة: كان رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهٖ وَسَلَّمَ» تأخذ الشقيقة، فيمكث اليوم واليومين لا يخرج، فلما نزل خير أخذته الشقيقة، فلم يخرج إلى الناس، فأرسل أبا بكر، فأخذ راية رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهٖ وَسَلَّمَ» - وكانت بيضاء (1)- ثم نهض فقاتل قتالا شديدا، ثم رجع، ولم يكن فتح. وقد

ص: 220

---

1- الرياض النصرة {ط محمد أمين بمصر} ج 1 ص 184-188 والإرشاد للمفید {ط مؤسسة آل البيت} ج 1 ص 121 وراجع: شرح الأخبار للقاضي النعمان ج 1 ص 147 والعمدة لابن البطریق ص 150 عن تفسیر الشعابی، والطراوی لابن طاووس ص 58 وإحقاق الحق ج 5 ص 373 ومسند أحمد ج 5 ص 358 والمناقب للخوارزمی {ط النجف} ص 103 وفي {طبعة أخرى} ص 167 والبحار ج 21 ص 3 وچ 39 ص 10 ومناقب أهل البيت للشیروانی ص 139 والمستدرک للحاکم ج 3 ص 37 وعن فتح الباری ج 10 ص 129 ومجمیع البیان ج 9 ص 201 وخصائص الوحی المبین لابن البطریق ص 156 وتفسیر المیزان ج 18 ص 295 وعن تاریخ الامم والملوک ج 2 ص 300 وعن البداية والنهاية ج 4 ص 213 ونهج الإیمان لابن جبر ص 322 والسیرة النبویة لابن کثیر ج 3 ص 354 وسبل الهدی والرشاد ج 5 ص 124.

ثم أرسل عمر، فأخذ راية رسول الله «صلى الله عليه وآله» ، فقاتل قتالا شديدا هو أشد من القتال الأول، ثم رجع، ولم يكن فتح.

وفي حديث عن علي «عليه السلام» عند البيهقي: أن الغلبة كانت لليهود في هذين اليومين (2). انتهى.

وفي نص آخر: أنه «صلى الله عليه وآله» أرسل عمر في اليوم الأول، ثم أرسل أبا بكر في اليوم الثاني، ثم أرسل عمر في اليوم الثالث، ولم يكن

ص: 221

---

1- راجع: البداية والنهاية ج 4 ص 185 مما بعدها عن البيهقي، وراجع ما تقدم من مصادر في الإحالة السابقة. غير أننا ذكرنا فيما تقدم: أن محمود بن مسلمة قد قتل في حصن ناعم.

2- سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 124 والبداية والنهاية ج 4 ص 184 مما بعدها ودلائل النبوة ج 4 ص 209 والسيرة الحلبية ج 3 ص 41 وتاريخ الأمم والملوک ج 2 ص 30 وحلية الأولياء ج 1 ص 62 ومعالم التزييل {ط مصر} ج 4 ص 156 وتنزكرة الخواص ص 25 ومنتخب كنز العمال {بها مش مسند أحمد} ج 4 ص 128 وتاريخ الخميس ج 2 ص 48.

وفي نص آخر عن بريدة: حاصرنا خيبر، فأخذ اللواء أبو بكر، فانصرف ولم يفتح له، ثم أخذه عمر من الغد، فخرج ورجع، ولم يفتح له. وأصاب الناس يومئذ شدة جهد، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله» : إنني دافع اللواء الخ .[\(2\)](#).

و عند الطبرى: فانكشف عمر وأصحابه، فرجعوا إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» ، يجتنبه أصحابه ويتجنبهم، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله» : لاعطين الرأبة-اللواء-غدا رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله.

فلما كان من الغد تطاول لها أبو بكر، و عمر، فدعاهما «عليه السلام» الخ .[\(3\)](#)

ص: 222

1- تاريخ الخميس ج 2 ص 48 وراجع: مناقب أهل البيت للشيرازي ص 141.

2- مسند أحمد ج 5 ص 353 وراجع: الخصائص للنسائي { ط التقدم بمصر } ص 5 والسيرة النبوية لابن هشام { المطبعة الخيرية بمصر } ج 3 ص 175 وأسد الغابة ج 4 ص 334 وشرح أصول الكافي ج 12 ص 494 والعمدة لابن البطريق ص 140 والطرائف لابن طاوس ص 55 والبحار ج 32 ص 133 وج 39 ص 7 ومجمع الزوائد ج 7 ص 150 والسنن الكبرى للنسائي ج 5 ص 109 وتاريخ مدينة دمشق ج 42 ص 92 و 93 والبداية والنهاية ج 7 ص 373 ونهج الإيمان لابن جبر ص 318 وينابيع المودة للفندوزي الحنفي ج 1 ص 155 .

3- تاريخ الأمم والملوك ج 3 ص 30 ومنتخب كنز العمال { بهامش مسند أحمد } ج 4 ص 127 و 128 ولم يذكروا غير عمر في هذا النص، وكذا في الرياض النصرة { ط محمد أمين بمصر } ج 1 ص 185-188 والإرشاد للمفید { ط مؤسسة آل البيت } ج 1 ص 126 والبحار ج 21 ص 28 عن الخرایح والجرایح وراجع ص 3 وج 39 ص 10، وراجع: العمدة لابن البطريق ص 150 والطرائف لابن طاوس ص 58 وتقسیر مجمع البيان للطبرسی ج 9 ص 201 وخصائص الوحی لابن البطريق ص 156 وتقسیر المیزان ج 18 ص 295 وتاريخ مدينة دمشق ج 42 ص 93 ونهج الإيمان لابن جبر ص 322.

وعن أبي ليلى، وعن ابن عباس: بعث أبا بكر فسار بالناس، فانهزم حتى رجع إليه، وبعث عمر فانهزم بالناس حتى انتهى إليه، فقال رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» : لاعطين الخ. .[\(1\)](#).

زاد بعضهم قوله: ثم بعث رجلا من الأنصار فقاتل ورجع، ولم يكن فتح [\(2\)](#).

فأخبر رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» بذلك فقال: «لاعطين الراية غدا رجلا يفتح الله ورسوله، يحب الله ورسوله، يأخذها عنوة».

وفي لفظ: «يفتح الله على يديه».

قال بريدة: فبتنا طيبة أنفسنا أن يفتح غدا، وبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطها.

ص: 223

---

1- منتخب كنز العمال {بها مش مسنن أحمد} ج 5 ص 44 و مجمع الروايات ج 9 ص 123 و راجع: مناقب ابن شهر آشوب ج 2 ص 318 و البخاري ج 3 ص 525 و المستدرك للحاكم ج 3 ص 37 و عن المصنف لابن أبي شيبة ج 1 ص 497 وج 8 ص 522 و كنز العمال ج 13 ص 121.

2- راجع: السيرة الحلبية ج 3 ص 37 و المغازي للواقدي ج 2 ص 654.

فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» كلهم يرجو أن يعطها.

قال أبو هريرة: قال عمر: فما أحببت الإمارة قط حتى كان يومئذ [\(1\)](#).

قال بريدة: فما من رجل له من رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» منزلة إلا وهو يرجو أن يكون ذلك الرجل، حتى تطاولت أنا لها، ورفعت رأسي لمنزلة كانت لي منه، وليس منه [\(2\)](#).

وفي حديث سلمة، وجابر: وكان علي تخلف عن رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» لرمد شديد كان به لا يبصر، فلما سار رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» قال: لا، أنا أختلف عن رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» !!

فخرج فلحق برسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» في الطريق، أو بعد وصوله إلى خيبر [\(3\)](#).

ثم ذكر البخاري وغيره، قوله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» : لأعطيك الراية غداً .

إلى أن قال: فنحن نرجوها، فقيل: هذا علي، فأعطاه، ففتح عليه [\(4\)](#).

ص: 224

---

1- ستأتي مصادر كثيرة لهذا الحديث إن شاء الله تعالى.

2- سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 124 ومنتخب كنز العمال {بها مش مستند أحمد} ج 4 ص 128 وراجع: كنز العمال ج 10 ص 463 و البداية والنهاية لابن كثير ج 4 ص 212 والسيرة النبوية لابن كثير ج 3 ص 354 و مصادر أخرى كثيرة.

3- تاريخ الخميس ج 2 ص 48 وسبل الهدى والرشاد ج 5 ص 124 وراجع: صحيح البخاري {ط محمد علي صبيح بمصر} ج 5 ص 171 وراجع ص 23.

4- صحيح البخاري {ط محمد علي صبيح بمصر} ج 5 ص 171.

وفي نص آخر: فإذا نحن بعلي، وما نرجوه، فقالوا: هذا على الخ.. (1).

قال بريدة: و جاء علي «عليه السلام» حتى أناخ قريبا، وهو رمد، قد عصب عينيه بشق برد قطري.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله» : ما لك؟

قال «عليه السلام» : رممت بعده.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله» : ادن مني.

فدننا منه، ثم ذكر أنه أعطاه الراية، فنهض بها معه، وعليه حلة أرجوان حمراء، قد أخرج خملها، فأتي خير الخ.. (2).

وفي نص آخر: قال بريدة: فلما أصبح رسول الله «صلى الله عليه وآله» صلي الغداة، ثم دعا باللواء، وقام قائما.

قال ابن شهاب: فوعظ الناس، ثم قال: «أين علي»؟

قالوا: يشتكي عينيه.

قال: « فأرسلوا إليه».

قال سلمة: فجئت به أقوده، قالوا كلهم: فأتي به رسول الله «صلى الله عليه وآله» ، فقال له رسول الله «صلى الله عليه وآله» : «ما لك»؟

ص: 225

---

1- صحيح البخاري {ط محمد علي صحيح بمصر} ج 5 ص 23 والبداية والنهاية ج 4 ص 184 والخصائص الكبرى ج 1 ص 251 و 252.

2- البداية والنهاية ج 4 ص 185 فما بعدها، وراجع: تاريخ الأمم والملوک ج 2 ص 301 و خصائص الولي المبين لابن البطريق ص 156 و المناقب للخوارزمي ص 168 و السيرة النبوية لابن كثير ج 3 ص 355 والكامن في التاريخ {ط دار صادر} ج 2 ص 220.

قال: رمدت حتى لا أبصر ما قدامي.

قال: «ادن مني» .

وفي حديث علي عند الحاكم: فوضع رأسه عند حجره، ثم برق في آلية يده، فذلك بها عيني.

قالوا: فبرئ، لأن لم يكن به وجع قط، فما وجعلهما على حتى مضى لسيله، و دعا له، و أعطاه الرأبة [\(1\)](#).

ص: 226

---

1- راجع هذه الكرامة الجليلة في المصادر التالية: منتخب كنز العمال {مطبوع مع مسند أحمد} ج 4 ص 127 و 128 و الصواعق المحرقية {ط الميمنية} ص 74 و حياة الحيوان {مطبعة الشرفية بالقاهرة} ج 1 ص 237 و مشكاة المصايح {ط دهلي} ص 564 و الإصابة ج 2 ص 502 و السنن الكبير للبيهقي ج 9 ص 107 و مناقب الإمام علي لابن المغازلي {ط المكتبة الإسلامية} ص 176 و مصايح السنة {ط الخيرية بمصر} ج 2 ص 201 و الإستيعاب {مع الإصابة} ج 3 ص 366 و معالم التنزيل ج 4 ص 156 و الشفاء {ط مصر} ج 2 ص 272 و جامع الأصول ج 9 ص 469 و الإكتفاء للكلاعي ج 2 ص 258 و كفاية الطالب ص 130 و 116 و 118 و البداية و النهاية ج 4 ص 184 و 185 فما بعدها و ذخائر العقبي {ط مكتبة القدسية} ص 74 و الرياض النضرة {ط محمد أمين بمصر} ج 2 ص 188 و ج 1 ص 50 و صحيح البخاري {ط محمد علي صحيح بمصر} ج 5 ص 171 و صحيح مسلم ج 5 ص 195 و ج 7 ص 120 و مسند أحمد ج 5 ص 333 و 353 و 358 و الجامع الصحيح للترمذمي ج 5 ص 638 و الخصائص للنسائي {مطبعة التقدم بمصر} ص 4 و 5 و 6 و السيرة النبوية لابن هشام {المطبعة الخيرية بمصر} ج 3 ص 175 و طبقات ابن سعد {مطبعة الثقافة الإسلامية} ج 3 ص 157 و المعجم الصغير ص 163 و مستدرك الحاكم ج 3 ص 38 و 108 و 116 و راجع ص 125 و لباب التأويل ج 4 ص 152 و 153 و تاريخ الخميس ج 2 ص 48 و 49 و البحار ج 21 ص 29 عن الخرایج و الجرایح، و معارج النبوة ص 219 و الخصائص الكبرى ج 1 ص 251 فما بعدها و تاريخ الخلفاء {ط مطبعة السعادة} ص 168 و تاريخ الأمم والملوك ج 3 ص 30 و المستدرك للحاكم ج 3 ص 437 و حلية الأولياء ج 1 ص 62 و تذكرة الخواص ص 24 و 25 و الكامل في التاريخ {ط دار صادر} ج 2 ص 219 و 220 و أسد الغابة ج 4 ص 21 و 25 و مجمع الزوائد ج 9 ص 123 و 122 و مصادر كثيرة أخرى.

وذكره: أنه «صلى الله عليه وآله» قد أرسل سلمة بن الأكوع إلى علي «عليه السلام» ، فجاء يقوده وهو أرمد [\(1\)](#).

قال سهل: فقال علي: يا رسول الله، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟

فقال: «أنفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم. ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى، وحق رسوله. فو الله لأن يهدى الله بك رجالاً واحداً خيراً لك من أن يكون لك حمر النعم» [\(2\)](#).

ص: 227

---

1- صحيح مسلم ج 5 ص 195 و مسنن أحمد ج 4 ص 54 و طبقات ابن سعد {مطبعة الثقافة الإسلامية} ج 3 ص 157 و مناقب آل أبي طالب لابن المغازلي {ط المكتبة الإسلامية} ص 176 و معالم التنزيل ج 4 ص 156 و منتخب كنز العمال {بهاشم مسنن أحمد} ج 4 ص 130 و حياة الحيوان {مطبعة الشرفية بالقاهرة} ج 1 ص 237 و الرياض النصرة {ط محمد أمين بمصر} ج 1 ص 185-187 و لباب التأويل للخازن ج 4 ص 152 و 153.

2- صحيح البخاري {ط محمد علي صحيح بمصر} ج 5 ص 171 و صحيح مسلم ج 7 ص 21 و مسنن أحمد ج 5 ص 333 و الخصائص للنسائي ص 6 و حلية الأولياء ج 1 ص 62 و السنن الكبرى ج 9 ص 107 و تذكرة الخواص ص 24 و أسد الغابة ج 4 ص 28 و مشكاة المصايح {ط دهلي} ص 564 و البداية والنهاية ج 4

وقال أبو هريرة: إن رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» قال لعلي: «اذهب فقاتلهم حتى يفتح اللَّهُ عَلَيْكُمْ، وَلَا تلتفت».

قال: علام أقاتل الناس؟

قال: «قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا اللَّهُ، وأن محمداً عبدُه ورسولُه، فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على اللَّهِ».

فخرجوا، فخرج بها -وَاللَّهُ يَأْتِي- يهرولا هرولة، وإنما لخلفه نتبع أثره. حتى ركزها تحت الحصن.

فاطلع يهودي من رأس الحصن فقال: من أنت؟

قال: علي.

أو قال: أنا علي بن أبي طالب.

فقال اليهودي: غلبتم {أو علومكم} ، والذى أنزل التوراة على موسى. فما رجع حتى فتح اللَّهُ تعالى على يديه [\(1\)](#).

(2) ص 184 مما بعدها و ذخائر العقبي {ط مكتبة القدسية} ص 74 و راجع: الرياض النصرة {ط محمد أمين بمصر} ج 2 ص 184 و 188.

ص: 228

---

1- سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 124 و الأنس الجليل {ط الوهبية} ص 179 و راجع: السيرة الحلية ج 3 ص 35 و 36 و 37 و السيرة النبوية لابن هشام ج 3 ص 175 و حلية الأولياء ج 1 ص 62 و الإكتفاء للكلاغي {ط مكتبة الخانجي} ج 2 ص 258 و الكامل {ط دار صادر} ج 2 ص 220 و البداية والنهاية ج 4 ص 184 و 185 مما بعدها، و ذخائر العقبي ص 184-188 و الخصائص الكبرى ج 1 ص 251 و 252 و تاريخ الخميس ج 2 ص 49 و البخاري ج 21 ص 16.

وعن حذيفة: «لما تهياً على «عليه السلام» للحملة، قال رسول الله «صلى الله عليه وآله» :

«يا علي، والذى نفسى بيده، إن معك من لا يخذلك. هذا جبريل «عليه السلام» عن يمينك، بيده سيف لو ضرب الجبال لقطعها، فاستبشر بالرضا و الجنـة.

يا علي: إِنَّكَ سَيِّدُ الْعَرَبِ، وَأَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ» .

وفي رواية: أنه «صلى الله عليه وآله» ألبسه درعه الحديد [\(1\)](#)، وشد ذا الفقار في وسطه، وأعطاه الراية، ووجهه إلى الحصن.

فقال علي «عليه السلام» : يا رسول الله، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ الخ. [\(2\)](#).

ص: 229

- 
- 1- تاريخ الخميس ج 2 ص 49 وراجع: تحف العقول ص 346 وعن عون المعبود ج 8 ص 172 والسيرة الحلبية.
  - 2- السيرة الحلبية ج 3 ص 37 و تاريخ الخميس ج 2 ص 49 وراجع: شرح اللمعة للشهيد الثاني ج 7 ص 152 وزبدة البيان للأردبيلي ص 12 وشرح أصول الكافي ج 6 ص 136 وج 12 ص 494 ومناقب أمير المؤمنين للكوفي ج 2 ص 507 و 508 وعن الإحتجاج ج 1 ص 167 والعمدة ص 142 وج 146 و 148 و 149 و الطائف لابن طاوس ص 56 وعن ذخائر العقبى ص 73 والبحار ج 21 ص 3 و 39 وج 39 ص 8 و 12 و كتاب الأربعين للماحوزي ص 287 و 288 ومناقب أهل البيت ص 137 والغدير ج 2 ص 41 ومستدرک سفينة البحار ج 3 ص 10 وأضواء على الصالحين للنجحي ص 341 وفضائل الصحابة ص 166 وعن مستدرک أحمد ج 5 ص 333 وعن صحيح البخاري ج 4 ص 20 وج 5 ص 77 وعن صحيح مسلم ج 7 ص 122 والسنن الكبرى للبيهقي ج 9 ص 107 وعن فتح الباري لابن حجر ج 7 ص 366 والسنن الكبرى للنسائي ج 5 ص 46 و 110 و 137 وعن الخصائص للنسائي ص 56 وشرح معاني الآثار ج 3 ص 207 و صحيح ابن حبان ج 15 ص 378 و المعجم الكبير ج 6 ص 152 و 198 ورياض الصالحين ص 145 ونظم درر السمحطين ص 99 وفيض القدير ج 6 ص 465 و مجمع البيان للطبرسي ج 9 ص 201 و تفسير الميزان ج 18 ص 295 وتاريخ مدينة دمشق ج 42 ص 86 و 88 و أسد الغابة ج 4 ص 28 وعن الإصابة لابن حجر ج 1 ص 38 والبداية والنهاية لابن كثير ج 4 ص 211 وبشارة المصطفى ص 297 ونهج الإيمان لابن جبر ص 320 والسيرة النبوية لابن كثير ج 3 ص 351 وجواهر المطالب ج 1 ص 177 وسبل الهدى والرشاد ج 5 ص 125 وينابيع المودة ج 1 ص 153 ومعجم النورين للمرندى ص 242.

فخرج علي بها، و هو يهروء»[\(1\)](#).

وفي نص آخر: أركبه رسول الله «صلى الله عليه و آله» يوم خير، و عمه بيده، و أركبه ثيابه، و أركبه بغلته، ثم قال له: «امض يا علي، و جبرئيل عن يمينك، و ميكائيل عن يسارك، و عزرايل أمالك، و إسرافيل

ص: 230

---

1- السيرة الحلبية ج 3 ص 37 وراجع: الأربعون حديثاً لابن بابويه ص 56 و مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ج 2 ص 128 و العمدة ص 153 و الطرائف لابن طاووس ص 57 و البحار ج 39 ص 9 وج 72 ص 33 وبغية الباحث ص 218 و المعجم الكبير ج 7 ص 35 و الثقات لابن حبان ج 2 ص 13 و تاريخ مدينة دمشق ج 42 ص 89 و 90 و الجواهر في نسب علي و آل للبرى ص 70 و البداية النهاية ج 4 ص 112 وج 7 ص 373 وعن السيرة النبوية لابن هشام ج 3 ص 798 و الجمل للمفید ص 196 و مصادر كثيرة أخرى.

## رأيت أم ثلاث؟ !

وقد ذكر في بعض النصوص: أنه «صلى الله عليه وآله» أرسل أبي بكر، فرجع منهزما، ثم أرسل عمر، فرجع منهزما أيضا. . وبعضها اقتصرت على عمر. .

وبعضها ذكر: أنه أرسل عمر مرتين، مرة قبل أبي بكر، ومرة بعده.

لكن الذي لفت نظرنا هو: إضافة راية ثلاثة لرجل من الأنصار، وأنه رجع منهزما أيضا [\(2\)](#).  
والظاهر: أن المقصود بذلك هو: سعد بن عبادة، بل لقد صرخ الواقدي باسمه، وبأنه قد رجع مجروها [\(3\)](#).

مع أن الذي ذكرته الروايات الكثيرة، هو: هزيمة أبي بكر وعمر، وربما اقتصرت بعض الروايات على ذكر عمر أيضا. فهل السبب في هذه بالإضافة لسعد، وربما لابن مسلمة وغيره، هو إخراج هذا الأمر عن دائرة قريش، وعن دائرة الذين استأثروا بالأمر بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله» ، لتشمل الهزيمة زعيم الأنصار، الذي نافسهم في السقيفة، فأرادوا أن ينيلوه شرف الهزيمة والفرار الذي باؤوا به؟ !

ص: 231

---

1- راجع: البحار ج 21 ص 18 و 19 وفي هامشه عن مناقب آل أبي طالب ج 2 ص 78 وعن الإرشاد.

2- المغازي للواقدي ج 2 ص 653 و السيرة الحلبية ج 3 ص 37.

3- المغازي للواقدي ج 2 ص 653.

وإلا، فلماذا اختاروا سعد بن عبادة دون سواه لهذا الأمر؟ !

### إرسال عمر مرتين:

وقد لوحظ أيضاً: أن بعض النصوص تقول: إن النبي «صلى الله عليه وآله» أرسل عمر إلى اليهود مرتين، مرة قبل إرسال أبي بكر، ومرة بعده..

وربما يمكن تفسير ذلك أيضاً: بأن عمر كان يدعى لنفسه الشدة والصلابة، ويظهر ذلك للناس، حتى إنه يأمر النبي «صلى الله عليه وآله» بقتل هذا، وبقلم ثانياً ذاك، ويصر على قتل الأسرى في بدر.. وعلى القتال في الحديبية.. و.. و.. .

فكأنه «صلى الله عليه وآله» أراد أن يظهر: أن هذا كله لم يكن لأجل شجاعة فيه، بل هو لأمور أخرى..

والشاهد على ذلك: هذا الذي جرى في خيبر، فإن أمكن لعمر أن يتخلل بشيء في هزيمته في اليوم الأول، فبأي شيء يعتذر أو يتخلل في اليوم الثاني؟ !

ثم إن إرسال أبي بكر، وغيره، قد جاء ليؤكد على: أن هذا السنخ من الناس ليس هو الذي يفتح الله تعالى على يده الحصون، ويقرّ بقلم أبوابها العيون.. .

بل الذي يقوم بهذه المهامات الجسيمة، والإنجازات الهائلة والعظيمة هو نوع آخر من الناس، مطمئنة نفسه، وراضية بلقاء الله تعالى.. .  
كرار.. غير فرار.. لا يتمنى الإمارة لنفسه، حتى في ذلك اليوم، بل هو يرى أنه لا أحد أن يستطيع أن يمنع ما يعطيه، فيقول: «اللهم لا مانع لما أعطيت».

## **أين ابن مسلمة، و الحباب، و الزبير؟ !**

ويقى أمامنا سؤال يقول: لماذا لم يعط النبي «صلى الله عليه و آله» الراية في اليوم الثاني لمحمد بن مسلمة، أو للحباب، أو للزبير؟ ! الذين ينسبون لهم البطولات العظيمة في خير، حتى ليدعون أن ابن مسلمة هو الذي قتل مرحبا.

نعم، لماذا صرف النظر عن هؤلاء جميعاً ! وأطلق تعريضه بهم ليشمل وصف الفرار كل واحد منهم، بعد أن حصر وصف الكرار بعلي «عليه السلام» دون سواه؟ !

فلماذا لم يحفظ لهم ماء الوجه، لو كانوا قد ثبوا ولم يهربوا مع الهاجرين؟ !

و نحن نكاد نطمئن إلى أنهم قد أهملوا ذكر ابن مسلمة مع الفارين بالراية-كما سيأتي-لأنهم ادخروه لقتل مرحبا، بدلا من علي «عليه السلام» كما سنرى .

### **كتاب اليهود تهاجم الأنصار:**

#### **إشارة**

و قد ذكر الواقدي، ما جرى بطريقة تشير إلى أمور يحسن لفت النظر إليها، فهو يقول ما ملخصه: إنه «صلى الله عليه و آله» دفع لواءه إلى أحد المهاجرين، فرجع ولم يصنع شيئا.

فدفعه إلى آخر: فكذلك.

دفع لواء الأنصار إلى رجل منهم: فكذلك، أيضا.

فتح «صلى الله عليه و آله» المسلمين على الجهاد.

وسالت كتاب اليهود، أمامهم الحارت أبو زينب يهدّ الأرض هذا،

فأرجعهم صاحب راية الأنصار إلى الحصن.

فخرج ياسر (أو أسيير) معه عاديته [\(1\)](#)، وكشف الأنصار حتى انتهى إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» في موقفه، فاشتد ذلك على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وبات مهموماً.

(وخرج مع ذلك سعد بن عبادة).

وكان سعد بن عبادة قد جرح، وجعل يستبطئ أصحابه، وجعل صاحب راية المهاجرين يستبطئ أصحابه، ويقول: أنتم، وأنتم.

فقال «صلى الله عليه وآله» : إن اليهود جاءهم الشيطان، فقال لهم: إن محمداً يقاتلكم على أموالكم، نادوهم:

قولوا: لا إله إلا الله، ثم قد أحرزتم أموالكم ودماءكم، وحسابكم على الله.

فنادوهم بذلك، فنادت اليهود: إننا لا نفعل. ولا تترك عهد موسى والتوراة بيننا.

فقال «صلى الله عليه وآله» : لاعطين الراية غداً رجلاً يحبه الله ورسوله [\(2\)](#)، ليس بفار [\(3\)](#).

أبشر يا محمد بن مسلمة، غداً إن شاء الله يقتل قاتل أخيك، وتولّي عادية اليهود.

ص: 234

---

1- أي معه الجماعة الذين يuden للحرب.

2- في الإمتاع لم يذكر كلمة: «ويحب الله ورسوله». فراجع ص 314

3- المغازى للواقدي ج 2 ص 653 و 654 والإمتاع ص 313 و 314 و السيرة الحلبية ج 3 ص 34

وفي نص المقرizi: «ثم خرج مرحبا، فحمل على علي، وضربه، فاتقه بالترس، فأطعن ترس على رضي الله عنه، فتناول بابا كان عند الحصن، فترس به عن نفسه، فلم يزل في يده حتى فتح الله عليه الحصن.

وبعث رجلا يبشر النبي ﷺ «صلى الله عليه وآله» بفتح حصن مرحبا.

ويقال: إن باب الحصن جرب بعد ذلك فلم يحمله أربعون رجلا.

وروي من وجه ضعيف عن جابر: ثم اجتمع عليه سبعون رجلا، فكان جهدهم أن أعادوا الباب الخ. [\(1\)](#).

ونقول:

إن لنا مع هذا النص وقفات، نجملها على النحو التالي:

### ألف: تعمد التعميم على الحقائق:

إن أول ما يطالع من يقرأ هذه الرواية، هو تعمد التكتم على المهاجرين

ص: 235

---

1- الإمام ص 314 والإرشاد للمفید ج 1 ص 333 وقال في الهاشم: انظر حديث فتح خير في تاريخ مدينة دمشق ج 1 ص 174 و 248 والثاقب في المناقب ص 257 ومناقب آل أبي طالب ج 2 ص 125 والمستجاد من الإرشاد {المجموعة} للعلامة الحلي ص 128 والبحار ج 21 ص 1 وج 41 والإمام علي للهمداني ص 613 وكشف الخفاء ج 1 ص 232 و 366 ومجمع البيان ج 9 ص 202 والميزان ج 18 ص 296 وعن البداية والنهاية ج 4 ص 216 عن دلائل النبوة للبيهقي ج 4 ص 212 ونهج الإيمان لابن جبر ص 323 عن المناقب لابن شهر آشوب ج 2 ص 329 والسيرۃ النبویة لابن کثیر ج 3 ص 359 وسبل الهدی و الرشاد ج 5 ص .129

اللذين فرّا أولاً، و ذلك بأساليب متعددة، منها:

1- كتمان اسميهما.. وقد جاء ذلك في نصوص أخرى أيضا.

مع ملاحظة: أن ثمة إيحاء بالتكتم على اسم الأنصاري الثالث، بالرغم من أن الراوي يعتمد التصريح أخيراً باسم سعد بن عبادة الذي جرح، حيث يظهر بوضوح أنه هو المقصود، فإنه جعله في مصاف المهاجرين اللذين فرّا، ولم يصنعا شيئاً.

ثم أوغل الراوي في حشد الأمارات والدلائل عليه، حين ذكر: أن ذلك الأنصاري جعل يستبطئ أصحابه.. تماماً كما جعل المهاجريان يستبطئن أصحابهما.

2- إنه غير في التعابير بطريقة لا يفهم القارئ أن هؤلاء قد هربوا، فضلاً عن أن يكون الهروب مخزياً.

بل هو قد أبعد ذهن القارئ عن موضوع الفرار بصورة تامة، ويُكاد لا يشير إليه، بل هو يهيء الأجواء ليفهم الناس عكس الحقيقة، إذ غاية ما يفهم من الكلام، أنهما قد بذلا جهداً، وحارباً ولم يتمكنا من فتح الحصن.

3- إنه تكتم أيضاً على أمر آخر قد صرحت به الروايات، وهو: أن الهازب الأول صار يجبن أصحابه {أي يتهمهم بأنهم جبناء} ، ويجبته أصحابه {أي يتهمونه هو بأنه جبان} ، فذكر الراوي هنا عوضاً عن ذلك عبارة: يستبطئ أصحابه ويقول: أنتم، وأنتم..

### **ب: لواء الأنصار، أم لواء النبي صلى الله عليه وآله؟ !**

ويلاحظ أيضاً: أن الراوي هنا.. قد نسب اللواء الذي أخذه المهاجري

الأول، والمهاجري الثاني إلى رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ» .. فقال: دفع لواءه إلى أحد المهاجرين.

ولكنه: نسب اللواء الذي أعطاه لأنصاري إلى الأنصار، لا إلى رسول الله، فقال: «دفع لواء الأنصار إلى رجل منهم».

وهذا يدل: على أن فرار ذلك الأننصاري إنما كان بلواء الأنصار، لا بلواء الجيش كله. فهو لواء لفرقة خاصة.

وأما فرار الأولين، وهم من المهاجرين، فقد كان بلواء رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ» . وهو لواء الجيش.

فإن كان الراوي يريد إعطاء امتياز للمهاجرين {و هما أبو بكر و عمر طبعا} على ذلك الأننصاري {و هو سعد بن عبادة المنافس لهما في يوم السقيفة} . فإنه يكون قد وقع في أمر لا يريد، وهو أمر بالغ الخطورة.

حيث أوضح: أنهما قد هربا بلواء رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ» ، ومن الواضح: أن الهزيمة لحامل لواهه «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ» - وهو لواء الجيش كله-تبقى هي الأشر، والأضر، والأخطر، والأمر، عليه «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ» ، وعلى الإسلام والمسلمين، وهي جريمة عظيمة و هائلة.

### ج: حفظ ماء وجه الأنصارى:

ويلاحظ: أن الراوي نفسه، الذي يريد أن يكرس الامتيازات للرجلين المهاجرين، بالتأكيد على فرار أحد منافسيهما، وهو ابن عبادة، قد أقر لسعد بن عبادة بأنه حق إنجازا-مهما كان متواضعا-عجز ذانك الرجالان عن تحقيقه، حيث ذكر: أنه قد أرجع كتاب اليهود إلى الحصن، ومعهم قائد هم

الحارث أبو زينب، الذي كان يهدّ الأرض هدا.

## د: أين كان المهاجرون؟ !

والسؤال المحير هنا هو: لماذا يتصدى خصوص ذلك الأنصارى والأنصار الذين كانوا معه للحارث أبي زينب، وللكتائب التي كانت معه، حتى ردّوهم إلى الحصن. وأين كان المهاجريان اللذان أخذوا لواء النبي «صلى الله عليه وآله» ، وهربا به؟ !! ..

والأغرب من ذلك: أنه بعد ما عادت كتائب اليهود مع الحارث أبي زينب إلى الحصن بجهد الأنصار فقط، قد عادت لتخرج من جديد بقيادة ياسر اليهودي، وتهاجم الأنصار، دون سواهم مرة أخرى..

ولا ندرى لماذا لا تتعرض للمهاجرين في هذه المرة.. أيضاً !

كما أنها لا ندرى: لماذا لم يعن المهاجرون الأنصار؟ !

ولماذا تركوا اليهود يزيلون الأنصار عن مراكزهم، حتى انتهوا إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» في موقعه؟ !

فإن كانوا لا يحبذون إعانته الأنصار لأمر ما كان في نفوسهم عليهم، فهل من المعقول أن يتركوا اليهود يخلصون إلى النبي «صلى الله عليه وآله» في موقعه؟ !

وماذا سيكون عذرهم لو أن اليهود تمكنا من إلحاق الأذى به «صلى الله عليه وآله»؟ ! ..

## هـ: نداء رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في اليهود:

وقد ذكرت تلك الرواية المتقدمة أيضاً: أن النبي «صلى الله عليه وآله» .. قد

أخبر عن مقالة الشيطان لليهود: إن محمدا يقاتلكم على أموالكم .

وهو نداء شيطاني حقا، من شأنه أن يثير حفيظة أنس يعرف الناس كلهم: أن جبهم للمال يفوق كل حب، والمال هو هاجسهم الأول والأخير، ويرون: أن فقدتهم للمال يوازي فقدتهم للحياة.

وقد أمر النبي «صلى الله عليه وآله» بنداء يبطل تأثير مقوله الشيطان هذه، ويفقدتهم ذريعة كانوا يرون أنها تكفي لتبرير طغيانهم عليه «صلى الله عليه وآله» .

فإنه «صلى الله عليه وآله» أظهر في ندائه لهم: أن أموالهم، وكذلك دماؤهم ليست هدفا له «صلى الله عليه وآله» ، رغم كل ما فعلوه معه، من نقض عهود، ومن تحريض، ومن تآمر، وسعى للإعداد والاستعداد لحربه، وإنما هدفه هو: أن يعلنوا أنهم ملتزمون بتوحيد الله سبحانه..

مع تقديم تعهد صريح منه «صلى الله عليه وآله» ، بالاكتفاء منهم بهذا الإعلان، فلا يكون هناك أي بحث عن دخائلهم، وعن مكونات ثفوسهم، ولا يتعرض للكشف عن ضمائرهم، فإن حسابهم على الله وحده، وليس لأحد غيره الحق في التعرض لشيء من ذلك.

فنلاحظ: أنه «صلى الله عليه وآله» لم يطلب لنفسه منهم مالا، ولا سلطة، ولا سعى لمحاسبتهم على ما بدر منهم، ولا غير ذلك.

ولكن اليهود رفضوا حتى الإعلان عن الالتزام بالوحدانية، وأكدوا التزامهم بالخط الذي هم عليه، رغم ظهور الحجة، وسطوع البرهان على نبوته «صلى الله عليه وآله» ، حتى إنهم ليجدونه «صلى الله عليه وآله» ، مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل، وهم يعرفونه «صلى الله عليه وآله» كما

يعرفون أبناءهم.

## و: الصحابة يغرون حتى عن علي عليه السلام !

وقد صرحت الرواية: بأن الذين ذهبوا مع علي «عليه السلام» قد فروا عنه «صلوات الله وسلامه عليه» أيضاً، وتركوه، ليواجهه كتائب اليهود وحده، وكانت بقيادة الحارت أخي مرحباً. فقتله علي «عليه السلام» . . و هرب الذين كانوا مع الحارت إلى الحصن، وأغلقوا عليهم.

ثم خرج مرحباً، فقتله علي «عليه السلام» أيضاً على الباب، وفتح الباب .

والذي يبدو لنا: أن الرواة المغرضين قد حاولوا تلطيف أمر هذا الفرار، فقالوا: إن علياً قد أخذ الرأية و هرول نحو الحصن و فتحه، و قلع بابه و دخله، قبل أن يلحق آخر الناس أولئك، أو قبل أن يلبس الناس سلاحهم، أو قبل أن يتم اصطفاف الخيال، أو نحو ذلك مما سنذكره فيما سيأتي إن شاء الله، تحت عنوان: علي يفتح خير وحده.

### تعابير ذات مغزى:

وعن ابن عباس: أنه «صلى الله عليه وآله» قال: لأبغضن رجالاً لا يخزيه الله أبداً، يحب الله ورسوله.

قال: فاستشرف لها من استشرف.

قال: أين علي «عليه السلام» ؟ !

قالوا: هو في الرحل، يطحن.

قال: و ما كان أحدكم ليطحن؟

ص: 240

قال: فجاء و هو أرمد، لا يكاد يبصر.

قال: فنفث في عينيه، ثم هز الرأية ثلاثة، فأعطاه إياها، فجاء بصفية بنت حبي الخ. .[\(1\)](#).

ونقول:

1- قد تحدثنا في موضع آخر من هذا الكتاب عن قوله «صلى الله عليه و آله» : «لا يخزيه الله أبداً» . فيمكن الاكتفاء بما ذكرناه هناك.

2- لقد كان علي «عليه السلام» يمارس عملية الطحن، حين تخلف في الرحل، بسبب الرمد الذي جعله لا يبصر.

فلم يكن «عليه السلام» -حتى و هو في هذه الحالة الصعبة- فارغا، ينتظر خدمة الآخرين له.. بل يؤدي وظيفة تقيد هذا الجيش المقاتل للأعداء

ص: 241

---

1- مسنن أحمد ج 1 ص 331 وخصائص للنسائي { ط التقدم بمصر } ص 8 وفي { طبعة أخرى } ص 63 و المستدرک للحاکم ج 3 ص 132 و کفاية الطالب { ط مكتبة الغری } ص 116 و راجع: العمدة لابن البطريق ص 85 و 238 و ذخائر العقبي ص 87 و حلية الأبرار ج 2 ص والبحار ج 38 ص 40 وج 40 ص 50 و خلاصة عقبات الأنوار ج 7 ص 112 و 292 و المراجعات ص 196 و الغدير ج 1 ص 50 وج 3 ص 195 و موقف الشيعة ج 3 ص 393 وعن مجمع الزوائد ج 9 ص 119 و كتاب السنة لابن عاصم ص 589 و السنن الكبرى ج 5 ص 113 وعن خصائص الولي المبين لابن البطريق ص 118 و تاريخ مدينة دمشق ج 42 ص 98 و 99 و 101 وج 46 ص 150 و سير أعلام النبلاء ج 3 ص 68 وعن الإصابة لابن حجر ج 4 ص 467 وعن البداية و النهاية ج 7 ص 374 و المناقب للخوارزمي ص 125

الله تعالى، وجد نفسه قادرًا على أدائها..

وقد تركه الناس يمارس هذا العمل، وسارعوا إلى الحضور عند رسول الله «صلى الله عليه وآله» ، علىأمل أن يفوزوا بشرف حمل الراية حين علموا: بأن ثمة أوسمة هامة، تؤهلهم لتبوء مناصب، وتحلهم في مراتب كانوا يحلمون بها، ومنها: أن حاملها سوف يفتح الله على يديه.

نعم، لقد سارعوا إلى مجلس رسول الله «صلى الله عليه وآله» ، واستشروا للراية، وطلبوها، رغم الفرار الذي كان قد صدر منهم عن قريب.

فهل كانوا ذاهلين عن أن الله تعالى إنما يفتح على يدي من كان كرارا غير فرار؟ ! .

ومن كان الله ورسوله أحب إليه حتى من نفسه؟ ! .

ومن كان باذلا نفسه في كل ما يرضي الله ورسوله، حتى صار حبيبا لهما؟ !

ومن لا يعتبر إعطاء الراية له مكسبا دنيويا، بل هو يعتبره عطاء إلهيا يعبر عنه بقوله: اللهم لا مانع لما أعطيت؟ !<sup>(1)</sup>

ومن لا يخالف ما يأمره به رسول الله «صلى الله عليه وآله» ، حتى فيما قد يراه الكثير من الناس شكليا، أو أمرا عاديا؟ !

حتى إنه حينما قال له: اذهب ولا تلتفت، مشى قليلا، ووقف ولم يلتفت، وسأل رسول الله «صلى الله عليه وآله» : علام أقاتلهم؟ ! أو علام أقاتل الناس؟ !

ص: 242

---

1- قد ذكرنا مصادر هذه الكلمة في موضع آخر من هذا الكتاب.

ومن الواضح: أن الالتزام بأوامر النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» وتنفيذها حرفيًا، هو الأمر الذي يجب الالتزام به، ولا يجوز التخلف عنه، وهو الذي يدخل السرور على قلبه «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ».

3- وأجل تركهم إيه يمارس ذلك العمل، وإسراعهم إلى ما يرون الحصول عليه مكسباً وامتيازاً دنيوياً، جاء اللوم لهم من قبل رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» ليؤكد على لزوم معرفة أقدار الرجال، وإعطاء كل ذي حق حقه..

والأهم من ذلك: أن يوكِل كل عمل للشخص المناسب له، فلا يوكل أمر الطحن، أو استقاء الماء لقادة الجيش، ولعلماء الأمة وربانيها؛ لأن ذلك معناه: هدر الطاقات، وتعطيل القدرات، خصوصاً إذا حصل ذلك في الأوقات العصيبة، والظروف الحساسة، والمصيرية.

4- وعن النصوص التي تعمد كتمان أسماء الفارين نعود فنقول:

لماذا يتعمدون تجهيل الناس بهذا الأمر؟!

ألا يعتبر ذلك: من مفردات الخيانة للأمة، ومن التدليس على الناس؟! وهو تدليس شديد الإضرار بالأمة، عظيم الأثر على الدين، ولا نريد أن نقول أكثر من ذلك.

**أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ !**

و حول قول علي «عليه السلام» للنبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» : علام أقاتلهم؟ نقول:

1- لعل سؤال علي «عليه السلام» عن غاية القتال قد فاجأ الكثيرين من

ص: 243

الصحابة الذين كانوا حول رسول الله «صلى الله عليه وآله» ، والذين قد يكون أكثرهم إنما يقاتل من أجل الغنائم، أو المناصب، أو الشهرة، أو حبا بالأماراة؛ أو لأجل أن يفرضوا الإسلام عليهم بالقوة والقهر، أو نحو ذلك.

فأراد علي «عليه السلام» أن يعرف الجميع: أنه لا بد أن يكون كل عمل يقوم به الإنسان هادفا.

ثم أن يكون الهدف في مستوى العمل نفسه، من حيث خطورته، ومن حيث حساسية آثاره.

2- و من جهة أخرى نلاحظ: أنه لم يقل: أقاتلهم حتى يكونوا مسلمين، بل قال: حتى يكونوا مثلنا.

ولعل السبب في ذلك: أنه «عليه السلام» لو استعمل كلمة «المسلمين» لجاء الجواب بنعم، أو بلا.

ولكنه حين قال: حتى يكونوا مثلنا.. احتاج إلى توضيح مستوى المثلية المطلوبة، وأن المطلوب أولاً: هو الدرجة التي توجب حزن دمائهم.. أما سائر المراتب والدرجات، فإنما تحصل بالمعنى الدوّوب من قبل الأفراد أنفسهم، كل بحسب حاله، وقدراته، وطبيعة قناعاته.

والذي تحقق به دمائهم، هو شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله.

### عَرَفْهُمْ مَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ

و من الأهمية بمكان الوقف عند قوله «صلى الله عليه وآله» لعلي «عليه السلام» ، حين قال له: علام أقاتلهم؟! : «عَرَفْهُمْ مَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ

من حق الله تعالى، و حق رسوله». وذلك بالتزامن مع دعوتهم إلى الإسلام الأمر الذي

يدل على أن دعوتهم إلى الإسلام لا يقصد بها إكراهم عليه، وفرض قبوله عليهم بلا مناقشة. بل هي دعوة تستند إلى الإنداخ، وتعتمد على إقامة الحجة، والتوعية، والتعريف بما يجب وما لا يجب.

### حق الله و حق رسوله:

ثم إن قول رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» : «عِرْفَهُمْ مَا يَجْبَلُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ» ، قد تضمن طلبه «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» في بادئ الأمر تعريفهم بحق الله تعالى عليهم، وهو توحيده، وعبادته، وطاعته. ولا يطلب تعريفهم بأوامر الله، ونواهيه لهم، فإن هذا يأتي في مرحلة لا حقة، حيث لا بد لهم من السعي إلى الحصول على هذا الأمر..

كما أنه لم يطلب تعريفهم بشيء يعود نفعه إليه «عليه السلام» كشخص، ولا يريد منهم شيئاً لنفسه، بل يطلب «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» منه «عليه السلام» أن يعرفهم بحق من تكون له صفة الرسولية والنبوة، وهو القبول منه، وعنده، وتوقيره ونصرته، والشهادة والاعتراف له بذلك.

### لأن يهدي الله بك نسمة:

ثم هو يعقب ذلك بالتوجيه الكريم والعظيم، حيث يقول له: لأن يهدي الله بك رجلاً خير لك من حمر النعم. .

ليفهم الجميع: أن مسؤوليتهم هي هداية الناس. . وأن هذا هو الخير العظيم الذي يحب أن تصرف إليه الهمم، وتعقد عليه العزائم، فلا يكون همهم الحصول على الأموال والجواري، والمناصب، ولا فتح الحصون، وقتل الرجال. بل يكون كل همهم منصراً إلى فتح القلوب أولاً، حتى إذا أصبحت الحصون

أفقاً على تلك القلوب، فلا بد حينئذ من دعّوها وتحطيمها، وإزالة تلك الأفقال عنها.

وقد ورد أيضاً أنه «صلى الله عليه وآله» قال: لأن يهدي الله بك نسمة {أو رجلاً} خير لك مما طلعت عليه الشمس [\(1\)](#)، وهذه الكلمة وتلك تعطي الانطباع عن حقيقة القيمة التي للإنسان بنظر الإسلام، حتى إن نسمة واحدة سواء كانت رجلاً أم امرأة، صغيرة كانت أم كبيرة، إذا هديت بك، فهي خير من كل ما طلعت عليه الشمس ..

ص: 246

---

- راجع: البحار {ط كمباني} ج 6 ص 440 و {ط جديد} ج 32 ص 34 و ج 97 ص 101 و ج 1 ص 216 و ج 19 ص 167 و ج 21 ص 361 و مختلف الشيعة ج 4 ص 394 و متنهى المطلب للحلي ج 2 ص 904 و تذكرة الفقهاء للحلي ج 1 ص 52 و ج 9 ص 44 و كشف اللثام ج 2 ص 196 و 276 و رياض المسائل ج 1 ص 486 و ج 7 ص 493 و جواهر الكلام ج 21 ص 409 و المبسوط للسرخسي ج 10 ص 31 و الكافي ج 5 ص 28 و 36 و تهذيب الأحكام ج 6 ص 141 و الوسائل {ط دار الإسلامية} ج 11 ص 30 و مستدرك الوسائل ج 11 ص 30 و ج 12 ص 241 و ج 17 ص 210 و مصباح الشريعة ص 199 و النواذر للراوندي ص 140 و الإقبال لابن طاووس ج 2 ص 58 و اليقين لابن طاووس ص 14 و مستدرك سفينة البحار ج 2 ص 353 و ج 10 ص 502 و نهج السعادة ج 2 ص 158 و ج 5 ص 214 و درر الأخبار ص 178 و المستدرك للحاكم ج 3 ص 568 و مجمع الزوائد ج 5 ص 334 و المعجم الكبير ج 1 ص 315 و 332 و شرح النهج للمعزلي ج 4 ص 14 و الجامع الصغير ج 2 ص 401 و كنز العمال ج 10 ص 156 و ج 13 ص 107 و السير الكبير ج 1 ص 78 و الثقات لابن حبان ج 2 ص 122 و سبل الهدى والرشاد ج 6 ص 238.

وهذا معناه: أن كل قتال شرعه الإسلام، إنما شرعه وفق هذه النظرة و من خلالها، إذ لا مجال للتناقض والاختلاف في دين الله سبحانه و تعالى، فهذا التشريع إنما كان بهدف حفظ البشرية، و من أجل إزاحة مصادر الخطر عنها، واستئصال جرائم سلطانية، لا مجال للحياة معها.

### اليهود، و كلمة التوحيد:

وقد قال «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» لعلي «عَلَيْهِ السَّلَامُ» : قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وهذا يشير إلى أن توحيد اليهود مشوب بالشرك أو بغيره من المعاني التي تنافي، و تخرجه عن حقيقته، مثل اعتقادهم بأن عزيزاً ابن الله، و اعتقادهم بالتجسيم الإلهي، و نسبة أمور مشينة إلى الذات المقدسة، مثل أن يده -سبحانه- مغلولة، و كذلك نسبة الظلم، و العجز إليه تبارك و تعالى، وغير ذلك.

### الدرج في الاعتقادات، و في الأحكام:

وقد جعل النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» ميزان حفظ الأموال، و حقن الدماء.. شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، كما اتصف من جواب النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» لعلي «عَلَيْهِ السَّلَامُ» ..

وذلك: لأن للاعتقادات مرتبة، ولكل مرتبة منها آثارها.. فالاعتراف بوجود الله سبحانه، و بأن له رسلاً و كتاباً، و شرائع -كما هو الحال في أهل الكتاب- أقل قبحاً من الإلحاد، و من الشرك.

ولذلك كانت لهؤلاء أحكام تختلف عن أحكام أولئك، فيجوز مثلاً التزويج بالكتابية متعدة، و لا يجوز تزويجهم مطلقاً، و يصح أيضاً اعتبارهم من أهل الذمة، و يمنع التعرض لهم في ممارساتهم الدينية، وفق حدود وقيود

معينة. و يمكن الدخول في عهد معهم، و ما إلى ذلك.

فإذا دخلوا في الإسلام، و شهدوا أن لا إله إلا الله، و أن محمدا رسول الله، فإنه يضاف إلى ذلك: أنه يوجب بمجرد حقن دمائهم، و يمنع من التعرض لأموالهم، و لا حاجة في ذلك إلى عقد و عهد، و لا يصح اعتبارهم أهل ذمة. .

و يجوز أيضاً: التزوج و التزويج منهم، و يحكم بحلية ذبائحهم، و بظهورتهم، و هم يرثون و يورثون الخ. .

فإذا اعتنقوا مذهب الحق: فإن ذلك يرتب أحکاماً أخرى لهم و عليهم. فتحرم غيبتهم، و تجب حقوق الأخوة الإيمانية لهم، و تترتب عليهم أيضاً أحکاماً أهل المذهب، فلا يقبل منهم التصرف المواقف للمذاهب الأخرى، فلا يمضى عليهم الطلاق بالثلاث، و يحكم بطلاقه، و لا يقبل طلاقهم من غير شهود، فإذا صاروا من أهل العدالة، صحت الصلاة خلفهم، و قبلت شهادتهم، و ما إلى ذلك.

ثم إن الواحد منهم يتدرج في مراتب الفضل و الكمال، فيكون عالماً، و يكون عابداً تقىاً، و قد يصل إلى أن يكون ولينا من الأولياء.

و من البشر من يصطفونهم تعالى للإمامية و للنبوة، و إن للنبوة مراتب أيضاً تختلف و تتفاوت، فيكون النبي «صلى الله عليه و آله» من أولي العزم، أو من غيرهم، أو تكون له مرتبة النبوة الخاتمة، التي هي المرتبة العظمى و المنزلة الأسمى. . وللإمامية أيضاً مراتب، و أعظمها مقام الإمامية للنبوة الخاتمة، فإنها أعظم من مقام الإمامية بدون هذه الخصوصية.

وعلى كل حال: فإن الله يزيد في المقام، و يوجب الحقوق، و يجعل الأحكام التي تناسب هذه الخصوصية أو تلك. .





زعمت بعض النصوص المتقدمة: أن أبا بكر وعمر قد قاتلا قتالا شديدا، وقد جهدا فلم يفتح لهما.

ونحن ليس فقط نشك في صحة ذلك، بل نرجح: أنهما قد هزما قبل مباشرة القتال، أو أنهما باشراه مع ظهور الخوف والجبن، فانهزمما بسرعة قبل إنجاز أي شيء مؤثر، أو صالح لأن يوصف بأنه قتال.

ونستند في ذلك إلى ما يلي:

أولاً: أشارت بعض النصوص، وبعضها كاد أن يصرح: بأن عمر قد رجع قبل أن يصل إلى ساحة الحرب.

فقد ورد: أن النبي «صلى الله عليه وآلـه» دعا أبا بكر في اليوم الأول، وقال: خذ الراية.

فأخذها في جمع من المهاجرين، فاجتهد فلم يغنم شيئاً. فعاد يؤنب القوم الذين اتبعوه ويؤنبونه.

فلما كان من الغد تعرض لها عمر، فسار بها غير بعيد، ثم رجع يجذب أصحابه ويجذبونه.

فقال «صلى الله عليه وآلـه» : ليست هذه الراية لمن حملها، جيئوني بعلي.

فقيل: إنه أرمد.

فقال: أرونيه، تروني رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله [\(1\)](#).

وقد ورد في حديث بريدة أيضاً قوله: «فأخذ اللواء أبو بكر، فانصرف ولم يفتح له، ثم أخذها عمر من الغد، فخرج ورجع ولم يفتح له..».

وفي حديث ابن أبي ليلى، وابن عباس: بعث أبو بكر، فسار بالناس؛ فانهزم حتى رجع إليه، وبعث عمر، فانهزم بالناس حتى انتهى إليه.

وفي نص آخر: دفع «صلى الله عليه وآله» اللواء لرجل من المهاجرين، فرجع ولم يصنع شيئاً. دفعه إلى آخر من المهاجرين فرجع ولم يصنع شيئاً.

وكل ذلك قد تقدم مع طائفة من مصادره.

ثانياً: إن النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» قد غضب واستاء مما حصل، وصرح بما قد يشعر: بأن هذا الفعل مقصود من المهاجرين والأنصار، حيث قال: هكذا تفعل المهاجرون والأنصار؟! - حتى قالها ثلاثة-لأطعدين. [\(2\)](#).

وقالوا أيضاً: فغضب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وقال: «ما بال أقوام يرجعون منهزمين، يجبنون أصحابهم؟!

أما والله لأعطيك الخ. [\(3\)](#).

وذكر نص آخر: انهزام أبي بكر وعمر وقال: حتى ساء رسول الله

ص: 252

---

1- البحارج 21 ص 15 والإرشاد للمفيد ج 1 ص 126 وراجع: مدينة المعاجزج 1 ص 174.

2- البحارج 21 ص 12 عن الإحتجاج ج 2 ص 64.

3- البحارج 21 ص 28 عن الخرایج و الجرایج ج 1 ص 159.

«صلى الله عليه وآلـه» ذلك، فقال: لأعطيـنـ الرأـيـ الخـ . (1).

فهـذاـ الغـضـبـ وـالـاستـيـاءـ منـ رـسـوـلـ اللـهـ «ـصـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ»ـ يـدـلـ عـلـىـ:ـ أـنـ هـزـيمـتـهـمـ لـمـ يـكـنـ لـهـ مـاـ يـبـرـرـهـاـ أـصـلـاـ.

بلـ انـ قـوـلـهـ ثـلـاثـ مـرـاتـ:ـ هـكـذـاـ تـقـعـ الـمـهـاـجـرـونـ وـالـأـنـصـارـ،ـ يـشـيرـ إـلـىـ أـسـفـ بـالـغـ،ـ وـحـسـرـةـ قـوـيـةـ،ـ قـدـ اـنـتـابـهـ مـنـ فـعـلـهـمـ هـذـاـ،ـ حـيـثـ يـدـلـ ذـلـكـ عـلـىـ أـنـ مـاـ يـجـريـ لـيـسـ بـسـبـبـ قـوـةـ الـيـهـودـ،ـ بـلـ هـوـ نـتـيـجـةـ تـخـاذـلـ،ـ وـجـبـنـ مـنـ أـصـحـابـهـ،ـ وـلـهـذـاـ الجـبـنـ وـالـخـورـ دـلـالـتـهـ السـلـبـيـةـ..

وـمـمـاـ يـؤـكـدـ ذـلـكـ كـلـهـ:ـ أـنـ نـفـسـ الـمـهـاـجـرـينـ وـالـأـنـصـارـ كـانـواـ يـتـبـادـلـونـ الـاـتـهـامـاتـ حـوـلـ مـاـ يـجـريـ،ـ الـأـمـرـ الـذـيـ يـدـلـ عـلـىـ قـنـاعـتـهـمـ بـأـنـ مـسـؤـولـيـةـ مـاـ حـصـلـ تـقـعـ عـلـىـ عـاتـقـهـمـ أـنـفـسـهـمـ.

ثـالـثـاـ:ـ لـوـ صـحـ قـوـلـهـمـ:ـ إـنـهـمـاـ قـاتـلـاـ شـدـيدـاـ،ـ وـجـهـداـ،ـ لـمـ يـصـحـ تـعـرـيـضـ النـبـيـ «ـصـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ»ـ بـهـمـاـ وـبـمـنـ مـعـهـمـاـ،ـ وـإـظـهـارـ إـلـزـارـ عـلـيـهـمـاـ،ـ وـفـضـحـهـمـاـ عـلـىـ رـؤـوسـ الـأـشـهـادـ.ـ بـلـ كـانـ الـلـازـمـ تـقـدـيرـ جـهـودـهـمـاـ،ـ وـجـهـادـهـمـاـ،ـ وـإـغـدـاقـ الـأـوـسـمـةـ عـلـيـهـمـاـ،ـ فـهـذـاـ الـاسـتـيـاءـ،ـ وـذـلـكـ التـعـرـيـضـ وـالـتـائـبـ،ـ وـإـظـهـارـ الـأـسـىـ وـالـغـضـبـ يـدـلـ دـلـالـةـ وـاضـحةـ عـلـىـ أـنـهـمـاـ قـدـ اـرـتـكـبـاـ بـفـرـارـهـمـاـ أـمـراـ عـظـيـماـ،ـ وـأـنـ هـذـاـ الفـرـارـ كـانـ عـلـىـ درـجـةـ كـبـيـرـةـ مـنـ الـقـبـاحـةـ وـالـشـنـاعـةـ،ـ جـعـلـهـمـاـ يـسـتـحقـانـ ذـلـكـ كـلـهـ..

وـبـاتـ مـنـ الضـرـوريـ عـقـوبـتـهـمـاـ بـهـذـهـ الطـرـيقـةـ الـمـؤـلـمـةـ،ـ التـيـ تـخلـدـ اـسـمـيهـمـاـ فـيـ سـجـلـ لـاـ يـحـبـ أـحـدـ أـنـ يـكـونـ لـهـ اـسـمـ فـيـ،ـ وـهـوـ سـجـلـ الـفـرـارـينـ فـيـ

صـ:ـ 253ـ

---

1ـ الـبـحـارـجـ 21ـ صـ 21ـ عنـ إـعـلـامـ الـورـىـ جـ 1ـ صـ 207ـ.

الحروب، ثم هو يصف علينا «عليه السلام» بأوصاف، وينحنه أوسمة تستبطن التعریض بهما، من حيث إنهم لا يستحقان شيئاً منها..

بل هي تظهر أنهما يحملان نقائصها، وهو الأمر القبيح الذي لا يصح الانطواء عليه بأي حال.

## والأوصاف هي التالية:

### 1- يحب الله ورسوله:

فهو «صلى الله عليه وآله» قد وصف علينا «عليه السلام» بأنه يحب الله ورسوله، مشيراً بذلك -فيما يظهر- إلى أن غيره لم يكن كذلك، فإن أدعى ذلك لنفسه، فمما يدل على ذلك الدعاوى تكون ساقطة عن الاعتبار، لأن شواهد الامتحان في ساحات الجهاد والنزال، تكذبها.

ولو أن أيهما كان صادقاً فيما يدعيه لنفسه لفعل نفس ما فعله على «عليه السلام»، ولم يؤثر حفظ نفسه، والنجاة بها، ولو بارتكاب الفرار من الرمح، الذي هو من المحرمات العظيمة، مع علمه بما يتربى على هذا الفرار من سلبيات تمثل باشتداد ميل الأعداء إلى الحرب، وتؤدي إلى هزيمة روحية للأولئك في ساحات الطعن والضرب.

ويتأكد ضعف المستوى من خلال ما جرى بين رسول الله «صلى الله عليه وآله» وبين عمر بن الخطاب، فقد قال عمر: لأنّت أحب إلى من كل شيء إلا من نفسي.

فقال النبي «صلى الله عليه وآله» : و الذي نفسي بيده، لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه.

فقال عمر: فأنت الآن -والله- أحب إلى من نفسي.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله» : الآن يا عمر؟ ![\(1\)](#)

ولابد أن تذكر هنا الآية السريفة التي تقول:

قُلْ إِنْ كَانَ آباؤُكُمْ وَ أَبْناؤُكُمْ وَ إِخْوَانُكُمْ وَ أَرْجُوا جُنُّكُمْ وَ أَمْوَالٌ إِقْتَرَفْتُمُوهَا وَ تِجَارَةً تَخْسِنُونَ كَسَادَهَا وَ مَسَاكِنٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ جِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ[\(2\)](#)

## 2- يحبه الله ورسوله:

### إشارة

وإذا كان علي «عليه السلام» يحب الله ورسوله، فإن ذلك يستتبع القيام بما يمليه هذا الحب من الالتزام، والوفاء، والتضحية في سبيل الله ورسوله.. الأمر الذي ينشأ عنه حب الله ورسوله له «عليه السلام» أيضاً.

فكان من الطبيعي أن يأتي الوسام الآخر، وهو: أنه «عليه السلام» يحبه الله ورسوله، وهو وسام عظيم، خصوصاً مع ما يتضمنه هذا الوصف من التعرض بالذين هربوا، ليدل فرارهم على: أنهم لم يكونوا كذلك،

ص: 255

- 
- 1- مسنن أحمد ج 4 ص 336 و صحيح البخاري { ط محمد علي صحيح بمصر } ج 8 ص 161 و عمدة القاري ج 1 ص 144 والمعجم الأوسط ج 1 ص 103 وكنز العمال ج 12 ص 600 و تفسير القرآن العظيم ج 2 ص 356 وج 3 ص 476 و تاريخ دمشق ج 19 ص 87 وفتح الباري ج 1 ص 56 و راجع: المستدرك للحاكم النيسابوري ج 3 ص 456 و الشفا بتعريف حقوق المصطفى ج 2 ص 19.
  - 2- الآية 24 من سورة التوبه.

فالمعيار لكسب رضا الله تعالى، ونيل محبته ومحبة رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ»؛ هو العمل الصالح، والجهاد، والتضحية، ولا تكفي الدعاوى العريضة، والعجيج، والضجيج في الرخاء، ثم الهرب في ساحات الجهاد، والحاجة إلى التضحية ولفداء.

### التزوير الخيش.. تصرف و حذف:

وفي بعض الروايات جاءت العبارة هكذا: فقال «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» لأعطين الراية غداً رجلاً يحبه الله ورسوله، أو قال: يحب الله ورسوله [\(1\)](#).

وبعضها اكتفى بذكر الفقرة الثانية وهي قوله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» : يحب الله ورسوله [\(2\)](#).

ص: 256

- 
- 1- صحيح البخاري { ط محمد علي صبيح } ج 5 ص 171 و 23 والخصائص للنسائي { طبعة التقدم بمصر } ص 7.
  - 2- منتخب كنز العمال { بهامش مسنند أحمد } ج 4 ص 130 و مجمع الزوائد ج 9 ص 123 والإصابة ج 2 ص 502 والبداية والنهاية ج 4 ص 184 و راجع: الرياض النصرة { ط محمد أمين بمصر } ج 2 ص 188 والخصائص الكبرى ج 1 ص 252 و 253 و مستدرک الحاكم ج 3 ص 108 و جامع الأصول ج 9 ص 472 والإكتفاء { ط مكتبة الخانجي } ج 2 ص 258 و تذكرة الخواص ص 25 و سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 124 و مسنند أحمد ج 1 ص 331 وج 2 ص 384 و ج 4 ص 54 و لسان العرب ج 14 ص 352 و مسنند الطيالسي ص 320 و سنن ابن ماجة { ط مكتبة التازية بمصر } ج 1 ص 56 و السيرة النبوية لابن هشام { ط المكتبة الخيرية بمصر } ج 3 ص 175 و السيرة الحلبية ج 3 ص 37 والخصائص للنسائي { ط مكتبة التقدم بمصر } ص 32 و 4 و 8 و 7 و حلية الأولياء ج 4 ص 356 وج 1 ص 62.

وبعضها اقتصر على الفقرة الأولى (١). وهي قوله: يحب الله ورسوله.

ونقول:

إن هؤلاء ما فتئوا يسعون إلى الانتقام من علي «عليه السلام»، وإخفاء فضائله بكل حيلة ووسيلة، وقد بدأت هذه السياسات منذ الصدر الأول، فقد أخفى أعداؤه «عليه السلام» فضائله حسداً، وأخفاها محبوه وأولياؤه خوفاً، وظهر من بين هذين ما ملأ الخافقين..

وعلينا في مثل هذه الموارد التي تغيط حсад علي «عليه السلام» ومناوئيه، أن نتوقع ظهور حسيكة النفاق، وأن يتجلّى الحقد الأعمى بصورة يصعب التستر عليها.. وهكذا كان، فإنهم حاولوا حتى إنكار قتله «عليه السلام» لمرحباً، ونسبوه لمحمد بن مسلمة كما سيأتي بيانه إن شاء الله..

ونسبوا قتل سائر الفرسان إلى أبي دجانة تارة، وإلى الزبير أخرى.. ولكن الله يلبي إلا أن يتم نوره، ولو كره الشاندون والحاقدون.. فإن فضائل علي «عليه السلام» وكراماته قد ظهرت في أصح الكتب عند شيعته، وعند غيرهم أيضاً، وأسفر الصبح لذي عينين.

### أقوال النبي صلى الله عليه وآله في المصادر والمراجع:

وفي جميع الأحوال نقول:

قد ذكرت الروايات: أن النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» قال في خيبر بعد فرار المهاجرين والأنصار:

ص: 257

---

1- المغازي للواقدي ج 2 ص 653

1- تاريخ بغداد ج 8 ص 5 و مسند أحمد ج 1 ص 99 و ج 5 ص 333 و ج 5 ص 353 و صحيح البخاري { ط محمد علي صحيح بمصر } ج 5 ص 171 و تاريخ البخاري ج 1 ق 2 ص 115 و ج 4 ص 115 و البداية والنهاية ج 4 ص 184 فما بعدها، و صحيح مسلم ج 7 ص 121 و ج 120 و ج 5 ص 195 و تذكرة الخواص ص 24 و 25 و الكامل في التاريخ { ط دار صادر } ج 2 ص 219 و 220 وأسد الغابة ج 4 ص 25 و 28 و ذخائر العقبى { ط مكتبة القدسية } ص 74 و سنن ابن ماجة { ط مكتبة التازية بمصر } ج 1 ص 56 و الجامع الصحيح للترمذى ج 5 ص 638 و الخصائص للنسائي { ط مكتبة التقدم بمصر } ص 4 و 5 و 32 و 6 و 7 و 8 و منتخب كنز العمال ج 5 ص 44 و ج 48 و ج 4 ص 130 و 127 و الصواعق المحرقة { ط المكتبة الميمونة بمصر } ص 74 و المناقب المرتضوية { ط بمبى } ص 158 و مدارج النبوة للدهلوى ص 323 و مجمع الزوائد ج 9 ص 123 و حياة الحيوان { مطبعة الشرفية } ج 1 ص 237 و مشكاة المصايح { ط دهلي } ص 564 و الإصابة ج 2 ص 502 و الفصول المهمة لابن الصباغ ص 19 و الخصائص الكبرى ج 1 ص 251 و تاريخ الخلفاء { مطبعة السعادة بمصر } ص 168 و نور الأ بصار ص 81 و إسعاف الراغبين { بهامش نور الأ بصار } ص 169 و تاج العروس ج 7 ص 133 و ينابيع المودة { ط بمبى } ص 41 و الطبقات الكبرى لابن سعد { مطبعة الثقافة الإسلامية } ج 3 ص 156 و 157 و مشارق الأنوار للصغائي { ط مكتبة الأستانة } ج 2 ص 292 و كفاية الطالب { ط الغري } ص 130 و حلية الأولياء ج 1 ص 62 و العقد الفريد { ط مكتبة الجمالية بمصر } ج 3 ص 94 و تاريخ الأمم والملوك ج 3 ص 30 و مناقب الإمام علي لابن المغازلي { ط المكتبة الإسلامية } ص 176 و مستدرك الحاكم ج 3 ص 38 و 132 و 437 و الشفاء { ط مصر } ج 1 ص 272 و الرياض النضرة { ط محمد أمين بمصر } ج 1 ص 184-188 و ج 2 ص 188 و 190 و لباب التأويل ج 4 ص 152 و 153 و المعجم الصغير { ط دهلي } ص 163 و الإستيعاب { مطبوع مع الإصابة } ج 3 ص 366 و مصايح السنة { ط المكتبة الخيرية بمصر } ج 2 ص 201 و معالم التنزيل ج 4 ص 156 و جامع الأصول ج 9 ص 469 و 471 و 472 و تاريخ الخميس ج 2 ص 48 و البحار ج 21 ص 28 و 21 و 20 عن الخرایج والجرایح وعن إعلام الورى ص 107 و 108 وعن الخصال ج 2 ص 120 و 124 .

ليس بقرار (1)

أو كرار غير فرار (2).

لا يرجع حتى يفتح الله عليه (3).

ص: 259

- 
- 1- مسند أحمد ج 1 ص 133 والخصائص للنسائي {ط مكتبة التقدم بمصر} ص 5 و السيرة النبوية لابن هشام {ط مكتبة الخيرية بمصر} ج 3 ص 175 و حلية الأولياء ج 1 ص 62 والإستيعاب {مع الإصابة} ج 3 ص 366 وكفاية الطالب {ط الغري} ص 130 و منتخب كنز العمال {بهاشم المسند} ج 5 ص 48 وج 4 ص 127 و البداية والنهاية ج 4 ص 184 و 185 فما بعدها، و المغازى للواقي ج 2 ص 653 و مجمع الزوائد ج 9 ص 123 و البحار ج 21 ص 20 عن الخصال ج 2 ص 120 و 124.
  - 2- مسند أحمد ج 5 ص 353 و تاريخ الخميس ج 2 ص 48 و البحار ج 21 ص 28 و 21 عن الخرایج و الجرایح وعن إعلام الورى ص 107 و منتخب كنز العمال {بهاشم المسند} ج 5 ص 48 و المناقب المرتضوية {ط بمبى} ص 158 و معارج النبوة ص 219 و الرياضة {ط محمد أمين بمصر} ج 1 ص 185 و 187.
  - 3- المعجم الصغير {ط دهلي} ص 163 و مستدرك الحاكم ج 3 ص 38 و المغازى ج 2 ص 653 و البحار ج 21 ص 28 و 21 و 20 عن الخرایج و الجرایح وعن إعلام الورى ص 107 وعن الخصال ج 2 ص 120.

يفتح الله على يديه [\(1\)](#).

أو قال: لا يولي الدبر، يفتح الله عليه [\(2\)](#).

فاستشرف لها الناس، فبعث عليها [\(3\)](#).

ص: 260

1- تاريخ الخميس ج 2 ص 48 ومصادر أخرى.

2- المستدرك للحاكم ج 3 ص 38 والمعجم الصغير {ط دهلي} ص 163 و تاريخ بغداد ج 8 ص 5 والسنن الكبرى ج 9 ص 107 والإستيعاب {مع الإصابة} ج 3 ص 366 وكفاية الطالب {ط الغري} ص 130 و تذكرة الخواص ص 24 و منتخب كنز العمال {بهاشم المسند} ج 5 ص 48 وج 4 ص 130 والصواعق المحرقة {ط المكتبة الميمونة بمصر} ص 74 و مشكاة المصايح {ط دهلي} ص 564 والإصابة ج 2 ص 502 والبداية والنهاية ج 4 ص 184 و 185 فما بعدها و ذخائر العقبي {ط مكتبة القدس} ص 4 ولباب التأويل ج 4 ص 182 و 183 و مجمع الزوائد ج 9 ص 123 و معارج النبوة ص 219 والخصائص الكبرى ج 1 ص 251 و 252 وتاريخ الخلفاء {ط مكتبة السعادة بمصر} ص 168 و نور الأ بصار ص 81 و إسعاف الراغبين بهاشم المسند ص 169 و تاج العروس ج 7 ص 133 و ينابيع المودة {ط بمبى} ص 41.

3- مسند أحمد ج 1 ص 133 و راجع: تاريخ البخاري {ط حيدر آباد الدكن} ج 1 ق 2 ص 115 و صحيح مسلم ج 7 ص 120 و سenn ابن ماجة {ط المكتبة التازية بمصر} ج 1 ص 56 و الجامع الصحيح ج 5 ص 638 و الخصائص للنسائي {ط مكتبة التقدم بمصر} ص 4 و المستدرك للحاكم ج 3 ص 437 و منتخب كنز العمال {بهاشم المسند} ج 4 ص 127 و البداية والنهاية ج 4 ص 184 و 185 فما بعدها و راجع: الرياض النصرة {ط محمد أمين بمصر} ج 1 ص 184-188 و مجمع الزوائد ج 9 ص 123.

أوفات الناس يدركون ليت لهم أيهم يعطها [\(1\)](#).

وفي اليوم التالي غدا الناس على رسول الله «صلى الله عليه وآله» كلهم يرجو أن يعطها [\(2\)](#).

و عند الرواندي: فتطاول جميع المهاجرين والأنصار، فقالوا: أما علي فهو لا يضر شيئاً، لا سهلاً ولا جلاً [\(3\)](#).

ص: 261

1- صحيح البخاري {ط محمد علي صحيح بمصر} ج 5 ص 171 و صحيح مسلم ج 7 ص 121 و مسند أحمد ج 5 ص 333 و تاج العروس ج 7 ص 133 و ينابيع المودة {ط بمبى} ص 41 فما بعدها و دلائل النبوة للبيهقي ج 4 ص 205 و حلية الأولياء ج 1 ص 62 و السنن الكبرى ج 9 ص 107 و جامع الأصول ج 9 ص 472 و تذكرة الخواص ص 24 و أسد الغابة ج 4 ص 22 و الصواعق المحرقة {ط الميمنية بمصر} ص 74 و الفصول المهمة لابن الصباغ ص 19 و البداية والنهاية ج 4 ص 184 و سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 124 و مسند الطيالسي ص 320 و الخصائص الكبرى ج 1 ص 251 و 252 و ذخائر العقبي {ط مكتبة القدسية} ص 74 و الرياض النضرة {ط محمد أمين بمصر} ج 1 ص 184-188 و تاريخ الخلفاء {ط مكتبة السعادة بمصر} ص 168 و إسعاف الراغبين {بهامش نور الأبصار} 169 و نور الأبصار ص 81.

2- صحيح البخاري {ط محمد علي صحيح بمصر} ج 5 ص 171 و صحيح مسلم ج 7 ص 121 و مسند أحمد ج 5 ص 333 و مشكاة المصايح {ط دهلي} ص 564 والإصابة ج 2 ص 502 و ذخائر العقبي {ط مكتبة القدسية} ص 74 و الخصائص للنسائي ص 6 و مصابيح السنة {ط مكتبة الخيرية بمصر} ج 2 ص 201 و تذكرة الخواص ص 24 و الصواعق المحرقة {ط المكتبة الميمنية بمصر} ص

.74

3- البخاري ج 21 عن الخرایج و الجرایح.

وعند الطبرى: فتطاولت لها قريش ورجال، كل واحد منهم يرجو أن يكون هو صاحب ذلك [\(1\)](#).

وفي نص آخر: تطاول لها أبو بكر وعمر [\(2\)](#).

### ابن الصباغ ينقل عن صحيح مسلم:

قال ابن الصباغ: «وفي صحيح مسلم: قال عمر بن الخطاب: فما أحببت الإمارة إلا يومئذ، فتساورت لها، وحرست عليها حتى أبديت وجهي، وتصديت لذلك ليتذكرني..».

ثم قال: قالوا: وإنما كانت محبة عمر لما دلت عليه من محبته لله ورسوله، ومحبتهما له، والفتح» [\(3\)](#).

ونقول:

إن سائر الروايات قد اقتصرت على القول: بأن عمر قال: ما أحببت

ص: 262

- 
- 1- تاريخ الأمم والملوک ج 3 ص 30 والسنن الكبرى للبيهقي ج 9 ص 107 والكامل في التاريخ {ط دار صادر} ج 2 ص 219 وراجع: منتخب كنز العمال {بها مش مسند أحمد} ج 4 ص 128 و البداية والنهاية ج 4 ص 185 فما بعدها و الرياض النصرة {ط محمد أمين بمصر} ج 1 ص 184-188 والخصائص الكبرى ج 1 ص 251 و 252 وتاريخ الخميس ج 2 ص 48.
  - 2- راجع: منتخب كنز العمال {بها مش مسند أحمد} ج 4 ص 128 وتاريخ الخميس ج 2 ص 48.
  - 3- الفصول المهمة لابن الصباغ ص 38 وكتاب الأربعين للمأحوزي ص 181 و 189.

قال: فتساورت لها، رجاء أن أدعى لها [\(1\)](#).

فدعنا عليها فأعطيها إياها، وقال: امش، ولا تلتفت.

فصرخ: يا رسول الله، على ماذا أقاتل الناس؟ !

قال: قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله.

فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم ومالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله [\(2\)](#).

ص: 263

---

1- صحيح مسلم {ط محمد علي صحيح} ج 7 ص 121 ومسند الطيالسي ص 320 والتاج الجامع للأصول ج 3 ص 326 ومسند أحمد ج 2 ص 384 وعن صحيح البخاري ج 7 ص 4209 و 544 {الخصائص الكبرى} ج 1 ص 251 و 252 و خصائص علي بن أبي طالب للنسائي ص 7 والطبقات لابن سعد {ط دار الثقافة الإسلامية مصر} ج 3 ص 156 و معراج النبوة ص 219 وراجع: سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 124 ودلائل النبوة لليهقي ج 4 ص 205 وجامع الأصول ج 9 ص 472 وتذكرة الخواص ص 24 و البداية والنهاية ج 4 ص 184 و 185 و ذخائر العقبى {ط مكتبة القديسي} ص 74 و 75 و الرياض النضرة {ط محمد أمين بمصر} ج 1 ص 184-188 و النهاية لابن الأثير ج 2 ص 420 وينابيع المودة ج 1 ص 154 والبحار ج 39 ص 12 و 13 و شرح صحيح مسلم للنووى ج 15 ص 176 والديباج على مسلم ج 5 ص 387 ورياض الصالحين للنووى ص 108 والجوهرة في نسب علي بن أبي طالب و ولده ص 68 وشرح أصول الكافي للمازندراني ج 6 ص 136 وج 12 ص 494 وتاريخ الخميس ج 2 ص 48.

2- صحيح مسلم {ط محمد علي صحيح} ج 7 ص 121 ومسند الطيالسي ص 320 والتاج الجامع للأصول {ط مصر} ج 3 ص 326 و مسند أحمد ج 2 ص 384 و الخصائص للنسائي ص 7 والطبقات لابن سعد {ط دار الثقافة الإسلامية} ج 3 ص 156 ومستدرك الحاكم ج 3 ص 38 و المعجم الصغير {ط دهلي} ص 163 وتذكرة الخواص ص 24 و 25 و البداية والنهاية ج 4 ص 184 و 185 و الرياض النضرة {ط محمد أمين بمصر} ج 1 ص 184-188.

فهل كانت لدى ابن الصباغ نسخة من صحيح مسلم تختلف عن النسخة التي وصلت إلينا .

أم أن أحدا قد كتب في هامش نسخته توضيحا لكلام عمر، فطنه ابن الصباغ جزءا من الرواية، فأدرجه فيها. .

أو أن ابن الصباغ نفسه قد شرح الكلمة عمر بالنحو المتقى، لكن نسخة كلامه قد أسقطوا {كلمة} .

أي أن كل ذلك محتمل و يؤيد هذا الاحتمال الآخر: أن الماحوزي نقل كلام ابن الصباغ بإضافة ما يدل على أنه بقصد توضيح كلام عمر

فراجع [\(1\)](#).

### 3- فرار غير فرار:

و إذا أردنا العودة إلى شرح كلمات رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» لعلي في خير، فإننا نقول:

إنه «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» لا يكتفي بالإشارة إلى فرار هؤلاء الناس، بل هو يتحدث عن أنهم كثيرو الفرار، حتى كان هذا الأمر قد أصبح عادة لهم، في حين أن عليا «عَلَيْهِ السَّلَامُ» ليس بفارار، بل هو كثير الكر، حتى أصبح

ص: 264

---

1- كتاب الأربعين للماحوزي ص 181 و 189.

ذلك عادة له أيضا..

#### 4- لا يولي الدبر:

ثم أكد ذلك بقوله: لا يولي الدبر، مستفيدا من تعبير يؤكّد شعور السامع بالنفرة من عملهم هذا.

#### 5- لا يرجع حتى يفتح الله عليه:

ثم يزيد «صلى الله عليه وآله» في توضيح ما يرمي إليه، بقوله: لا يرجع.. أي كما رجع أولئك، حتى يفتح الله سبحانه عليه، لأن الفتح كرامة إلهية، ولطف رباني، يختص الله به من هو أهل للكرامة، ومستحق للطف.. وهو ذلك الذي يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، فإنه «صلى الله عليه وآله» قد مهد تلك المقدمات لينتهي إلى هذه النتيجة، بصورة عفوية وطبيعية.

فكأنها من القضايا التي تكون قياساتها معها..

#### 6- لا يخزيه الله أبدا:

وورد في بعض النصوص قوله «صلى الله عليه وآله» : لأبغض رجالا لا يخزيه الله أبدا، أي إنه «صلى الله عليه وآله» قد تقدم خطوة أخرى في سياق الإعلان عن قبح الفرار الذي حصل، ليدلنا ذلك على أنه لا يمكن المرور عن هذا الأمر مرور الكرام، لشدة خطورته، وعميق تأثيره، مما يعني بقاء تبعاته وأثاره تلاحق الذين صدر منهم ذلك، وتلقي بكل أشكالها على سمعتهم، وعلى موقعهم. وذلك حين ألمح على سبيل التعریض الذي هو

ص: 265

أبلغ من التصریح إلى أن الفرار من موجبات الذل، والمهانة، والخزي، الذي هو أشر أنواع السقوط.

ولتلاحظ: كلمة أبداً أيضاً في كلامه «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ»، فإنها قد جاءت لتفيد المزيد من التأكيد على براءة ونزاهة ذلك المبعوث من هذا الأمر الشنيع.

### حتى أنت يا عمر؟ ! :

وقد روى: أن عمر لما سمع النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» يقول: لأعطيين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، كراراً غير فرار، قال: ما أحبيت الإمارة إلا ذلك اليوم [\(1\)](#).

ص: 266

---

1- السيرة الحلبية ج 3 ص 35 وراجع: شرح أصول الكافي ج 6 ص 136 و 137 و 494 و مناقب أمير المؤمنين ج 2 ص 503 وأمالى الطوسي ص 380 والعمدة ص 144 و 149 و الطرائف لابن طاوس ص 59 و البحار ج 21 ص 27 وج 39 ص 10 و 12 و كتاب الأربعين للماحوذى ص 290 و مقام الإمام علي للعسكري ص 30 و 42 و مستدرک سفينة البحار ج 8 ص 229 وأضواء على الصحاحين ص 432 وعن صحيح مسلم ج 7 ص 121 وعن فتح الباري ج 7 ص 47 و 365 و السنن الكبرى للنسائي ج 5 ص 11 و 180 وعن خصائص أمير المؤمنين للنسائي ص 57 و رياض الصالحين للنووي ص 108 وعن تفسير ابن كثير ج 1 ص 377 و تاريخ مدينة دمشق ج 25 ص 459 وج 42 ص 83 و 84 وعن الإصابة ج 4 ص 466 وعن البداية والنهاية لابن كثير ج 7 ص 372 وعن السيرة النبوية لابن هشام ج 2 ص 422 وعن عيون الأثر ج 1 ص 291 و نشأة التشيع ص 120 وعن التاج الجامع للأصول ج 3 ص 331 و رواه الشيخان.

ونقول:

1-الظاهر هو: أنه قد ذكر ذلك عن نفسه ليقول للناس: إنه لم يكن من طلاب الدنيا فما جرى بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله» إنما كان لأجل الحفاظ على الإسلام، وعلى أهله.

2-إن عمر قد فهم من الأوصاف التي أوردها النبي «صلى الله عليه وآله» : أنه يقصد ترشيح صاحب تلك الأوصاف لما هو أعظم من قيادة الجيش و من أخذ الرأية يوم خير.

فهو يريد أن يقول:

إن الذي يفتح الله على يديه، ويحب الله ورسوله، هو الذي يصلح لحمل الأمانة من بعده، وهو سيد العرب كما تقدم.

أما من عداه فليس له الحق؛ لأنه لا يؤمن على ذلك.

فكأن عمر أراد أن يظهر: أن هذه الميزات كانت موجودة فيه، ولذلك رشح نفسه للإمارة، وصار يتعرض لرسول الله «صلى الله عليه وآله»

3-إن النبي «صلى الله عليه وآله» كان قد منح أبا بكر وعمر، كلا على حدة فرصة للفوز بالفتح، وتحقيق النصر العظيم، فضيعها. ورجعا منهزمين.

بل ورد: أنه «صلى الله عليه وآله» قد منح الفرصة لعمر مرتين، فما معنى تجدد حب الإمارة لدى عمر، بعد أن أعلن النبي «صلى الله عليه وآله» : أنه سيعطي الرأية رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله؟ !

فقد يقال: إن ذلك جاء بداعي الحسد المذموم.

وقد يقال: إن هذا الأمر قد جاء نتيجة الإحساس بأنه بعد فراره هو

وصاحبه قد أصبحا في موضع التهمة، وأن عليه أن يستعيد شيئاً من ماء الوجه، مع علمه بمقصود النبي «صلى الله عليه وآله»، فعرض نفسه لذلك، وطلب الرأية لنفسه، مع يقينه بأنه لن يختاره، هو ولا غيره من الفارين، فإن المؤمن لا يلده من جحر مرتين، ولا يصح، ولا يفيد تجريب المجرب، إلا من السفيه، وغير المتوازن. وحاشا رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن يكون كذلك.

4- إن المفروض: أن يكون نفس كلام النبي «صلى الله عليه وآله» مانعاً لعمر، ولغيره ممن هم مثله من التصدي للرأية، ولا يجوز لهم بمقتضاه أن يطلبوها من جديد، إذ إن القرار غير الفرار، هو ذلك الذي كان من عادته الكر، دون الفر، وقد ظهر عملياً أنه ليس كذلك، فما معنى صدور هذا التمني منه، وما معنى أن يتطاول لها؟ . وما معنى رجاءه أن يدعى لها؟ ثم أن يبادر إلى طلبها؟ !

5- إن عمر يقول: إنه لم يتمن الإماراة إلا يومئذ، مع أنه هو نفسه يقر ويقسم على أنه قد تمي هذا الأمر مرة أخرى، وذلك عند ما جاء وفد ثقيف إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» ، فقال لهم النبي «صلى الله عليه وآله» : لتسلمن، أو لأبعثن إليكم رجلاً مني، وفي رواية: مثل نفسي، فليضربن أعناقكم، وليسبيّن ذراريكم، وليرأخذن أموالكم [\(1\)](#).

ص: 268

---

1- السيرة الحلبية ج 3 ص 35 وراجع: الطرائف لابن طاووس ص 65 والبحار ج 38 ص 325 وج 40 ص 80 والمناقب للخوارزمي ص 136 ونهج الإيمان لابن جبر ص 481 والعدد القوية للحلبي ص 250 وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج 1 ص 60 وفي الهاشمي روى الحديث في أواسط ترجمة أمير المؤمنين «عليه السلام» من كتاب الاستيعاب {بها مش الإصابة} ج 3 ص 46 وأما عبد الرزاق فروى الحديث في فضائل علي «عليه السلام» تحت الرقم 2389 من كتاب المصنف ج 11 ص 226، وليلاحظ: ترجمة أمير المؤمنين «عليه السلام» من تاريخ دمشق ج 2 ص 373.

قال عمر: فوَاللهِ، مَا تمنيَتِ الإِمَارَة إِلَّا يوْمَنِذْ، وَجَعَلَتِ أَنْصَبَ صَدْرِي لِهِ، رِجَاءً أَنْ يَقُولَ: هُوَ هَذَا.

فاللتفت «صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» إِلَى عَلِيٍّ «عَلَيْهِ السَّلَامُ»، وَقَالَ: هُوَ هَذَا، هُوَ هَذَا.

فَعَمِرٌ يَقُولُ هَنَا: مَا تمنيَتِ الإِمَارَة إِلَّا يوْمَنِذْ.

وَفِي غَزْوَةِ خَيْرٍ يَقُولُ: مَا تمنيَتِ الإِمَارَة، إِلَّا ذَلِكَ الْيَوْمُ. فَأَيُّهُمَا هُوَ الصَّحِيفُ؟! ..

أَمْ أَنَّهُ قَدْ تَمَنَّى الإِمَارَة فِي كَلَا المُورَدِينَ؟!

هَذَا كَلْهُ.. عَدَا عَنِ السُّؤَالِ الَّذِي يَطْرُحُ نَفْسَهُ، وَهُوَ: أَنَّهُ حِينَ هَاجَمَ بَيْتَ الزَّهْرَاءِ «عَلَيْهَا السَّلَامُ»، بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ «صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ»، وَاعْتَدَى عَلَيْهَا بِالْأَضْرَبِ، وَتَسَبَّبَ فِي إِسْقَاطِ جَنِينِهَا الْمُحْسَنِ، وَفِي اسْتَشْهَادِهَا «عَلَيْهَا السَّلَامُ»، أَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مِنْهُ حَبَّاً بِالإِمَارَةِ، وَ طَلَبَا لَهَا، وَإِزْهَاقًا لِأَرْوَاحِ أَقْدَسِ الْخُلُقِ مِنْ أَجْلِهَا؟!

وَكَيْفَ نَفَسِرُ قَوْلَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ «عَلَيْهِ السَّلَامُ» لِهِ حِينَئِذٍ: احْلِبْ حَلْبًا لِكَ شَطْرَهُ؟! [\(1\)](#).

ص: 269

---

1- راجع: الإِحْتِجاجُ ج 1 ص 96 وَالصَّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ ج 2 ص 225 وَج 3 ص 11 وَ111 وَكَتَابُ الْأَرْبَعِينِ لِلشِّيرازِيِّ ص 173 وَالبَّهَارِجُ 28 ص 285 وَ388 وَج 29 ص 522 وَ626 وَمَنَاقِبُ أَهْلِ الْبَيْتِ لِلشِّيرازِيِّ ص 400 وَالسَّقِيفَةُ لِلْمَظْفَرِ ص 89 وَالْغَدَيرُ ج 5 ص 271 وَنَهَجُ السَّعَادَةُ ج 5 ص 210 وَمَكَاتِبُ الرَّسُولِ ج 3 ص 708 وَتَثْبِيتُ الْإِمَامَةِ ص 17 وَأَسَابِيبُ الْأَشْرَافِ ص 440 وَالْإِمَامَةُ وَالسِّيَاسَةُ {تَحْقِيقُ زَيْنِي} ج 1 ص 18 وَبَيْتُ الْأَحْزَانِ ص 81 وَحَيَاةُ الْإِمَامِ الْحُسَنِ لِلقرْشَيِّ ج 1 ص 257.

وقوله «عليه السلام» عنه، وعن أبي بكر: لشد ما تشطرا ضرعيها؟ ![\(1\)](#). وغير ذلك..

### مقارنة ذات مغزى:

و علينا أن نتأمل كثيرا في موقف عمر الانف الذكر، حيث تمنى الإمارة في خيبر تارة، وفي ثقيف أخرى.. وبين موقف أمير المؤمنين «عليه السلام» ، فإنه لما بلغه ما قاله النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» عن الذي سوف يعطيه الرأية، قال: «اللَّهُمَّ لَا مَعْطِيٌ لَّمَا مَنَعْتَ، وَلَا مَانِعٌ لِّمَا أَعْطَيْتَ..»[\(2\)](#).

ص: 270

- 
- 1- نهج البلاغة {الخطبة الشقشيقية} ج 1 ص 33 و رسائل المرتضى ج 2 ص 109 والإحتجاج ج 1 ص 284 و كتاب الأربعين للشيرازي ص 167 و حلية الأبرار ج 2 ص 290 و مناقب أهل البيت للشيرازي ص 457 و النص والإجتهداد ص 25 و الغدير ج 7 ص 81 وج 10 ص 25 و المعيار و الموازنة لابن الإسكافي ص 46 و شرح النهج للمعتزلي ج 1 ص 162 و 170 و الدرجات الرفيعة ص 34 و بيت الأحزان ص 89 و حياة الإمام الحسين للقرشي ج 1 ص 282 و شرح شافية ابن الحاجب للأستر آبادي ج 1 ص 78.
  - 2- البحار ج 21 ص 21 و تاريخ الخميس ج 2 ص 48 و إعلام الورى ج 1 ص 207 و قصص الأنبياء للراوندي ص 344.

فهو «عليه السلام» يعتبر: أن ذلك كرامة إلهية، يختص الله تعالى بها من يشاء.

أما بالنسبة لمنيات عمر، فنقول:

ألف: إن كان يقصد بأنه أحب الإمار، طمعا منه في ملاقة العدو، فيرد عليه:

أولاً: إن النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» كان قبل ذلك قد نهى عن لقاء العدو، وقال: لا تتمنا لقاء العدو [\(1\)](#). مما معنى أن يخالف عمر هذا النهي

ص: 271

---

1- قد تقدم الكلام حول هذه الفقرة في فصل سابق وراجع: المعجم الصغير {ط دهلي} ص 163 والمستدرك على الصحيحين ج 3 ص 38 وتنوير الحوالك ص 644 والمحللى لابن حزم ج 7 ص 293 وفقه السنة للسيد سابق ج 2 ص 648 و مكaitib الرسول ج 1 ص 440 و سين الدارمي ج 2 ص 216 وعن صحيح البخاري ج 4 ص 9 وعن صحيح مسلم ج 5 ص 143 وعن سنن أبي داود ج 1 ص 592 وعن سنن الباري ج 10 ص 160 والمصنف للصناعي ج 5 ص 248 و 249 و السنن الكبرى للنسائي ج 5 ص 189 و مسند أبي يعلى الموصلي ج 2 ص 151 و مسند ابن أبي أوفى ص 117 والكافى في علم الرواية للخطيب البغدادي ص 373 والأذكار النووية ص 209 و رياض الصالحين للنووى ص 86 و 534 و 540 و الجامع الصغير ج 2 ص 729 و كنز العمال ج 4 ص 291 و 361 وفيض القدير ج 6 ص 504 وكشف الخفاء ج 2 ص 349 و 359 و إرواء الغليل ج 5 ص 7 و تفسير الثورى ص 119 وعن تفسير القرآن العظيم ج 1 ص 417 وج 2 ص 328 و الجامع لأحكام القرآن ج 3 ص 233 و 245 وعن الدر المنشور ج 3 ص 189 و تفسير الشعاعى ج 1 ص 489 و سير أعلام النبلاء ج 6 ص 7 و سبل الهدى و الرشاد ج 4 ص 383 وج 5 ص 120 وج 9 ص 114.

من رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ» ؟ !

ثانياً: إنه قد جرب حظه مرتين، ومع هذا العدو بالذات، ولم يتغير شيء بين الأمس واليوم.

ب: وإن كان قد تمنى وتطاول إلى الحصول على الإمارة، لما دلت عليه من محبة الله ورسوله، وحصول الفتح، فهو أعجب، وأعجب.  
فإن كل الناس يعرفون -وأبي بن الخطاب منهم- أن في جهاد العدو رضا الله ورسوله.

وأن محبة الله ورسوله لا تناول إلا بالعمل الصالح، والطاعة والانقياد في الحرب والسلم، والسراء والضراء، وهو عارف بنفسه إن كان قد أطاع الله ورسوله، ولبي نداء الواجب في جهاد العدو ألم أنه لم يقم بذلك.

### سعادتهم برمد علي عليه السلام:

لقد أظهرت النصوص المختلفة: أن قريشاً والمتآثرين بمنهجها، والتابعين لها، كانوا سعداء بابتعاد علي «عليه السلام» عن الساحة، ولهؤم ظنوا: أن كل الدور سيكون لهم، وأن الانتصارات والإنجازات ستتحقق على أيديهم، وأن جميع الأوسمة، ستكون من نصيبهم .

وهذا أول الغيث، فإنه «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ» يعلن عن وسام جديد وهو: أنه سيعطي الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله،  
قرار غير فرار لا يرجع حتى يفتح الله عليه..

وفي جميع الأحوال يقول:

إنه بعد أن قال رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ» : لاعطين الراية غداً الخ.. غدت قريش يقول بعضهم لبعض:

«أما عليٰ فقد كفيتُمُوهُ، فإنه أرمَدَ لَا يَصْرُ موضع قدمه» [\(1\)](#).

غير أن علياً «عليه السلام» لما سمع مقالة رسول الله «صلى الله عليه وآلـه» قال: «اللهم لا معطي لما منعت، ولا مانع لما أعطيت».

وربما يكون قد دار في خلدهم: أن هذه الأوسمة تعطى جزافاً، وأن وجود علي «عليه السلام» بينهم كان هو العائق لهم عن نيلها.. وأن فرارهم السابق لا يضر، فلعل الجيش الذي سوف يقودونه سيجد الفرصة لتحقيق النصر أو لعل بعضهم قد ظن أن هذا الفتح -الذي وعدهم رسول الله «صلى الله عليه وآلـه» -سيكون سهلاً؛ لأنَّه وعد تضمن الإشارة إلى التدخل الإلهي الذي يأتي بالفتح، فلا تعب ولا نصب، بل هي معجزة يظهرها الله تعالى، وينتهي الأمر.. وهم أهل لأن يظهر الله سبحانه المعجزات لمصلحتهم ومن أجلهم.

و هذا سوف يعوضهم عن النكسة التي مني بها أحباً لهم، الذين هربوا بالراية أكثر من مرة في هذه الحرب.

ولعل فيهم أيضاً من احتمل أن يكون لغضب رسول الله «صلى الله عليه وآلـه» تأثير على روحيات المقاتلين، الذين سوف يهاجمون الحصن بقوة واندفاع، يوفر على حاملي الراية جهداً، ويحقق لهم نصراً على أيدي غيرهم، ويظهر لهم فضلاً يكون لهم بمثابة الغنيمة الباردة التي يحمل بها الضعفاء، والفرارون عادة..

ص: 273

---

1- مناقب آل أبي طالب ج 2 ص 319 والبحار ج 21 ص 21 عن ابن حرير وأبي إسحاق، وإعلام الورى ج 1 ص 207.

يضاف إلى ذلك: أن نفس هذا التصدي، واستعراض العضلات، ربما يسهم في تبرئة القادة الذين فروا، وكان أصحابهم يجبنونهم، ويجعل التهمة بالجبن والفرار موجهة لغيرهم، أكثر مما هي موجهة إليهم.

والأهم من ذلك كله: أن أي رجل يأخذ الراية لسوف يكون له كل الفضل على الذين هربوا حتى لو كان هو واحداً منهم، ولا سيما بعد غضب الرسول «صلى الله عليه وآله»، واستيائه، وبعد ما قاله في حقهم تصريحاً تارة، وتلوياً أخرى.

### كلهم يرجو أن يغطأها:

ولا ندري كيف يرجو أولئك الذين فروا بالراية، مرة بعد أخرى وربما أكثر من ثلاثة مرات، أن يعطينهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» الراية مرة رابعة، أو خامسة؟!

فهل هم يحسبون أن النبي «صلى الله عليه وآله» لا يملك موازين صحيحة؟

أم يظنون أنه شديد النسيان إلى هذا الحد؟

أم أنه يخضع لتأثيرات الهوى، والميول، والعصبيات؟

أم أنهم هم أنفسهم قد خولطوا في عقولهم؟

أم أنهم يظنون أن الرسول سوف يخصهم بمعجزة إلهية، يستطيع هو أن يختار لها من أحب؟!

ثم إن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، هو الذي يقول: لا يلدغ المؤمن

1- راجع: مجمع الزوائد ج 8 ص 90 و مسنن ابن راهويه ج 1 ص 395 والأدب المفرد ص 272 و منتخب مسنن عبد بن حميد ص 240 و الديباج على مسلم ج 6 ص 299 وعن فتح الباري ج 10 ص 439 و 440 و صحيح ابن حبان ج 2 ص 438 والمعجم الكبير ج 2 ص 222 وج 17 ص 20 والمعجم الأوسط ج 7 ص 34 و 83 وج 1 ص 31 و مسنن الشاميين ج 1 ص 161 و معرفة علوم الحديث ص 250 و مسنن الشهاب ج 2 ص 34 و رياض الصالحين ص 711 و عن الجامع الصغير ج 2 ص 758 و عن كنز العمال ج 1 ص 147 و فيض القدير ج 6 ص 588 و الفتوح لابن أعثم ج 3 ص 57 و سبل السلام للعسقلاني ج 4 ص 55 و مشكاة الأنوار للطبرسي ص 551 و الصراط المستقيم ج 1 ص 114 و عن بحار الأنوار ج 110 ص 10 و عن مسنن أحمد ج 2 ص 115 و سنن الدارمي ج 2 ص 319 و عن البخاري ج 7 ص 103 و عن مسلم ج 8 ص 227 و عن سنن أبي داود ج 2 ص 448 و سنن ابن ماجة ج 2 ص 1318 و السنن الكبرى للبيهقي ج 6 ص 320 و شرح النووي على صحيح مسلم ج 18 ص 114 و سبل الهدى و الرشاد ج 2 ص 97 و قصص الأنبياء للجزائري ص 207 و كشف الخفاء ج 2 ص 185 و 374 و 375 و الأحكام لابن حزم ج 7 ص 968 و الضعفاء الكبير للعقيلي ج 1 ص 74 و المجردون لابن حبان ج 1 ص 40 و الكامل لابن عدي ج 3 ص 331 و 444 وج 4 ص 65 و العلل للدارقطني ج 9 ص 109 و 111 و تاريخ بغداد ج 5 ص 427 و تاريخ مدينة دمشق ج 55 ص 372 و سير أعلام النبلاء ج 5 ص 340 و 342 و الذريعة ج 25 ص 51 و تاريخ جرجان ص 314 و البداية و النهاية ج 3 ص 53 و تزييه الأنبياء ص 110 و نهج الإيمان لابن جبر ص 54 و 618 و الشفاء لعياض ج 1 ص 80 و السيرة النبوية لابن كثير ج 2 ص 486 وج 3 ص 92 و عن عيون الأثرج 1 ص 401.

لا يكادان يلقطان أنفاسهما من عناء المهروب، الذي يريد النبي «صلى الله عليه وآله» أن يعالج سلبياته وآثاره؟ .

وكيف يتظاولان لها، وهم السبب في اتخاذ النبي «صلى الله عليه وآله» هذا القرار الحاسم، وهو أن يعطي الرأي لقرار غير فرار؟ ! .

### حتى قريش:

والغرب من ذلك أن يصرح المؤرخون: بأن قريشا هي التي تطاولت لهذا الأمر، ورجا كل واحد منهم أن يكون هو صاحب الرأي، فما هو المبرر لهذا الطموح القبائلي القرشي؟ !

ومتى كانت قريش- بما هي قبيلة- مهتمة بأمر الجهاد والتضحية والعطاء؟ فإننا لا ننكر: أن بعض أفرادها قد جاهد وضحي، ولكنهم لم يكونوا أفضل من غيرهم في ذلك..

أم يظنون: أن يغلب الحس العشائري على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فيخص عشيرته بالامتيازات، ولو لم تكن مستحقة لها؟ !

### لماذا الإعلان المسبق؟ !

وقد لوحظ هنا أيضا: أنه «صلى الله عليه وآله» قد وعد الناس بأن يعطي الرأي في اليوم التالي لرجل ذكره لهم بوصفه دون اسمه.. .

مع أنه كان يمكنه «صلى الله عليه وآله» : أن يسكت في ذلك اليوم، ثم يطلب في اليوم التالي حضور علي «عليه السلام» ، فيعطيه الرأي، ويمكن أن يطلق عليه تلك الأوصاف في ساعة إرساله «عليه السلام» للقتال.. .

ولكه «صلى الله عليه وآله» أراد للناس أن يفكروا في هذا الأمر، وأن

يطبقوه على هذا تارة، وعلى ذاك أخرى.. وأن يتمناها الفارون، وأن تشرب إليها الأعناق، في الوقت الذي كان لا يمر في خيال الجميع أو في وهمهم حتى احتمال أن يكون المقصود هو علي «عليه السلام» لأن الجميع يعرفون أنه «عليه السلام» يعني من الرمد ما يعني.. ولذلك لم يعطه رسول الله «صلي الله عليه وآله» الراية في أيام رمده، حتى أظهر الله تعالى ضعف و خور أولئك القوم، و عرف الناس حقيقتهم، وأنهم لم يكونوا أهلاً لما يؤملونه، وليسوا في المواضع التي يضعون أنفسهم فيها.

وقد استقرت كلمات النبي «صلي الله عليه وآله» في وصف صاحب الراية-في أنفسهم، وطبقوها على الكثرين منهم، واستمرت الاحتمالات والمقارنات بين الأوصاف وبين ما ظهر من صفات المدعين للمقامات طيلة تلك الليلة.. حتى تبين لهم في اليوم التالي خطوئهم جمعياً في حساباتهم، وأن أحداً من الناس الذين فكروا فيهم لا يملك تلك الصفات.

ولو أنه «صلي الله عليه وآله» أجل إطلاق كلماته تلك لليوم التالي فلربما لا يفكر أحد بتلك الصفات، ولا يقوم بأية مقارنة تطبيقية، بل قد يظن الكثيرون أنها مجرد مداعج طارئة، وأوسمة يطلقها الرئيس على القادة عادة، لتشجيع فرسانهم، وشحذ عزائمهم، وقد لا تكون فضفاضة على أصحابها في مجال التطبيق.

### **التدخل الإلهي:**

وقد أظهرت النصوص المتقدمة: أنه حين ظهر إلحاج هؤلاء الناس عن القيام بواجبهم الشرعي في دفع العدو، تدخل الله تعالى لحفظ دينه

بصورة إعجازية، وذلك بشفاء علي «عليه السلام» من دون أن يؤثر ذلك على خيار و اختيار أعدائه تعالى، أي أنه تعالى لم يحل بينهم وبين ما يريدون، ولم يشل حركتهم، ولم يمنعهم من ممارسة حقهم الطبيعي، فليس لهم أن يشعروا بأنهم قد ظلموا في ذلك.

كما أنه لم يقهر المسلمين ولا عليا «عليه السلام» على التصدي للحرب، بل اكتفى بإزالة الموانع من طريق علي «عليه السلام» بشفاء عينيه، وأفسح المجال له لكي يختار، بعد أن أساء الآخرون الاختيار، فاختاروا الحياة الدنيا، وأنفسهم، وأظهروا: أن أنفسهم أحب إليهم من الله ورسوله.

### **النبي صلى الله عليه و آله يصنع المعجزة:**

و شفاء عيني علي «عليه السلام» وإن كان معجزة صنعتها رسول الله «صلى الله عليه و آله» لهم، ولكنها لم تكن المعجزة التي يتوقف عليها إقناع الناس بالنبوة. لأن معجزة النبوة هي القرآن الكريم.

و قد كان الناس مقتطعين بنبوته «صلى الله عليه و آله» ، بالاستناد إليها، أو إلى غيرها من موجبات ذلك.

كما أن هذا الشفاء لم يأت ابتداء من الله تعالى ليظهر سبحانه فضل النبي «صلى الله عليه و آله» ، أو علي «عليه السلام» . بل هو أمر تعمد رسول الله «صلى الله عليه و آله» نفسه أن يفعله. وقد اختاره، وقصد إلى إيجاده بعد أن لم يكن، مما يعني: أنه «صلى الله عليه و آله» عارف به، و مختار له، واثق بالنتيجة قبل حصولها. و عارف بأنه يملك القدرة على فعله، من خلال ما خوله الله تعالى إليه.

وهذا يشير إلى: أنه «صلى الله عليه وآله» يملك قدرات تمكّنه من التأثير التكويني في أمور واقعية و مادية خارجية، من دون استخدام الوسائل المعتادة. بل من خلال هذه القدرات التي يملكتها، وأن القضية ليست مجرد دعاء، قد استجابه الله تعالى له.

وهذا يفسر ما روي من أنه «صلى الله عليه وآله» قد تغل في عيني على «عليه السلام» ، وبزق في إلية يده، فذلك بها عينيه، أو نحو ذلك.

ولابد من التوقف والتأمل في حقيقة أنه «صلى الله عليه وآله» لم يكتف بالدعاء و الطلب إلى الله تعالى أن يشفيه، بل قرن ذلك بممارسة عملية تؤكّد: أنه يريد أن ينجز عملاً يقع تحت قدراته و باختياره.

### متى رممت عيناً على عليه السلام؟

وأما حديث: أن علياً «عليه السلام» قد تخلف عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» ، وبقي في المدينة، فلما سار «صلى الله عليه وآله» إلى خيبر، قال علي: لا، أنا أتخلف؟ !

فلحق برسول الله «صلى الله عليه وآله». فلا يصح؛ و ذلك لما يلي:

أولاً: إذا كان علي «عليه السلام» يعني من رمد في عينيه، حتى إنه لم يكن يبصر، فإنه كان غير قادر على السير إلا بقائد يقوده، و مدبر يدبّره، فإلى من أوكلت هذه المهمة يا ترى في كل هذه المدة الطويلة؟ فإن كان قائده هو سلمة بن الأكوع.

فإن الرواية قد صرحت: بأنه جاء به يقوده إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» ، في قضية قتل مرحباً فقط. .

فكيف جاء من المدينة؟ ! وكيف كان ينتقل من حصن إلى حصن، ومن مكان إلى مكان لقضاء حوائجه؟ !

وبعد . فإن تخلف علي «عليه السلام» في المدينة لا بد أن يكون بإذن من رسول الله «صلى الله عليه وآله» . . كما أن مسيره لا بد أن يكون بإذن منه، فهل استأذن «عليه السلام» في الخروج من المدينة؟ أم أنه فعل ذلك من عند نفسه؟ وإذا كان قد خرج بإذنه «صلى الله عليه وآله» و بعلمه، فلماذا لم يخرجه معه، فإن حاله لم يختلف؟ وإن كان قد أذن له بالخروج، فكيف أذن له وهو بهذه الحالة؟ وكيف؟ وكيف؟

ثانياً: إنهم يقولون: إن سبب رمد عيني علي «عليه السلام» هو دخان الحصن الخيري نفسه، وليس شيئاً آخر عرض له في المدينة، فراجع [\(1\)](#). فإذا صاح هذا، فلا يكون ثمة مبرر لبقاءه في المدينة، كما زعموا.

ثالثاً: صرحت الروايات المتقدمة: بأن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أعطى اللواء في غزوة خيبر إلى علي بن أبي طالب «عليه السلام» [\(2\)](#).

وقد أعطاه إياه في أول حصن ورد عليه، وبasher معه القتال فيه، وهو حصن ناعم، وقد هاجم هو نفسه ذلك الحصن بالذات، فقتل معه «عليه السلام» [\(3\)](#) عبد يهودي اسمه ياسر، وكان قد أسلم آئذ.

ص: 280

---

1- راجع: مجمع الزوائد ج 9 ص 123 والمسترشد للطبراني ص 299 وراجع: كنز العمال ج 10 ص 92.

2- راجع: دلائل النبوة للبيهقي ج 4 ص 48 والمطالب العالية ج 4202 والمغازي للواقدي ج 1 ص 407 وج 2 ص 649 والسيرة الحلبية ج 3 ص 35.

3- راجع على سبيل المثال: المغازى للواقدي ج 2 ص 649.

فكيف يعطيه اللواء، وهو لا يصر طريقه؟

رابعاً: قال المفيد: «كانت الراية يومئذ لأمير المؤمنين «عليه السلام» ، فللحقة رمد أعجزه عن الحرب» [\(1\)](#).

أي إن هذا الرمد قد عرض له بعد أن تسلم الراية.

خامساً: إن الرواية نفسها تدل على أن رمد عيني على «عليه السلام» قد كان طارئاً في تلك الفترة، وأنه لم يدم برهة، بحيث يصل خبر ذلك إلى النبي «صلى الله عليه وآله» .

فقد ذكرت الرواية: أنه في يوم قتل مرحباً: أصبح رسول الله «صلى الله عليه وآله» فصلى الغداة، ثم دعا باللواء، ووعظ الناس، فقال: أين على؟

قالوا: يشتكى عينيه.

قال: فأرسلوا إليه..

فلما جاء به قال له النبي «صلى الله عليه وآله» : ما لك؟!

قال: رممت، حتى لا أبصر ما قدامي.

فظاهر السياق يعطي: أن الناس كانوا يرون: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لم يكن على علم بأمر الرمد، فأخبروه به.

وسؤال النبي «صلى الله عليه وآله» لعلي «عليه السلام» : ما لك؟ و جواب علي «عليه السلام» له يقطع كل عذر، ويزيل كل شبهة في ذلك.

ولو كان علي «عليه السلام» غائباً عن ساحة القتال كل هذه الأيام، لعلم بذلك رسول الله «صلى الله عليه وآله» ، لا سيما وأنه هو الذي يعتمد

ص: 281

عليه في حروريه، وهو القريب منه، والذى يواصل الاتصال به، والت فقد له، وهو حامل لوايه، وقائد جيوشة .

### علي عليه السلام فاجأهم:

وفي البخاري وغيره: أن عليا «عليه السلام» رمدت عيناه في المدينة، فلما خرج رسول الله «صلى الله عليه وآله» لحق به، فوصل في لحظة إعطاء الرأي.

ففاجأ حضور علي «عليه السلام» الناس، لأنهم كانوا لا يرجون حضوره، حتى إنهم حين رأوه قالوا بعفوية: هذا علي.

ونقول:

قد ذكرنا فيما تقدم: أن رمد عيني علي «عليه السلام» إنما حصل في أواخر أيام الحصار، بل لقد صرحت بعض الروايات: أن الرمد إنما أصابه بسبب دخان الحصن .

وأما الحديث الدال على أنهم فوجئوا بحضور علي «عليه السلام»، فقد يكون بعضه صحيحًا إذا كان أكثر الناس لم يلتفتوا، أو لم يسمعوا كلام النبي «صلى الله عليه وآله» ، حين سأله عن علي «عليه السلام» ، فتصدى عمر بن ياسر، أو سلمة بن الأكوع لإخباره أو إحضاره. فلما جاء به فوجئوا بحضوره.

أما إن كان المقصود: أنهم كانوا يعتقدون أن رمده قد منعه من الخروج مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» من المدينة إلى خير، ثم لحق به..

فقد تقدم: أنه لم يفارق رسول الله «صلى الله عليه وآله» منذ خروجه من المدينة، حسبما أوضحتناه.

ص: 282

## لباس علي عليه السلام في الحر و البرد:

ورووا عن علي «عليه السلام» أنه قال: إن رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» بعث إليّ وأنا أرمد العين يوم خير، فقلت: يا رسول الله، إني أرمدا!

فتغل في عيني، فقال: اللهم أذهب عنه الحر والبرد، فما وجدت حرًا ولا بردًا منذ يومئذ.

وذكروا: أنه «عليه السلام» كان يلبس في الحر الشديد القباء المحسو الشخين. ويلبس في البرد الشديد الشوبين الخفيفين [\(1\)](#).

ونقول:

أولاً: قد ذكروا: أن رجلا دخل على علي «عليه السلام» وهو يرعد

ص: 283

---

1- مسنن أحمد ج 1 ص 99 والسيرة الحلبية ج 3 ص 36 وسنن ابن ماجة {ط المكتبة التازية بمصر} ج 1 ص 56 والخصائص للنسائي {ط مكتبة التقدم بمصر} ص 5 والعقد الفريد {ط مكتبة الجمالية بمصر} ج 3 ص 94 وكفاية الطالب {ط الغري} ص 130 و تاريخ الخميس ج 2 ص 49 ومجمع الزوائد ج 9 ص 122 وتذكرة الخواص ص 25 والرياض النضرة {ط محمد أمين بمصر} ج 2 ص 188 والخصوص الكبرى ج 1 ص 252 و 253 والبحار ج 21 ص 4 و 20 و 29 عن الخرايج والجرایح، وعن الخصال ج 2 وعن دلائل النبوة للبيهقي والمیزان {تفسیر} ج 18 ص 296 و تاریخ مدینة دمشق ج 42 ص 106 و سبل الهدى و الرشاد ج 10 ص 214 و کنز العمال {ط مؤسسة الرسالة} ج 13 ص 121 عن ابن جریر، و البزار، و احمد، و ابن أبي شيبة، و الطیالسی، و المستدرک، و البيهقي، و غيرهم و المصنف لابن أبي شيبة ج 7 ص 497 و مناقب امير المؤمنین ج 2 ص 88 و 89 و مجمع البیان {ط سنة 1421 هـ} ج 9 ص 155.

تحت سمل قطيفة، {أي قطيفة خلقة} فقال: يا أمير المؤمنين، إن الله جعل لك في هذا المال نصيبا، وأنت تصنع بنفسك هكذا.

فقال: لا أرزؤكم من مالكم شيئا، وإنها لقطيفتي التي خرجت بها من المدينة [\(1\)](#).

قال الحلبي: «قد يقال: لا مخالفة، لأنه يجوز أن تكون رعدته رضي الله عنه ليست من البرد، خلاف ما ظنه السائل، لجواز أن تكون لحمى أصابته في ذلك الوقت» [\(2\)](#).

ويرد عليه:

أن هذا تأويل بارد، ورأي كاسد، بل فاسد؛ فإن ظاهر الكلام: أن رعدته قد كانت بسبب رقة ما يلبسه، وهو قطيفة خلقة {أي بالية} ، وأنه لو استفاد من نصيبه من المال، ولبس ما يدفع هذا البرد لم يكن ملوما. فما يجري له كان هو السبب فيه، وهو الذي أورده على نفسه.. وقد أصر «عليه السلام» على عدم المساس بالمال الذي تحت يده.

ص: 284

---

1- السيرة الحلية ج 3 ص 36 و حلية الأبرار ج 2 ص 246 وتاريخ مدينة دمشق ج 42 ص 477 وعن ينابيع المودة ج 2 ص 195 و البحار ج 40 ص 334 والتذكرة الحمدونية {ط بيروت} ص 69 و مختصر حياة الصحابة {ط دار الإيمان} ص 253 والأموال {ط دار الكتب العلمية} ص 284 و قمع الحرث بالزهد و القناعة ص 79 و صفة الصفوة {ط حيدر آباد الدكن} ج 1 ص 122 و حلية الأولياء ج 1 ص 82 وإحقاق الحق {الملاحقات} ج 8 ص 295 وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج 1 ص 284 وكشف الغمة للأريلي ج 1 ص 173.

2- السيرة الحلية ج 3 ص 36.

ولعلهم أرادوا في جملة ما أرادوه من هذا الحديث: أن يشككوا الناس بزهده «عليه السلام» في ملبيه، وأن يقولوا لهم: إن ذلك بسبب عدم شعوره بحر ولا برد.

ثانياً: إننا لا نجد أي ارتباط بين شكوى علي «عليه السلام» من الرمد، وبين الدعاء المنسوب للنبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» وهو: اللهم أذهب عنه الحر والبرد. فإنه «عليه السلام» لم يكن يشكو من حر ولا برد.

بل كانت شكواه من رمد عينيه، فهل هذا إلا من قبيل أن تقول لإنسان: إني عطشان، فيقول لك: نم على السرير؟!

ثالثاً: حتى لو كان قد دعا له بإذهاب البرد والحر عنه. فإنه لا يجب استمرار أثر ذلك حتى الممات، بل يكفي أن لا يشعر بالبرد والحر في ذلك اليوم، أو في أيام خير مثلها.

ويدل على ذلك: أنهم قد رروا عن بلال، قوله: أذنت في غداة باردة فخرج رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» فلم ير في المسجد أحدا، فقال: أين الناس يا بلال؟!

قال: منعهم البرد.

فقال: اللهم أذهب عنهم البرد.

قال بلال: فرأيتم يتروحون [\(1\)](#).

ص: 285

---

1- سبل الهدى والرشاد ج 10 ص 214 عن البيهقي، وأبي نعيم، والطبراني وجمع الزوائد للهيثمي ج 1 ص 318 وال الكامل لابن عدي ج 1 ص 346 والموضوعات لابن الجوزي ج 2 ص 93 وأسد الغابة ج 1 ص 209 وميزان الإعتدال ج 1 ص 289 ولسان الميزان لابن حجر ج 1 ص 482 والبداية والنهاية ج 6 ص 185.

فلم اذا لم يستمر ذهاب البرد عنهم إلى أن خرجن من الدنيا؟ كما يزعمونه بالنسبة لعلي «عليه السلام»؟ !

أم أن هذه هي القصة الواقعية، وقد استفید منها في قصة خير، لحاجة في أنفسهم؟ !

ص: 286





## علوتم و الذي أنزل التوراة:

وعن قول اليهودي لما سمع باسم علي «عليه السلام» : علوتم، و الذي أنزل التوراة على موسى، تقول:

إن أبا نعيم قال: «فيه دلالة على أن فتح علي لحصنهم مقدم في كتبهم، بتوجيهه من الله وجهه إليهم، ويكون فتح الله تعالى على يديه» .

و هي التفاته جليلة من أبي نعيم، و يؤيدتها:

أولاً: ما روي من أنه «صلى الله عليه و آله» قد قال لعلي «عليه السلام» : خذ الراية، و امض بها فجبرائيل معك، و النصر أمانك، و الربع مبشوّث في قلوب القوم. .

و اعلم يا علي، أنهم يجدون في كتابهم: أن الذي يدمر عليهم اسمه {إيليا} ، فإذا لقيتهم فقل: أنا علي.

فإنهم يخذلون إن شاء الله تعالى الخ. [\(1\)](#).

ثانياً: إن مرحبا نفسه قد هرب لما سمع باسم علي «عليه السلام» ، وكانت ظئره قد أخبرته: بأن اسم قاتله حيدرة.

ص: 289

---

1- البخاري ص 215 عن الإرشاد للمفيد ج 1 ص 126 و راجع: كتاب الأربعين للمماحوزي ص 295 وكشف الغمة للإربلي ج 1 ص

وقد زعموا: أنها قالت له ذلك: لأنها كانت تتعاطى الكهانة.

والجواب: إن كونها تتعاطى الكهانة لا يعطيها القدرة على معرفة الغيب الإلهي، فإنه تعالى وحده عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا، إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ .. (1).

ويشهد لذلك: أننا وجدنا في جملة الأقوال حول تسمية علي «عليه السلام» بحيدرة: أن اسمه في الكتب المتقدمة أسد، والأسد هو الحيدرة..

وسيأتي بعض الحديث عن ذلك، تحت عنوان: «من سمي علياً «عليه السلام» بحيدرة» إن شاء الله تعالى.

ولعل هناك من يريد اعتبار قول اليهودي: علوتم {أو غلبتم} والذى أنزل التوراة على موسى، قد جاء على سبيل التفؤل بالاسم..

ونحن وإن كنا لا نصر على بطلان هذا الاحتمال، باعتبار أن الذين يستند تعليقهم بالدنيا يتسبّبون ولو بالطحلب، ويحافظون حتى من هبوب الرياح، ويتشاءمون وينتفاعون بالخيالات والأشباح..

غير أننا نقول: إنه مع وجود الشواهد والمؤيدات لما ذكره أبو نعيم، لا يبقى مجال لترجيح الاحتمال الآخر..

ونزيد هنا: أن ما أكد لهم صحة ما ورد في كتبهم، هو ما تناهى إلى مسامعهم من مواقف علي «عليه السلام» التي تظهر أنه أهل لما أهله الله تعالى له، كما دلت عليه معالي أمره في الموضع المختلفة في الحرب، وفي

ص: 290

---

1- الآيات 26 و 27 من سورة الجن.

السلم على حد سواء، ومن ذلك مبيته «عليه السلام» على فراش النبي «صلى الله عليه وآله» ليلة الهجرة، وجهاده في بدر، وأحد، والخندق، وقريطة، والنضير، و.. و.. الخ..

### قتل علي عليه السلام مرحبا و الفرسان الثمانية:

قالوا: ثم خرج أهل الحصن إلى ساحة القتال.. أما رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فإنه لما أصبح أرسل إلى علي «عليه السلام» وهو أرمد، فنفل في عينيه. قال علي «عليه السلام»: فما رممت حتى الساعة. و دعا له، و من معه من أصحابه بالنصر.

فكان أول من خرج إليهم الحارث أبو زينب، أخو مرحبا في عادية {أي من يعدون للقتال على أرجلهم} -قال الحلبي: و كان معروفا بالشجاعة- فانكشف المسلمون، و ثبت علي «عليه السلام» ، فاضطربا ضربات، فقتله علي «عليه السلام» .

ورجع أصحاب الحارث إلى الحصن، وأغلقوا عليهم، ورجع المسلمون إلى موضعهم..

وخرج مرحبا و هو يقول:

قد علمت خيراً أني مرحباً..

فحمل عليه علي «عليه السلام» فقطره {أي ألقاه على أحد قطريه، أي جانبيه} على الباب، وفتح الباب، و كان للحصن بابان [\(1\)](#).

ص: 291

---

1- المغازى للواقدي ج 2 ص 653 و 654 و راجع: السيرة الحلبية ج 3 ص 34.

ورجع أصحاب الحارت إلى الحصن، وبرز عامر، وكان رجلا جسima طويلا، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله» حين بрез وطلع عامر: «أترونـه خمسة أذرع»؟ وهو يدعـو إلى البراز.

فخرج إليه علي بن أبي طالب «عليه السلام»، فضرـبه ضربات، كل ذلك لا يصنع شيئا، حتى ضرب ساقـيه فبرـك، ثم ذـفـف عليهـ، وأخذ سلاحـه.

قال ابن إسحـاق: ثم بـرـز يـاسـر و هو يـقـول:

قد عـلـمـتـ خـيـرـ أـنـيـ يـاسـرـشـاـكـيـ السـلاـحـ بـطـلـ مـغـاـوـرـ

إـذـ الـلـيـوـثـ أـقـبـلـتـ تـبـادـرـوـ أـحـجـمـتـ عـنـ صـوـلـةـ المـسـاـوـرـ

إنـ حـسـامـيـ فـيـهـ مـوـتـ حـاضـرـ

قال محمد بن عمر: و كان من أشدـأـهـمـ، و كان معـهـ حـربـةـ يـحـوسـ النـاسـ بـهـ حـوـساـ.

فـبـرـزـ لـهـ عـلـيـ بـنـ أـبـيـ طـالـبـ، فـقـالـ لـهـ الزـبـيرـ بـنـ العـوـامـ: أـقـسـمـتـ إـلـاـ خـلـيـتـ بـيـنـيـ وـ بـيـنـهـ، فـقـعـلـ.

فـقـالـتـ صـفـيـةـ لـمـاـ خـرـجـ إـلـيـهـ الزـبـيرـ: يـاـ رـسـوـلـ اللـهـ، يـقـتـلـ اـبـنـيـ؟

فـقـالـ رـسـوـلـ اللـهـ «صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـ آـلـهـ»: «بـلـ اـبـنـكـ يـقـتـلـهـ، إـنـ شـاءـ اللـهـ»، فـخـرـجـ إـلـيـهـ الزـبـيرـ وـ هـوـ يـقـوـلـ:

قد عـلـمـتـ خـيـرـ أـنـيـ زـبـارـقـمـ لـقـرـمـ غـيـرـ نـكـسـ فـرـارـ

ابـنـ حـمـةـ الـمـجـدـ، اـبـنـ الـأـخـيـارـ يـاسـرـ لـاـ يـغـرـرـكـ جـمـعـ الـكـفـارـ

فـجـمـعـهـمـ مـثـلـ السـرـابـ الـخـتـارـ

ثـمـ التـقـيـاـ فـقـتـلـهـ الزـبـيرـ.

قال ابن إسحاق: وذكر أن عليا هو الذي قتل ياسرا.

قال محمد بن عمر: وقال رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» للزبير لما قتل ياسرا: فداك عم و خال.

ثم قال: «لكل نبي حواري، و حواري الزبير و ابن عمتي» [\(1\)](#).

وفي حديث سلمة بن الأكوع عند مسلم، و البهقى: أن مرحبا خرج و هو يخطر بسيفه.

وفي حديث ابن بريدة، عن أبيه: خرج مرحبا و عليه مغفر معصفر يمانى، و حجر قد ثقبه مثل البيضة على رأسه، و هو يرتجز و يقول:

قد علمت خير أني مرحبا شاكى السلاح بطل مجريب

إذا الليوط أقبلت تلهب

قال سلمة: فبرز له عامر {أي عامر بن الأكوع} و هو يقول:

قد علمت خير أني عامر شاكى السلاح بطل مغامر

قال: فاختلافا ضربتين، فوقع سيف مرحبا في ترس عامر، فذهب عامر يسفل له، و كان سيفه فيه قصر، فرجع سيفه على نفسه، فقطع أكحله،  
وفي رواية: أصحاب عين ركبته، و كانت فيها نفسه.

قال بريدة: فبرز مرحبا و هو يقول:

قد علمت خير أني مرحبا شاكى السلاح بطل مجريب

إذا الليوط أقبلت تلهبوا أحجمت عن صولة المغلب

ص: 293

---

1- راجع: المغازى للواقدي ج 2 ص 657 و سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 125 و 126 و تاريخ الخميس ج 2 ص 51.

فبرز له علي بن أبي طالب «عليه السلام» ، وعليه جبة أرجوان حمراء قد أخرج خملها، وهو يقول:

أنا الذي سمتني أمي حيدرة كليث غابات كريه المنظرة

أوفيهم بالصاع كيل السندرة

فضرب مرحبا فقلق رأسه، و كان الفتح [\(1\)](#).

وفي نص آخر: أن عليا «عليه السلام» أجاب مرحبا بقوله:

أنا الذي سمتني أمي حيدرة كليث غابات كريه المنظرة

عبد الذراعين شديد القصورأضرب بالسيف وجوه الكفرة

ضرب غلام ماجد حزورأكيلكم بالسيف كيل السندرة [\(2\)](#)

وفي حديث بريدة، فاختلغا ضربتين، فبدره علي «عليه السلام» بضربة {بذي الفقار} فقد الحجر، والمعفر، ورأسه، وقع في الأضراس، وأخذ المدينة.

وفي نص آخر: سمع أهل العسكر صوت ضربته. وقام الناس مع علي

ص: 294

- 
- 1- صحيح مسلم ج 5 ص 195 و مسند أحمد ج 5 ص 333 و المستدرک للحاکم ج 3 ص 38 و تاریخ الامم و الملوك ج 3 ص 30 و مناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي {ط المکتبة الإسلامية بطهران} ص 176 ولباب التأویل ج 4 ص 182 و الریاض النصرة {ط محمد أمین بمصر} ج 1 ص 185 و 187 والبداية والنهاية ج 4 ص 185 فما بعدها و معالم التنزيل {ط مصر} ج 4 ص 156 و حیاة الحیوان ج 1 ص 237 و طبقات ابن سعد {مطبعة الثقافة الإسلامية} ج 3 ص 157 و ينایع المودة {ط بمی} ص 41 و المغازی للواقدی ج 2 ص 657 .
  - 2- تذكرة الخواص ص 26

حتى أخذ المدينة [\(1\)](#).

وفي نص آخر: ضربه على هامته حتى عض السيف منها بأضراسه، وسمع أهل العسكر صوت ضربته.

قال: و ما تناط آخر الناس مع علي «عليه السلام» حتى فتح لأولهم [\(2\)](#).

وفي نص آخر: «فخرج يهرون هرولة، فو الله ما بلغت أخراهم حتى دخل الحصن.

قال جابر: فأعجلنا أن نلبس أسلحتنا.

وصاح سعد: اربع يلحق بك الناس.

فأقبل حتى ركزها قريبا من الحصن الخ. [\(3\)](#).

ص: 295

---

1- سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 126 و 125 و راجع: السيرة الحلبية ج 3 ص 32 و 37 و 38 و مسند أحمد ج 5 ص 358 و تاريخ الأمم والملوك ج 3 ص 30 و البداية والنهاية ج 4 ص 185 فما بعدها، ولباب التأويل ج 4 ص 182 و 183 و معارج النبوة ص 219 و الإصابة ج 2 ص 502 والكامل في التاريخ ج 2 ص 220 والمستدرك للحاكم ج 3 ص 437 و معالم التنزيل ج 4 ص 156 و تاريخ الخميس ج 2 ص 50 و راجع بعض ما تقدم في: إمتناع الأسماء ص 315 و 316.

2- مسند أحمد ج 5 ص 358 و تاريخ الأمم والملوك ج 3 ص 30 و المستدرك للحاكم ج 3 ص 437 و راجع: العمدة لابن البطريرق ص 141 و مجمع الزوائد ج 6 ص 15 و السنن الكبرى ج 5 ص 110 و 178 و تاريخ مدينة دمشق ج 42 ص 95 و عن الإصابة ج 4 ص 466 و عن تاريخ الأمم والملوك ج 2 ص 300 و فضائل الصحابة لابن حنبل ج 2 ص 604.

3- البحار ج 21 ص 22 عن إعلام الورى ج 1 ص 208 وفي هامشه قال: انظر الإرشاد للمفید ج 1 ص 125 و الخرائج و الجرائح ج 1 ص 159 و المغازى للواقدي.

وفي بعض النصوص: «أن مرحباً لما رأى أن أخيه قد قتل خرج سريعاً من الحصن في سلاحه، أي وقد كان ليس درعين، وقلد بسيفين، واعتم بعمامتين، ولبس فوقهما مغفراً، وحبراً قد ثقبه قدر البيضة، ومعه رمح لسانه ثلاثة أسنان، وذكر أن ياسراً خرج بعد مرحباً»<sup>(1)</sup>.  
ولم يكن بخبير أشجع من مرحباً ولم يقدر أحد من أهل الإسلام أن يقاومه في الحرب<sup>(2)</sup>.

وزعموا: أن محمد بن مسلمة قتل أسيراً أيضاً<sup>(3)</sup>.

وعن عليٍّ «عليه السلام» قال: لما قتلت مرحباً، جئت برأسه إلى رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ»<sup>(4)</sup>.

قال الديار بكري: قيل هذا-أي قتل عليٍّ مرحباً-هو الصحيح، وما نظمه بعض الشعراء يؤيده، وهو:

علي حمى الإسلام من قتل مرحباً دعاه بالحسام المضخم

وفي رواية قتله محمد بن مسلمة<sup>(5)</sup>.

ص: 296

---

1- السيرة الحلية ج 3 ص 37 و 38 و راجع: تاريخ الخميس ج 2 ص 50.

2- تاريخ الخميس ج 2 ص 50.

3- إمتناع الأسماع ص 315.

4- سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 127 و مسنند أحمد ج 1 ص 111 و تذكرة الخواص ص 26 و عن البداية والنهاية ج 4 ص 185 فما بعدها، و مجمع الزوائد للهيثمي ج 6 ص 152 و السيرة النبوية لابن كثير ج 3 ص 357.

5- تاريخ الخميس ج 2 ص 50 و راجع: مناقب آل أبي طالب ج 1 ص 5 عن جماعة من السفاف والمعاندين ادعوا: أن مرحباً قتله محمد بن مسلمة، و ادعوا، و ادعوا.

وسيأتي الكلام حول ذلك، وأنه مكذوب و مختلف.

ولنا مع هذه النصوص وقفات عديدة، نكتفي منها بما يلي:

### قطع رأس مرحباً لماذا؟ !

بالنسبة لما روي من أن علياً «عليه السلام» قد قطع رأس مرحباً، وجاء به إلى رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» ، تقول:

أولاً: هو أمر لم نعهد منه «عليه السلام» في مختلف مواقفه الجهادية..

وثانياً: إننا لا نرى مبرراً لتصرف كهذا. فإن النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» وكذلك على «عليه السلام» لم يكونا ممن يرغب في التشفى من الأشخاص، لا في حياة أولئك الأشخاص، ولا بعد مماتهم، بل كانوا يريدان دفع الفساد، وإقامة الدين.

ثالثاً: إنه إذا كان «عليه السلام» قد شق رأس مرحباً و جسده نصفين حتى بلغ السرج [\(1\)](#)، كما ذكرته بعض الروايات؛ فإن قطع الرأس في هذه الحال يصبح بمثابة جمع أشلاء، وحمل قطع ذات منظر مثير، وهو أمر لا يليق فعله بالإنسان العادي، فكيف بأنبل الناس، وأشرفهم، وأكرمهم؟ !

### صفية تدخل لمصلحة ولدها:

وأما قصة الزبير، وأن أمه قد خافت عليه، حين بрез لذلك اليهودي. فنحن نشك في صحتها. وذلك لما يلي:

أولاً: إنهم يقولون: إن هذه القضية قد حصلت في بني قريظة، حيث

ص: 297

برز أحد الأعداء، فقال النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» للزبير: قم يا زبير.

فقالت أمه صفية: واحدٍ يا رسول الله.

فقال «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» أيهما علا صاحبه قتلـه، فعلاه الزبير فقتلهـ. فنـفـلهـ رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» سـلـبـهـ وقال: السـلـبـ لـلـقـاتـلـ .  
[\(1\)](#)

ثم نجد الحلبي يشكك في هذه القضية أيضاً، فيقول: فليتأملـ، فإـنـيـ لمـ أـقـفـ فـيـ كـلـامـ أحـدـ عـلـىـ أـنـ بـنـيـ قـرـيـظـةـ وـقـعـتـ مـنـهـمـ مـقـاتـلـةـ بـالـمـبـارـزـةـ  
[\(2\)](#)

فـأـيـ ذـلـكـ هـوـ الصـحـيـحـ؟ـ !ـ .

ثـانـيـاـ:ـ قـولـهـمـ:ـ إـنـهـ «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ»ـ قـدـ قـالـ لـلـزـبـيرـ حـينـ قـتـلـ يـاسـرـاـ:ـ فـدـاكـ عـمـ،ـ وـخـالـ.ـ يـشـيرـ أـمـامـنـاـ سـؤـالـاـ عـنـ السـبـبـ فـيـ اـخـتـيـارـ تـقـدـيـتـهـ بـالـعـمـ وـالـخـالـ،ـ دـوـنـ الـأـبـ وـالـأـمـ كـمـاـ هـوـ الـمـعـتـادـ،ـ وـمـنـ هـوـ الـعـمـ الـمـقـصـودـ بـالـتـقـدـيـةـ؟ـ !ـ فـهـلـ أـرـادـ أـنـ يـفـدـيـهـ بـعـمـهـ الـمـشـرـكـ أـبـيـ لـهـبـ،ـ أـوـ بـعـمـهـ الـآـخـرـ أـبـيـ طـالـبـ،ـ الـذـيـ يـزـعـمـونـ أـنـ مـاتـ مـشـرـكـاـ يـأـضـاـ؟ـ !ـ مـعـ أـنـ دـعـواـمـ الـثـانـيـةـ فـيـ أـبـيـ طـالـبـ مـحـضـ اـفـتـرـاءـ وـبـهـتـانـ،ـ كـمـ أـثـبـتـاهـ فـيـ كـتـابـنـاـ:ـ «ـظـلـامـةـ أـبـيـ طـالـبـ عـلـيـهـ السـلـامـ»ـ .

وـمـنـ هـوـ الـخـالـ الـذـيـ يـقـصـدـوـنـهـ؟ـ وـهـلـ كـانـ مـسـلـمـاـ أـمـ مـشـرـكـاـ؟ـ !ـ

وـلـمـاـذـاـ تـرـكـ «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ»ـ تـقـدـيـةـ الـزـبـيرـ بـأـبـويـهـ،ـ مـعـ أـنـهـمـ يـزـعـمـونـ أـنـهـ كـانـ قـدـ فـدـاهـ بـهـمـاـ فـيـ أـحـدـ،ـ وـفـيـ بـنـيـ قـرـيـظـةـ  
[\(3\)](#).

صـ:ـ 298ـ

- 
- 1ــ السـيـرـةـ الـحلـبـيـةـ جـ 3ـ صـ 38ـ عنـ الزـمـخـشـريـ وـالـمـغـازـيـ لـلـوـاقـدـيـ جـ 2ـ صـ 504ـ .
  - 2ــ السـيـرـةـ الـحلـبـيـةـ جـ 3ـ صـ 38ـ وـالـمـغـازـيـ لـلـوـاقـدـيـ جـ 2ـ صـ 505ـ .
  - 3ــ الـمـوـاهـبـ الـلـدـنـيـةـ جـ 1ـ صـ 112ـ وـالـسـيـرـةـ الـحلـبـيـةـ جـ 2ـ صـ 327ـ وـرـاجـعـ صـ 328ـ كـلـاـهـمـاـ عـنـ الشـيـخـيـنـ.ـ وـقـالـ التـرـمـذـيـ:ـ حـدـيـثـ حـسـنـ.ـ وـالـتـارـيـخـ الـكـبـيرـ لـلـبـخـارـيـ جـ 6ـ صـ 13ـ .

قال ابن عبد البر: ثبت عن الربيّر أنه قال: جمع لي رسول الله «صلى الله عليه وآلـه» أبويه مرتين: يوم أحد، ويوم بنـي قريطة.

فقال: ارم فداك أبي وأمي [\(1\)](#).

ورغم: أنـهم يقولون هذا، فإنـهم ينكرونـه في موضع آخر فيقولـون أيضـاً: إنه «صلـى الله عـلـيـه وآلـه» لم يـجـمـعـ أبوـيه لأـحد إـلا لـسعـدـ بنـ أبي وـقـاصـ [\(2\)](#).

ثالثـاً: زـعمـوا: أنه «صلـى الله عـلـيـه وآلـه» قد قال للـزـبـيرـ حينـ قـتـلـ يـاسـراـ: «لـكـلـ نـبـيـ حـوارـيـ، وـحـوارـيـ الـزـبـيرـ وـابـنـ عـمـتيـ» .

معـ أنـهمـ يـقـولـونـ: إنـ النـبـيـ «صلـى الله عـلـيـه وآلـه» قالـ لهـ ذـلـكـ، حـينـ جاءـهـ بـخـبرـ بـنـيـ قـريـطـةـ [\(3\)](#).

فـأـيـهـماـ هوـ الصـحـيـحـ؟ـ وـإـنـ كـنـاـ نـعـتـقـدـ بـعـدـ صـحـةـ أـيـ منـهـمـ أـيـضاـ.

فقد ذـكـرـناـ فـيـ غـزـوـةـ بـنـيـ قـريـطـةـ: أـنـ النـبـيـ «صلـى الله عـلـيـه وآلـه» إـنـماـ اـسـتـخـبـرـ عـنـ أـمـرـ بـنـيـ قـريـطـةـ بـوـاسـطـةـ سـعـدـ بـنـ مـعـاذـ، وـسـعـدـ بـنـ عـبـادـةـ، فـلـمـ

(3) وـقـولـ الزـبـيرـ الـأـخـيـرـ: مـوـجـودـ فـيـ السـيـرـةـ النـبـوـيـةـ لـدـحـلـانـ جـ 2ـ صـ 5ـ وـ 10ـ وـ كـذـاـ فـيـ سـبـيلـ الـهـدـىـ وـالـرـشـادـ جـ 4ـ صـ 562ـ لـكـنـهـ لـمـ يـصـرـحـ بـنـيـ قـريـطـةـ.ـ وـحـدـائقـ الـأـنـوـارـ جـ 2ـ صـ 590ـ عـنـ الصـحـيـحـيـنـ، وـلـيـسـ فـيـهـمـاـ تـصـرـيـحـ بـنـيـ قـريـطـةـ أـيـضاـ.ـ وـفـيـهـ:ـ أـنـهـ لـمـ قـالـ لـهـ الـزـبـيرـ:ـ أـنـاـ،ـ قـالـ:ـ إـنـ لـكـلـ نـبـيـ حـوارـيـ،ـ وـإـنـ حـوارـيـ الـزـبـيرـ.ـ وـرـاجـعـ:ـ صـحـيـحـ الـبـخـارـيـ كـتـابـ أـصـحـابـ النـبـيـ «صلـى الله عـلـيـه وآلـه» ،ـ بـابـ مـنـاقـبـ الـزـبـيرـ.

صـ: 299

---

1- السـيـرـةـ الـحـلـبـيـةـ جـ 2ـ صـ 217ـ وـ 229ـ .

2- السـيـرـهـ الـحـلـبـيـةـ جـ 2ـ صـ 229ـ وـ شـرـحـ مـسـلـمـ لـلنـوـويـ جـ 15ـ صـ 184ـ .

3- المـغـازـيـ جـ 2ـ صـ 457ـ وـ إـمـتـاعـ الـأـسـمـاعـ جـ 1ـ صـ 227ـ وـ السـيـرـةـ الـحـلـبـيـةـ جـ 2ـ صـ 217ـ .

يكن هناك حاجة لإرسال الزبیر.

رابعاً: صرحت بعض الروايات: بأن الزبیر كان أيضاً قد طلب الراية يوم خیبر، وأنه كان قد فرّ بها، وأنه «صلی اللہ علیہ وآلہ» لم يعطه إياها بل قال «صلی اللہ علیہ وآلہ» : و الذي كرم اللہ وجه محمد لاعطین الراية رجلا لا يفر، هاک يا علي [\(1\)](#).

وسيأتي بعض الحديث عن ذلك إن شاء اللہ تعالیٰ .

### الزبیر حواری رسول اللہ صلی اللہ علیہ وآلہ:

وأما الحديث الذي يقول: لكلنبي حواري، وإن حواريي الزبیر، وابن عمتي .

فلا شك: في أنه مكذوب على الرسول «صلی اللہ علیہ وآلہ» .

### ويكفي أن نذكر شاهداً على ذلك:

أولاً: روى الكشي بسنده عن أسباط بن سالم، عن الإمام الكاظم «عليه السلام» أنه قال: إذا كان يوم القيمة نادى مناد: أين حواريي محمد بن عبد اللہ «صلی اللہ علیہ وآلہ» ، الذين لم ينقضوا العهد، ومضوا عليه؟ !

ص: 300

---

1- مجمع الزوائد ج 9 ص 124 وراجع: شرح الأخبار ج 1 ص 321 و العمدة ص 140 و 143 و فضائل الصحابة ج 2 ص 617 ح 1054 و ص 583 ح 987 و ذخائر العقبى ص 73 عن مسنـد أـحمد ج 3 ص 16 و مـسنـد أـبي يـعلى ج 2 ص 500 و تـارـيخ مدـنـة دـمـشـق ج 42 ص 104 و 105 و الـبـدـاـيـة و النـهـاـيـة ج 4 ص 212 و نـهـج الإـيمـان لـابـن جـبـرـ ص 317 و السـيـرـة النـبـوـيـة لـابـن كـثـيرـ ج 3 ص 352 و يـنـايـعـ المـودـةـ ص 164 و مـصـادـرـ أـخـرىـ تـقـدـمـتـ.

فيقوم سلمان، والمقداد، وأبو ذر.

ثم ينادي مناد: أين حوارييّ علي بن أبي طالب «عليه السلام» الخ. . .<sup>(1)</sup>.

ثانياً: ما معنى و ما فائدة قوله في الحديث المزعوم: و ابن عمتي؟ ! فهل لم يكن الناس يعلمون: أن الزبير كان ابن عمّة رسول الله «صلى الله عليه و آله»؟ !

و ما فائدة كونه كذلك، إذا كان سوف يخالف أمره «صلى الله عليه و آله» ، ويخرج على أخيه و وصيه، و ابن عمه علي بن أبي طالب «عليه السلام»؟ ! . وسيخرج زوجته «صلى الله عليه و آله» من خدرها، ويسير بها في البلاد لتعيينه على حرب علي «عليه السلام».. .

لقد كان ابن نوح أقرب إلى نوح من أي إنسان آخر، ولكن ذلك لم ينفعه، حين آثر الكفر على الإيمان والخيانة على الأمانة. .

ولقد كان أبو لهب أقرب الناس إلى رسول الله «صلى الله عليه و آله» من الزبير، ولكن ذلك لم ينفعه أيضاً، حين اختار أن يحارب الله و رسوله. .

ص: 301

---

1-سفينة البحار ج 2 ص 194 عن رجال الكشي، والبحار ج 34 ص 275 وج 22 ص 342 والإختصاص {ط النجف} ص 55 و روضة الوعاظين {ط سنة 1386 هـ} ص 282 وراجع: شجرة طوبى ج 1 ص 78 و مستدرك سفينة البحار ج 2 ص 465 و تفسير نور الثقلين ج 5 ص 210 و اختيار معرفة الرجال ج 1 ص 41 و جامع الرواية للأردبيلي ج 1 ص 110 و 545 و الدرجات الرفيعة ص 432 و طرائف المقال ج 2 ص 340 و 593 و معجم رجال الحديث ج 4 ص 156 وج 9 ص 197 وج 20 ص 109 و تهذيب المقال ج 4 ص 200 و الشيعة في أحاديث الفريقيين ص 518.

بل إن قربته هذه سوف تزيد من عذابه في نار جهنم، لأنه يكون بها أشد إساءة إلى الرسول «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ»، وإلى دين الله تعالى، حيث ستكون سبباً في صدود الناس عنه «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» وعن الدين الذي جاء به.

كما أن هذه القرابة القريبة أكدت في إقامة الحجّة عليه، بسبب شدة قربه من الرسول «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ»، وأطلاعه على أحواله، وعلى صدقه وصحة ما جاء به..

ثالثاً: من أين لنا، وكيف يمكن إثبات أن لكلنبي حوارياً؟ فإن القرآن قد صرّح: بأن عيسى «عَلَيْهِ السَّلَامُ» هو الذي كان له حواريون، كما أن الروايات تقول: إن للنبي الأعظم «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» أيضاً حواريين..

ولم نجد مثل ذلك لسائر الأنبياء «عَلَيْهِمُ السَّلَامُ»، سواءً كانوا من أولي العزم، أم من غيرهم.

رابعاً: بماذا استحق الزبير أن يكون حواري رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» دون سائر الصحابة، ممن كانوا أقرب إليه «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» منه بمراتب؟!

خامساً: روى هشام بن زيد، عن أنس، قال: سألت النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» : من حواريك يا رسول الله؟

فقال: الأئمة بعدي اثني عشر، من صلب علي وفاطمة «عَلَيْهِمَا السَّلَامُ» .

وهم حواريون، وأنصار ديني [\(1\)](#).

ص: 302

---

1- البحار ج 36 ص 271 و مناقب آل أبي طالب ج 1 ص 213 و راجع: كفاية الأثر ص 69.

وفي نص آخر: عن أبي المفضل، عن رجاء بن يحيى العبر تائي الكاتب، عن محمد بن خلاد الباهلي، عن معاذ بن معاذ، عن ابن عون، عن هشام بن زيد، عن أنس بن مالك، قال:

سألت رسول الله «صلى الله عليه وآله» عن حواري عيسى «عليه السلام» ، فقال: كانوا من صفوته و خيرته، و كانوا اثني عشر، مجردين، مكمشين في نصرة الله و رسوله، لا زهو فيهم، ولا ضعف، ولا شك، كانوا ينصرونه على بصيرة و نفاذ، و جد و عناء.

قلت: فمن حواريك يا رسول الله؟

قال: الأئمة من بعدي اثنا عشر، من صلب علي و فاطمة، هم حواري، و أنصار ديني عليهم من الله التحية و السلام [\(1\)](#).

### لماذا تعظيم الزبير؟ !

من الواضح: أن سياسة هؤلاء تقضي بتعظيم كل من ناوا على بن أبي طالب «عليه السلام» و حاريه، فمن الطبيعي إذا أن نجدهم يهتمون بمنح الزبير الأوسمة و أن ينحلوه الكثير من البطولات التي لا يستحقها، بل من الطبيعي أن يختلسوا موقف أمير المؤمنين «عليه السلام» و يمنحوها لأعدائه الذين أحبوه لبغضهم علينا «عليه السلام» ، و الزبير- كما هو معلوم-قاد جيشا و حارب علينا «عليه السلام» و تسبب بقتل الآلاف من المسلمين و المؤمنين، ولكن الدائرة قد دارت عليه حتى قتل و هو منهزم كما دلت عليه

ص: 303

---

1- البحار ج 36 ص 309 و كفاية الأثر ص 10.

وأما بشارته «عليه السلام» لابن جرموز-قاتل الزبير-بالنار، فإنما هي إخبار بالغيب عما سيؤول إليه أمر ابن جرموز من المروق من الدين، وصيروفته خارجياً، وليس لأجل أن الزبير قد تاب وانصرف عن الحرب. ولو كان لأجل ذلك لكان أفاده به، ولما طلّ دمه.

وإنما قلنا: إنه قتل وهو منهزم، استناداً إلى نصوص كثيرة، نذكر منها ما يلي:

1- إنه حينما ذكر علي «عليه السلام» الزبير يقول رسول «صلى الله عليه وآله» له: «أما إنك ستحاربه، وأنت ظالم له» .

رجع الزبير إلى صفوفه، واتهمه ولده عبد الله بالجبن وقال له:

ما أراك إلا جبنت عن سيفبني عبد المطلب، إنها لسيوف حداد، تحملها فتية أنجاد.

فقال الزبير: وبilk، أتهيجمي على حربه؟! أما إني قد حلفت ألا أحاربه.

قال: كفر عن يمينك، لا تتحدث نساء قريش أنك جبنت، وما كنت جبنا.

فقال الزبير: غلامي مكحول حر كفارة عن يميني.

ثم أصل سنان رمحه، وحمل على عسكر علي «عليه السلام» برمح لا سنان له.

فقال علي «عليه السلام» : أفرجوا له، فإنه محرج.

ثم عاد إلى أصحابه، ثم حمل ثانية، ثم ثالثة.

ثم قال لابنه: أجبنا-وبilk-ترى؟ !

قال: لقد أذرت [\(1\)](#).

2- وقد قال همام الثقفي:

أيْتَ مَكْحُولًا وَ يَعْصِي نَبِيَّهُ لَقَدْ تَاهَ عَنْ قَصْدِ الْهَدِيِّ ثُمَّ عَوَقَ

أَيْنَوْيَ بِهَذَا الصَّدْقِ وَ الْبَرِّ وَ التَّقْسِيْعَلِمَ يَوْمًا مِنْ يَبِرِّ وَ يَصِدْقِ [\(2\)](#)

3- وقد قال النجاشي الشاعر، في رثائه لعمرو بن محسن الأنباري:

وَنَحْنُ تَرَكَنَا عِنْدَ مُخْتَلِفِ الْقَنَاؤَخَاكُمْ عَبِيدُ اللَّهِ لِحَمَّا مَلِحَّبَا

بِصَفَيْنِ لَمَا ارْفَضَ عَنْهُ رِجَالَكُمْ وَجْهَ ابْنِ عَتَابٍ تَرَكَنَاهُ مَلْغَبَا

وَ طَلْحَةً مِنْ بَعْدِ الزَّبِيرِ، وَلَمْ نَدْعُ عَلَيْنَاهُ فِي الْهَيْجَاجِ عَرِيفًا وَ مَنْكِبَا [\(3\)](#)

4- وروى البلاذري: أن ابن الزبير لما جَبَّنَ أباه وعيّره، قال له: حلفت ألا أقاتلها.

قال: فكفر عن يمينك.

فأعتقد غلاما له يقال له: سرجس. وقام في الصف بينهم [\(4\)](#).

ص: 305

1- شرح النهج للمعتزلي {تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم} ج 1 ص 234 وراجع: تلخيص الشافعي ج 4 ص 150 و 141 و 142 و 143 و الفصول المختارة ص 106 و تاريخ الأمم والملوک {ط دار المعرف بمصر} ج 4 ص 502 و الكامل في التاريخ ج 3 ص 240 و 261 و تذكرة الخواص ص 71 والبحار ج 32 ص 205.

2- البحار ج 32 ص 205.

3- شرح النهج للمعتزلي {ط سنة 1964 م} ج 2 ص 819.

4- تلخيص الشافعي ج 4 ص 143 و شرح النهج للمعتزلي ج 2 ص 167 و تاريخ الأمم والملوک {ط دار المعرف بمصر} ج 4 ص 509 و أنساب الأشراف {بتاريخي المحمودي} ج 2 ص 254.

5-وقال عبد الرحمن بن سليمان:

لم أر كال يوم أخا إخوانأعجب من مكفر الأيمان

بالعتق في معصية الرحمن

6-وقال رجل من شعرائهم:

يعتق مكحولا لصون دينه كفارة لله عن يمينه

والنكت قد لاح على جبينه [\(1\)](#)

7-وكتب «عليه السلام» إلى أهل الكوفة يخبرهم بالفتح، ويقول:

«فقتل طلحة والزبير. وقد تقدمت إليهما بالمعذرة، وأبلغت إليهما بالنصيحة، واستشهادت عليهما صلحاء الأمة، فما أطاعوا المرشدين، و  
لا أجابوا الناصحين الخ.. [\(2\)](#)».

8-ومن سليم في حديث قال: ونشب القتال، فقتل طلحة، وانهزم الزبير [\(3\)](#).

9-ومن الحسن قال: إن عليا «عليه السلام» لما هزم طلحة والزبير أقبل الناس مهزومين فمروا بأمرأة حامل الخ.. [\(4\)](#).

10-وذكر الحاكم: أن عليا «عليه السلام» نادى في الناس: أن لا

ص: 306

---

1- تلخيص الشافعي ج 4 ص 142 و تاريخ الأمم والملوك { ط دار المعرف بمصر } ج 4 ص 502 وتذكرة الخواص ص 71.

2- تلخيص الشافعي ج 4 ص 136.

3- البحار ج 32 ص 217.

4- البحار ج 32 ص 214.

ترموا أحداً بسهم ولا تطعنوا برمح، ولا تضرروا بسيف، ولا تطلبوا القوم . إلى أن قال:

ثم الزبير قال لأساورة كانوا معه: ارمونهم برشق. وكأنه أراد أن ينشب القتال.

فلما نظر أصحابه إلى الانتساب لم ينتظروا، وحملوا.

فهزّ مهمن الله، ورمي مروان طلحة الخ. .[\(1\)](#).

وهذا يدل: على أن الواقعة الفاصلة قد حصلت بفعل الزبير نفسه وحضوره، وأن الهزيمة وقعت عليه وعلى أصحابه.

11- وذكر الطبرى: أنه «لما انهزم الناس في صدر النهار نادى الزبير: أنا الزبير، هلموا إليّ أيها الناس، و معه مولى له ينادي: أعن حواري رسول الله «صلى الله عليه و آله» تهزّمون؟ ! .

و انصرف الزبير نحو وادي السباع». [\(2\)](#)

12- وذكر أيضًا: أن كعب بن سور أقبل إلى عائشة، فقال: أدركى، فقد أبى القوم إلا القتال، فركبت، وألبسوا هودجها الأدراع، ثم بعثوا جملها، فلما بزرت من البيوت وقفت واقتتل الناس، وقاتل الزبير، فحمل عليه عمار بن ياسر، فجعل يحوزه بالرمح والزبير كاف عنه، ويقول: أقتلني، يا أبا اليقطان؟

فيقول: لا، يا أبا عبد الله.

ص: 307

---

1- مستدرك الحاكم ج 3 ص 371.

2- تاريخ الأمم والملوك { ط دار المعرف بمصر } ج 4 ص 512.

وإنما كف عنه الزبير لقول رسول الله «صلى الله عليه وآله» : تقتل عمرا الفئة الباغية. ولو لا ذلك لقتله.

وبينما عائشة واقفة إذ سمعت ضجة شديدة . فقالت: ما هذا؟

قالوا: ضجة العسكر.

قالت: بخير أو بشر؟

قالوا: بشر.

فما فجأها إلا الهزيمة.

فمضى الزبير من سننه في وجهه، فسلك وادي السباع، و جاء طلحة سهم غرب الخ. .[\(1\)](#).

أضاف ابن الأثير قوله عن الزبير: وإنما فارق المعركة، لأنَّه قاتل تعذيراً لما ذكر علي «عليه السلام»[\(2\)](#).

13- ونص آخر يقول: «لما انهزم الناس يوم الجمل عن طلحة والزبير، مضى الزبير حتى مرّ بمعسكر الأحنف الخ. .[\(3\)](#).

14- وعن محمد بن إبراهيم قال: «هرب الزبير على فرس له، يدعى بذى الخمار، حتى وقع بسفوان، فمر بعد الله بن سعيد المجاشعي الخ. ».[\(4\)](#)

15- وفي نص آخر: «هرب الزبير إلى المدينة، حتى أتى وادي السباع

ص: 308

---

1- راجع: الكامل في التاريخ ج 3 ص 243 وراجع ص 262 وتاريخ الأمم والملوك ج 4 ص 507.

2- الكامل ج 3 ص 243.

3- تاريخ الأمم والملوك ج 4 ص 534.

4- الجمل ص 387.

16- وعن أبي مخنف وغيره: مضى الزبير حين هزم الناس يريد المدينة، حتى مر بالأحنف أو قريباً منه الخ. .<sup>(2)</sup>

17- ولعل ما ذكره البلاذري إذا ضممناه إلى ما تقدم يصلح بياناً لحقيقة ما جرى.

فقد روى عن قتادة، قال: لما اقتتلوا يوم الجمل كانت الدبرة على أصحاب الجمل، فأفضى على إلى الناحية التي فيها الزبير، فلما واجهه قال له: يا أبا عبد الله، أنقاتلني بعد بيعتي وبعد ما سمعت من رسول الله في قتالك لي ظالم؟ !

فاستحيا وانسل على فرسه منصراً إلى المدينة، فلما صار بسفوان لقيه رجل من مجاشع يقال له: النعر بن زمام، فقال له: أجرني.

قال النعر: أنت في جواري يا حواري رسول الله.

فقال الأحنف: واعجباً! الزبير لفَّ بين غارين {أي جيشين} من المسلمين، ثم قد نجا بنفسه الخ. .<sup>(3)</sup>

فالمراد بانصراف الزبير هو انصراف الهزيمة، لا انصراف التربة كما هو ظاهر هذا النص إذ لو كان قد انصرف عن القتال على سبيل التربة، لما احتاج إلى من يجيره.

ص: 309

---

1- الجمل ص 390

2- أنساب الأشراف {بتحقيق المحمودي} ج 2 ص 254.

3- المصدر السابق ج 2 ص 258.

وقد صرحت سائر النصوص التي ذكرناها آنفاً بهذه الهزيمة.

### صيغة أخرى لما جرى في خير:

قد تقدم: أن النبي «صلى الله عليه وآله» ، قال لعلي «عليه السلام» قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله .

ولكن نصا آخر ذكر تفصيلاً لهذه الوصية يحتاج إلى الكثير من الدراسة والتأمل، فإنه «صلى الله عليه وآله» حين دفع إليه الراية قال له: «سر في المسلمين إلى باب الحصن، وادعهم إلى إحدى ثلات خصال: إما أن يدخلوا في الإسلام، ولهم ما للمسلمين، وعليهم ما عليهم، وأموالهم لهم .

وإما أن يذعنوا للجزية والصلح، ولهم الذمة، وأموالهم لهم .

وإما الحرب.

فإن اختاروا الحرب فحاربهم.

فأخذها وسار بها المسلمين خلفه، حتى وافق باب الحصن، فاستقبله حمامة اليهود، وفي أولهم مرحباً يهدى كما يهدى البعير.

فدعاهم إلى الإسلام فأبوا، ثم دعاهم إلى الذمة فأبوا، فحمل عليهم أمير المؤمنين «عليه السلام» فانهزموا بين يديه ودخلوا الحصن وردوا بابه، وكان الباب حبراً منقوشاً في صخر، والباب من الحجر في ذلك الصخر المنقوش كأنه حجر رحى، وفي وسطه ثقب لطيف، فرمى أمير المؤمنين «عليه السلام» بقوسه من يده اليسرى، وجعل يده اليسرى في ذلك الثقب الذي في وسط الحجر دون اليمني، لأن السيف كان في يده اليمني، ثم جذبه إليه

فانهار الصخر المنقول، وصار الباب في يده اليسرى.

فحملت عليه اليهود، فجعل ذلك ترسا له، وحمل عليهم فضرب مرحبا فقتله، وانهزم اليهود من بين يديه؛ فرمى عند ذلك الحجر بيده اليسرى إلى خلفه، فمر الحجر الذي هو الباب على رؤس الناس من المسلمين إلى أن وقع في آخر العسكر.

قال المسلمون: فذرعنا المسافة التي مضى فيها الباب فكانت أربعين ذراعا، ثم اجتمعنا على الباب لنرفعه من الأرض وكنا أربعين رجلا حتى تهيأ لنا أن نرفعه قليلا من الأرض»<sup>(1)</sup>.

ونقول:

### إنا نذكر القارئ بالأمور التالية:

1- إن من ينقض العهود، ويخونن المواثيق إنما يعامله الناس بحزم وبقسوة، ولا يعطونه أية فرصة للاختيار، أما إذا تكررت تلك الخيانات، وظهر تصميمه على ممارسة العدوان في أية فرصة تسنح له، فلا يتربدون في سحقه، وتدمره، واقتلاعه من جذوره..

ولكن نبينا الأعظم «صلى الله عليه وآله»، لم يعامل اليهود بهذه الروحية، بل عاملهم بالعفو والتسامح، وبالصعي لمجرد إبطال كيدهم، ودفع شرهم. رغم تكرر خياناتهم له، وإصرارهم على نقض العهود، وإعلانهم الحرب عليه.

ص: 311

---

1- البحار ج 21 ص 29 والخرايج والجريح ج 1 ص 161 وراجع: إحقاق الحق ج 5 ص 368.

فها هو يقدم لهم خيارات تمنحهم الحياة، و تعفيهم من العقوبة، بل إن بعض تلك الخيارات يمنحهم حصانة، و حقوقا، تساویهم مع سائر من هم معه «صلى الله عليه و آله» ..

إنه يقول لهم: إن أسلموا حقنوا دماءهم، و احرزوا أموالهم، و لهم ما لل المسلمين، و عليهم ما عليهم.

و إن لم يفعلوا ذلك.. فإنه أيضا لا ينظر إليهم نظرة العدو و المحارب، بل هو يعطيهم فرصة أخرى للعيش بأمن و سلام، و تكون أموالهم لهم، و لهم ذمة المسلمين.

2- إن اقتلاع باب خير كان كافيا لإقناع اليهود بعدم جدو الحرب، و بأن رسول الله «صلى الله عليه و آله» ، و وصيه، و أولياءه مؤيدون من الله.. و كان كافيا لأن تستسلم قلوبهم لنداء الضمير و الوجدان، و يعلنو إيمانهم و إسلامهم.

ولكن ذلك لم يكن، بل عكسه هو الذي كان، فقد حملوا على علي «عليه السلام» مرة أخرى..

فحمل عليهم و هزمهم..

3- ثم رمى ذلك الباب من يده إلى مسافات بعيدة، فكان ذلك يكفي رادعا آخر لهم عن غيهم، و دافعا لهم ليثوبوا إلى رشدهم، و ليعلنوا إيمانهم. ولكن ذلك لم يحصل أيضا.

4- والأغرب من كل هذا وذاك: أن النبي «صلى الله عليه و آله» لم يغير طريقة تعامله معهم، بل بقي يعتمد سياسة الصفح، و الرفق و التخفيف. فهو بعد كل هذا العناد، و التحدي و الإصرار على مواصلة الحرب، لم ينتقم

منهم، ولم يواجهم بما يستحقونه، بل قبل بأن يعملوا له في الأرض، وأن يعطوه نصف ما يحصل منها.. مع أنهم لا يستحقون البقاء على قيد الحياة، فضلاً عن أن يكون «صلى الله عليه وآله» هو الذي يهيء لهم الفرصة للحصول على ما يعتاشون به، ويلبي لهم حاجاتهم.

### من سمي عليا عليه السلام بحیدرة؟!

قد تقدم: أن عليا «عليه السلام» قال في مواجهة مرحبا:

أنا الذي سمتني أمي حیدرة كليث غابات كريه...

وقال ثابت بن قاسم: في تسمية علي «عليه السلام» بحیدرة، ثلاثة أقوال:

أحدها: أن اسمه في الكتب المتقدمة أسد، والأسد هو الحیدرة.

الثاني: أن أمه فاطمة بنت أسد «رضي الله عنها» حين ولدته، كان أبوه غائباً، فسمته باسم أبيها. فقدم أبوه فسماه علياً.

الثالث: أنه كان لقب في صغره بحیدرة، لأن «الحیدرة» الممتنى لحما مع عظم بطن. وكذلك كان علي [\(1\)](#).

وذكر ذلك الحبلي أيضاً ولكنه لم يشر إلى أن اسمه في الكتب المتقدمة

ص: 313

---

1- سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 163 وقال: «وذكره الشيخ كمال الدين الدميري {ره} في شرح المنهاج» وراجع: حياة الحيوان {ط المكتبة الشرفية بالقاهرة} ج 1 ص 237 ولسان العرب {ط سنة 1416 هـ} ج 3 ص 84 و 85 و مجمع البحرين ج 3 ص 261 و تاريخ الخميس ج 2 ص 50 و شرح النهج للمعتلي ج 1 ص 12.

أسد، فراجع [\(1\)](#).

ثم قال: «ويقال: إن ذلك كان كشفاً من عليٍّ كرم الله وجهه، بحيث إن الله أطلع علياً على رؤياً كان مرحباً قد رآها في تلك الليلة في المنام: أن أسدًا افترسه، فذُكره عليٌّ كرم الله وجهه بذلك. ليخيفه، ويضعف نفسه» [\(2\)](#).

ونقول:

أولاً: لو صح قولهم: إن لكلمة حيدرة عدة معان، فلما ذا يختارون منها ما يوهم الناس بأمور غير محببة؟! حتى لقد قالوا: الحيدرة: الممتلى لحما مع عظم بطن، وكذلك كان عليٌّ «عليه السلام». أي أنه قد لقب بـ«الحيدرة» لعظم بطنه..

مع أنهم يقولون: إن أمه هي التي سمته بذلك حين ولادته، فهل كان عظيم البطن من حين ولادته؟!

وإذا كان قد صرَح هو نفسه: بأن أمه قد سمته بـ«الحيدرة» و كان ذلك منذ ولادته، فما معنى قولهم: لقب بذلك منذ صغره؟!

فإن اللقب غير الاسم.. والاسم يوضع للمولود من حين يولد، ولحقوق اللقب في الصغر قد يتأخر لمدة سنوات.

ثانياً: ما معنى قولهم: كان لقب في سفره بـ«الحيدرة»؟ ألا ينافي هذا قول عليٌّ «عليه السلام» نفسه:

أنا الذي سمتني أمي حيدرة كلية غابات كريه...

ص: 314

---

1- السيرة الحلبيَّة ج 3 ص 38.

2- السيرة الحلبيَّة ج 3 ص 38.

ثالثاً: لماذا لا يذكرون ما قاله ابن الأعرابي: الحيدرة في الأسد مثل الملك في الناس، وما قاله أبو العباس: يعني لغلوظ عنقه، وقوته ساعديه؟ !

رابعاً: قد ذكر ابن بري: أن أم علي لم تسم عليها «عليه السلام» حيدرة، بل سمتها أسدًا [\(1\)](#).

لكنه «عليه السلام» لم يتمكن من ذكر الأسد لأجل القافية، فعبر بمعناه وهو: «حيدرة» ، فرد عليه ابن منظور بقوله:

«و هذا العذر من ابن بري لا يتم له، إلا إن كان الرجز أكثر من هذه الأبيات، ولم يكن أيضا ابتدأ بقوله: «أنا الذي سمتني أمي حيدرة» ، و إلا فإذا كان هذا البيت ابتداء الرجز، وكان كثيرا أو قليلا، كان رضي الله عنه مخيرا في إطلاق القوافي على أي حرف شاء، مما يستقيم الوزن له به.

كقوله: «أنا الذي سمتني أمي الأسد» ، أو «أسدا» ، و له في هذه القافية مجال واسع، فنطقه بهذا الاسم على هذه القافية من غير قافية تقدمت، يجب اتباعها، ولا ضرورة صرفه إليها، مما يدل على أنه سمي حيدرة [\(2\)](#).

### الصحيح في هذه القضية:

والصحيح هو: ما رواه المفید عن الحسين بن علي بن محمد التمار، عن علي بن ماهان، عن عممه، عن محمد بن عمر، عن ثور بن يزيد، عن مكحول، قال:

لما كان يوم خير خرج رجل يقال له: مرحبا. وكان طويلا في القامة،

ص: 315

---

1- لسان العرب {ط سنة 1416 هـ} ج 3 ص 84.

2- المصدر السابق ج 3 ص 84 و 85.

عظيم الهمة، وكانت اليهود تقدمه لشجاعته ويساره.

قال: فخرج ذلك اليوم إلى أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» ، فما واقعه قرن إلا قال: أنا مرحبا. ثم حمل عليه، فلم يثبت له.

قال: وكانت له ظئر، وكانت كاهنة، تعجب بشبابه، وعظم خلقه.

و كانت تقول له: قاتل كل من قاتلك، و غالب كل من غالبك، إلا من سمي عليك بـ «حيدرة» ، فإنك إن وقفت له هلكت.

قال: فلما كثر مناوشته، و جزع الناس بمقاومته، شكوا ذلك إلى النبي «صلى الله عليه وآله» ، و سأله أن يخرج إليه عليا «عليه السلام» ، فدعا النبي «صلى الله عليه وآله» عليا «عليه السلام» ، وقال له: «يا علي، ا肯ني مرحبا» .

فخرج إليه أمير المؤمنين «عليه السلام» ، فلما بصر به مرحبا يسرع إليه فلم يره يعبأ به، أنكر ذلك، وأحجم عنه، ثم أقدم وهو يقول:

أنا الذي سمتني أمي مرحبا....

فأقبل على «عليه السلام» وهو يقول:

أنا الذي سمتني أمي حيدرة كليث غابات كريه....

فلما سمعها منه مرحبا هرب ولم يقف، خوفا مما حذرته منه ظئر، فتمثل له إبليس في صورة حبر من أخبار اليهود، فقال: إلى أين يا مرحبا؟

فقال: قد سمي علي هذا القرن بحيدرة!

فقال له إبليس: فما حيدرة؟

فقال: إن فلانة ظئري كانت تحذرني من مبارزة رجل اسمه حيدرة، و تقول: إنه قاتلك.

فقال له إبليس: شوها لك، لو لم يكن حيدرة إلا هذا وحده لما كان

مثلك يرجع عن مثله، تأخذ بقول النساء، و هن يخطئن أكثر مما يصبن؟ ! و حيدرة في الدنيا كثير، فارجع فلعلك قتله، فإن قتلته سدت قومك، وأنا في ظهرك أستصرخ اليهود لك، فرده، فو الله ما كان إلا كفواق ناقة حتى ضربه علي ضربة سقط منها لوجهه، و انهزم اليهود يقولون: قتل مرحبا، قتل مرحبا [\(1\)](#).

## إشارات و دلالات:

### إشارة

و قد تضمن هذا الحديث أمورا هامة تحسن الإشارة إليها. والدلالة عليها، وهي التالية:

### ألف: سر زعامة مرحبا:

قد ذكر الحديث: أن سبب تقديم اليهود لمرحبا أمران:

أحدهما: شجاعته.

والثاني: يساره.

نعم. . وهذا هو المتوقع من اليهود الذين لا يفكرون إلا بالمال، وبالدنيا، والذين يسعون في الأرض فسادا، ويشيرون الفتنة بين الناس، وكل همهم هو الهيمنة على الآخرين، وإذلالهم، وقهفهم، فإن ذلك هو ما ينسجم مع نظرتهم الاستعلائية إلى كل من هو غير إسرائيلي، لأنهم-بزعمهم- شعب الله المختار، وقد خلق الله تعالى غيرهم من أجل خدمتهم، وقد

ص: 317

---

1- البحارج 21 ص 9 عن الأموالي للمفيد، وأموالي الطوسي ص 4 و مدينة المعاجزج 1 ص 178.

تحدثنا عن جانب من آرائهم هذه في كتابنا: سلمان الفارسي في مواجهة التحدي.

إن تقدم مرحباً بينهم لم يكن لأجل عقله، ودينه، وزياده الأخلاقية، والإنسانية، بل لأنهم يحتاجون إلى فروسيته وشجاعته، وقوته، ويحتاجون إلى ماله ودنياه أيضاً.

### **بـ: أكفي مرحبا:**

وبعد، فما أروع كلمة رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» : «يا علي، أكفي مرحبا» ، فإنه تحدث بصيغة المتكلّم وحده «أكفي» ، ربما لكي يشير: إلى أنه «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» هو المقصود الحقيقي لمرحب، وأن همة اليهود منصرفه إلى النيل من شخص رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» ، وأن لا مشكلة لمرحب مع أحد من الناس إلا معه «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» ..

أما سائر من حضر فلا يقيم مرحباً لهم وزنا، وهو قادر على استيعاب كل حركتهم ضده، وليشير «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» في كلامه هذا: إلى أن الذي يكفيه ويدفعه عنه هو خصوص علي «عليه السلام» دون سواه.

### **جـ: الناس يريدون علياً عليه السلام:**

وصرحت الرواية الآنفة الذكر أيضاً: بأن الناس حين جزعوا وعجزوا عن مقاومة مرحباً التجأوا إلى النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» ، وسألوه أن يخرج إليه علياً «عليه السلام» . مع علمهم بشدة مرضه «عليه السلام» ، وذلك يدل على أنهم كانوا يعرفون طرفاً من جهاد علي «عليه السلام» ، وإقدامه وتضحياته في سبيل الله تعالى، ويعرفون أنه لا يتعرض له أحد إلا

هلك، وأن مرضه لا يقصر به عن بلوغ غاياته..

فإن صحت هذه الرواية التي نحن بصدده الحديث عنها، فهي لا تنافي روایات إرسال غير علي «عليه السلام» بالرأي قبله، لجواز أن يكون الناس قد طلبوا من النبي «صلى الله عليه وآله» إرسال علي «عليه السلام» بعد فشل الذين كان قد أرسلهم قبل ذلك.

بل قد يكون طلبهم هذا قبل إرسال الآخرين أيضاً، لكن النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» قد آثر أن لا يرسل علياً «عليه السلام» من أول يوم لمصالح رآها.

ولعل بعضها قد اتضح في ثنايا هذا الكتاب.

بل قد يكون قسم من المسلمين، طلبوا من النبي «صلى الله عليه وآله» أن يخرج علياً «عليه السلام» لمرحب، مع عدم علمهم بحالته الصحيحة، فوافق ذلك ما كان النبي «صلى الله عليه وآله» قد عقد العزم عليه، فأعطاه الرأي، وأمره بأن يكفيه مرحباً.

ثم تعجب العارفون برمد عيني علي «عليه السلام»، حين رأوه «عليه السلام» قد حضر بينهم.

وبذلك يتضح: أنه لا تناقض ولا اختلاف فيما بين هذه الرواية ورواية إعطاء الرأي لعلي «عليه السلام»، خصوصاً تلك التي صرحت بأنهم قد فوجئوا بعلي «عليه السلام».

#### د: تمثيل إبليس:

وقد يستغرب البعض أن يتمثل إبليس بصورة بعض أحبّار اليهود.

ولكن الحقيقة هي: أنه لا غرابة في ذلك، فإن الآيات قد صرحت بأن إبليس كان من الجن.. والجن كما دلت عليه الروايات يقدرون على التمثال، تماماً كما يقدر الملائكة على ذلك.

وقد دلت الآيات والروايات على تمثيل الملائكة، قال تعالى: فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحًا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا [\(1\)](#).

وكان جبرئيل يتمثل بصورة دحية الكلبي -على حد زعمهم-.

وقد ذكر الله تعالى: أن إبليس كان من الجن، فقال: إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ [\(2\)](#).

وأشارت الروايات: إلى أن الجن أيضاً يتمثّلون بصورة البشر، ويدل على ذلك: ما ورد من أن إبليس قد تمثّل لقريش حينما تأمروا على قتل رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ»، وأشار عليهم باختيار عشرة من الرجال -كل واحد من قبيلة- ويبتّوا رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ»، ويضربوه بأسيافهم ليضيّع دمه في القبائل..

فقبلوا مشورته، وحاولوا تنفيذها في ليلة الهجرة، حيث بات علي «عَلَيْهِ السَّلَامُ» في فراش الرسول «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ»، فنجى رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» بسبب ذلك [\(3\)](#).

وقد روی عن الحارث الأعور قال: بينما أمير المؤمنين «عَلَيْهِ السَّلَامُ»

ص: 320

---

1- الآية 17 من سورة مريم.

2- الآية 50 من سورة الكهف.

3- تاريخ الأمم والملوك ج 2 ص 68 والبداية والنهاية ج 3 ص 175 و تاريخ الخميس ج 1 ص 321 و 322.

يُخطب على المنبر يوم الجمعة، إذ أقبل أفعى من باب الفيل..

إلى أن تقول الرواية:

إن علياً «عليه السلام» أخبرهم: أن هذا الأفعى هو من الجن قال:

«فأنا في ذلك، وتمثل في هذا المثال، يريكم فضلي الخ..» [\(1\)](#).

فلاحظ قوله: «وتمثل في هذا المثال».

وفي رواية أخرى: أن هاتقا كلام النبي، فقال «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» ، له: «اظهر رحمك الله في صورتك.

قال سلمان: ظهر لنا شيخ أذب، أشعر، قد لبس وجهه شعر غليظ الخ..» [\(2\)](#).

وفي حديث آخر: أنه «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» كان جالساً بالأبطح، وعنه جماعة من أصحابه.. «إذ نظرنا إلى زوجة قد ارتفعت فأثارت الغبار، وما زالت تدنو و الغبار يعلو إلى أن وقفت بحذاء النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ»، ثم برع منها شخص كان فيها، ثم قال: يا رسول الله.

إلى أن تقول الرواية: فقال له النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» : فاكشف لنا عن وجهك حتى نراك على هيئتكم التي أنت عليها.

قال: فكشف لنا عن صورته، فنظرنا فإذا الشخص عليه شعر كثير،

ص: 321

---

1- الثاقب في المناقب ج 2 ص 248 و مدينة الماجز ج 1 ص 141.

2- مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ج 2 ص 308 و مدينة الماجز ج 1 ص 144 و الأنوار العلوية ص 133 و حلية الأبرار ج 1 ص 268 وج 2 ص 95 والبحار ج 39 ص 183.

فإذا رأسه طويل العينين، عيناه في طول رأسه، صغير الحدقتين الخ..[\(1\)](#)

وعن الإمام الصادق «عليه السلام» : إن إبليس لعنه الله قد طلب من ربها أن: «لا يولد لهم -أي لبني آدم- ولد إلا ولد لي إثنان، وأراهم، ولا يروني، وأتصور لهم في كل صورة شئت»[\(2\)](#).

وفي حديث آخر: أن رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» كان جالساً، وعند جنبيه يسأله عن قضايا مشكلة، فأقبل أمير المؤمنين، فتتسااغر الجنى حتى صار كالعصفور الخ.[\(3\)](#).

يضاف إلى ما تقدم حديث يقول: إن جنية من أهل نجران تمثلت في مثال أم كلثوم [\(4\)](#) فراجع.

وأمثال ذلك كثير لا مجال لاستقصائه.. وهو يدل على ما ذكرناه من

ص: 322

---

1- مدينة المعاجز ج 1 ص 148 و 149 و حلية الأبراج 1 ص 270 وج 2 ص 918 و عيون المعجزات ص 43 و البحار ج 18 ص 86 وج 39 ص 169 وج 60 ص 91 و نوادر المعجزات للطبراني ص 53 والإحتجاج للطبرسي ج 1 ص 169 و اليقين لابن طاووس ص 261 و حلية الأبراج 2 ص 98.

2- تفسير الميزان ج 8 ص 61 عن تفسير القمي.

3- مشارق أنوار اليقين ص 85 و مدينة المعاجز ج 1 ص 142 عنه، و حلية الأبراج 2 ص 15 و مجمع التورين ص 190.

4- البحار ج 42 ص 88 والخرائح والجرائح ج 2 ص 825 و مرآة العقول ج 21 ص 198 و راجع: المجدى في أنساب الطالبيين ص 17 و 18 و مدينة المعاجز ج 3 ص 202 والصراط المستقيم ج 3 ص 130 و سفينة البحار { ط سنة 1414 هـ } ج 1 ص 684.

قدرة الجن - وإيليس منهم - على الظهور بأية صورة أرادوا .

### شكوك حول مقتل عامر:

روى الشيخان، والبيهقي، عن سلمة بن الأكوع، قال: لما تصف القوم يوم خير، وكان سيف عامر فيه قصر، فتناول به ساق يهودي ليضرره، فرجع ذباب سيفه، فأصاب عين ركبته، فمات منه.

فلما قفلوا سمعت نفرا من أصحاب محمد رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقولون: بطل عمل عامر، قتل نفسه. فأتيت رسول الله «صلى الله عليه وآله» وأنا أبكي فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله» ، لما رأني شاحبا: ما لك؟

قلت: فداك أبي وأمي، زعموا أن عامرا حبط عمله.

قال: «من قال»؟

قلت: فلان وفلان، وأسيد بن الحضير الأنباري الخ. .[\(1\)](#).

ص: 323

---

1- سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 146 و السيرة الحلية ج 3 ص 32 و راجع: الإصابة ج 2 ترجمة عامر بن سنان و المغازى للواقدي ج 2 ص 661 و عبقات الأنوار ج 3 ص 278 و مسند أحمد ج 4 ص 48 و عن صحيح البخاري ج 5 ص 73 وج 7 ص 108 وج 8 ص 41 و عن صحيح مسلم ج 5 ص 186 و عن فتح الباري {المقدمة} ص 303 وج 7 ص 358 و المعجم الكبير ج 7 ص 33 و جزء أحاديث الشعر ص 102 و الطبقات الكبرى ج 4 ص 304 و تاريخ مدينة دمشق ج 60 ص 240 و البداية والنهاية ج 4 ص 208 و السيرة النبوية لابن كثير ج 3 ص 347.

ونقول:

### إننا نشك في هذه الرواية لما يلي:

أولاً: إن مجرد إصابة ذباب السيوف لعين ركبة إنسان لا يقتضي موته، بل هي جراحة بسيطة قابلة للشفاء.

ثانياً: إن هذا النوع من الجراحات -لو كان يؤدي بالمجروح إلى الموت- لا يوجب الموت مباشرة، فهو ليس مثل ضرب العنق، أو الطعن في القلب، أو شق الرأس. بل هو لا-يميت إلا- بعد وقت طويل، وتفاعل أمراض، وحصول مضاعفات، مع أن ظاهر الكلام هو: أن عامرا قد مات من ذلك في وقت قصير.

ثالثاً: لماذا يبكي سلمة، ألم يكن يعلم: أن من لم يتعمد قتل نفسه لا يعد قاتلا لها، ولا موجب لحيط عمله.

رابعاً: إن ما ذكروه في وجه إصابة ذباب السيوف لعين ركبة عامر مما يصعب تصوره، إلا في حالة لا تكاد تحصل إلا ممن تعمد فعل ذلك، ولماذا يتعمد فعل أمر يحتاج إلى تكلف وجهد، ما دام أن بإمكانه تحقيق غرضه بضرب نفسه بموضع من السيوف هي أدنى من ذبابه.

### شائعات أسيد بن حضير:

قد تقدم: أن الناس قالوا عن عامر بن الأكوع، الذي قتله مرحبا -حسب زعمهم-: قد قتله سلاحه.

وفي رواية: قتل نفسه. أي فليس بشهيد.

وأن سلمة بن الأكوع قال لرسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» : زعموا أن

أخي عامرا حبط عمله، أو قال: يزعم أسيد بن حضير، وجماعة من أصحابك: أن عامرا حبط عمله، إذ قتل بسيفه.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآلها» : كذب من قال، وإن له لأجرين، وجمع بين إصبعين.

وفي رواية: إنه لشهيد.

وفي نص آخر: إنه لجاهد، مجاهد قل عربي مشى- وفي لفظ: نشأ بها- مثله [\(1\)](#).

ونلاحظ هنا: أولاً: أن النبي «صلى الله عليه وآلها» قد أجاب بعبارة تتضمن اتهاما صريحا لأولئك القائلين، بأنهم قد كذبوا فيما قالوه. حيث لم يقل: إنهم أخطأوا، أو نحو ذلك.

فوصفهم النبي «صلى الله عليه وآلها» بالكذب يدل: على أنهم متعمدون للإخبار عن أمر يعلمون أنه خلاف الواقع، وهذا يؤكّد أنهم لا يملكون من الورع ما يحجزهم عن ارتكاب الكبائر- ومنها الكذب- حتى على إنسان قد نال مقام الشهادة في سبيل الله..

مع أن كل أحد يعلم: أن من لم يتعمد قتل نفسه، لا موجب لحبط عمله.

وقد حاول الحلبي: التخفيف من وقع هذا التعبير النبوي بادعاء: أن

ص: 325

---

1- راجع: السيرة الحلبية ج 3 ص 32 وراجع: الإصابة ج 2 ترجمة عامر بن سنان، وإمتناع الأسماع ص 317.

المراد بالكذب: الخطأ، أي أخطأ من قال [\(1\)](#).

غير أننا نقول له: أولاً: إن هذا خلاف ظاهر الكلام، إذ كان بالإمكان أن يقول: أخطأ من قال.

ثانياً: لقد وصف سلمة بن الأكوع عامراً في هذه الرواية: بأنه أخوه، مع أنهم يقولون: إن الصحيح أنه عمه، وهذا وجه آخر من وجوه ضعف هذه الرواية.

وأجيب: بأنه من الجائز: أن يكون أخاه من الرضاعة، وعمه في النسب، فجاز له أن يقول: أخي [\(2\)](#)

ونقول:

إن من الندرة بمكان، أن يعدل عن التعبير بالعلم إلى التعبير بالأخ؛ لأجل الأخوة الرضاعية بمجردتها. بل لم نجد أحداً يفعل ذلك.

بل للإنصاف يقضى: بأن يعدّ هذا من الأدلة على أن عامراً كان أخاً لسلمة فعلاً، والله هو العالم.

### ابن مسلمـة قاتل مرحـب.. كذبة مفضوحة:

قد تقدم أن هناك من يزعم: أن قاتل مرحـب هو محمد بن مسلمـة، وليس عليـ بن أبي طالـب «عليـه السـلام»، فقد روى البيهـقي عن عروـة، و عن موسـى بن عـقبـة، وعن الزـهـري، وعن ابن إسـحـاق، وعن محمد بن عمرـ عن

ص: 326

---

1- السيرة الحلبيـة ج 3 ص 32 وراجع: البحارـج 21 ص 2 و 3.

2- السيرة الحلبيـة ج 3 ص 32 وسبـل الـهدـى و الرـشـاد ج 5 ص 146.

شيوخه، قالوا: و اللفظ لابن إسحاق، قال: حدثي عبد الله بن سهل بن عبد الرحمن بن سهل، أخوبني حارثة، عن جابر بن عبد الله-رضي الله عنه -قال:

خرج مرحباً اليهودي من حصن خير، وقد جمع سلاحه يقول: من يبارز؟ ويرتجز:

قد علمت خيراً أني مرحبي السلاح بطل مجري

أطعن أحياناً و حيناً أضر بإذا الليوث أقبلت تجرب

إن حمای للحمى لا يقرب

فأجابه كعب بن مالك:

قد علمت خيراً أني كعجم فرج الغمى جريء صلب

إن شبت الحرب تلتها الحرب معى حسام كالعقيق عصب

نطؤكم حتى يذل الصعب بعطي الجزاء أو يفيء النهب

بكف ماضٍ ليس فيه عتب

قال ابن هشام: وأنشدني أبو زيد:

قد علمت خيراً أني كعبو أنتي متى تشبّ الحرب

ماض على الهمول جريء صلبي حسام كالعقيق عصب

بكف ماضٍ ليس فيه عتب ندكم حتى يذل الصعب

قال: و مرحباً: ابن عميرة.

قال جابر: فقال رسول الله «صلى الله عليه و آله» : «من لهذا» ؟

قال محمد بن مسلمة: أنا له يا رسول الله، أنا و الله المotron الثائر، قتل

أخي بالأمس.

فأمره بأن يقوم إليه، قال: «اللهم أعنه عليه» .

{وفي بعض المصادر: وأعطاه سيفه، فخرج إليه، ودعاه إلى البراز، فارتजـ كل منهما} .

قال: فلما دنا أحدهما من صاحبه، دخلت بينهما شجرة عمرية {غمـرـته} من شجر العـشـرـ، فجعل أحدهما يلوذ بها من صاحبه، فكلـما لـاذـ منهـ بـهاـ اـقـطـعـ صـاحـبـهـ ماـ دونـهـ مـنـهـاـ،ـ حتىـ بـرـزـ كـلـ وـاحـدـ مـنـهـاـ لـصـاحـبـهـ،ـ وـصـارـتـ بـيـنـهـمـاـ كـالـرـجـلـ القـائـمـ،ـ ماـ فيـهـاـ فـنـ.

ثم حمل مرحـبـ عـلـىـ مـحـمـدـ بـنـ مـسـلـمـةـ فـضـرـبـهـ،ـ فـانـتـاهـ بـالـدـرـقـةـ،ـ فـوـقـ سـيـفـهـ فـيـهـاـ،ـ فـعـضـتـ بـهـ فـأـمـسـكـتـهـ،ـ وـضـرـبـهـ مـحـمـدـ بـنـ مـسـلـمـةـ فـقـطـعـ فـخـذـيهـ حتـىـ قـتـلـهـ [\(1\)](#).

قالوا: ونـفـلـ رسولـ اللـهـ «صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآـلـهـ وـلـيـلـهـ» مـحـمـدـ بـنـ مـسـلـمـةـ يـوـمـ خـيـرـ سـلـبـ مـرـحـبـ:ـ سـيـفـهـ،ـ وـرـمـحـهـ،ـ وـمـغـفـرـهـ،ـ وـبـيـضـتـهـ [\(2\)](#).

قال الواقدي: «فـكـانـ عـنـدـ آـلـ مـحـمـدـ بـنـ مـسـلـمـةـ سـيـفـهـ،ـ فـيـهـ كـتـابـ لـاـ

ص: 328

---

1- سـبـلـ الـهـدـىـ وـالـرـشـادـ جـ 5ـ صـ 127ـ وـ 128ـ وـ السـيـرـةـ الـحـلـبـيـةـ جـ 3ـ صـ 37ـ وـ 38ـ وـ المـغـازـيـ لـلـوـاقـدـيـ جـ 2ـ صـ 655ـ وـ 656ـ وـ تـارـيخـ الـخـمـيسـ جـ 2ـ صـ 50ـ وـ 51ـ عـنـ الإـكـتـفـاءـ وـعـنـ مـسـنـدـ أـحـمـدـ جـ 3ـ صـ 385ـ وـ مـجـمـعـ الزـوـانـدـ جـ 6ـ صـ 150ـ وـ بـغـيـةـ الـبـاحـثـ صـ 217ـ وـ تـارـيخـ مـدـيـنـةـ دـمـشـقـ جـ 55ـ صـ 268ـ وـ تـارـيخـ الـأـمـمـ وـ الـمـلـوـكـ جـ 2ـ صـ 299ـ عـنـ السـيـرـةـ النـبـوـيـةـ لـابـنـ هـشـامـ جـ 3ـ صـ 797ـ وـ الـبـداـيـةـ وـ الـنـهـاـيـةـ جـ 4ـ صـ 215ـ .

2- السـيـرـةـ الـحـلـبـيـةـ جـ 3ـ صـ 38ـ عـنـ مـخـتـصـرـ المـزنـيـ وـ رـاجـعـ:ـ المـغـازـيـ لـلـوـاقـدـيـ جـ 2ـ صـ 656ـ .

يدرى ما هو، حتى قرأه يهودي من يهود تيماء، فإذا فيه:

هذا سيف مرحبتمن يذقه يعطب»<sup>(1)</sup>

### ابن مسلمة يقتل كنانة بأخيه:

و يقولون أيضاً: إنه بعد تعذيب كنانة ابن أبي الحقيق دفعه «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» لِمُحَمَّدٍ بْنَ مُسْلِمَةَ، فضرب عنقه بأخيه محمود.

و ذكروا في توجيهه بشارته النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» لِمُحَمَّدٍ هَذَا بِنْ زُولْ فَرَائِضَ الْبَنَاتِ: أَنْ مُحَمَّدَ بْنَ مُسْلِمَةَ كَانَ مَتَمُولًا، وَ كَانَ مَالُهُ أَكْثَرَ مِنْ أَمْوَالِ أَخِيهِ مُحَمَّدٌ. فَلَمَّا سَقَطَتْ عَلَيْهِ الرَّحْيَ جَعَلَ يَقُولُ لِأَخِيهِ: بَنَاتُ أَخِيكَ لَا يَتَبَعَّنُ الْأَفْيَاءُ، يَسْأَلُنَّ النَّاسَ.

فيقول له محمد: لو لم ترك مالا لكان لي مال. ولم تكن فرائض البنات قد نزلت.

فلما كان يوم موته، وهو اليوم الذي قتل فيه مرحباً أرسل النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» جعيل بن سراقة الغفاري، ليبشر محمود بأن الله قد أنزل فرائض البنات وأن محمد بن مسلمة قد قتل قاتله.

فسر بذلك، و مات في اليوم الذي قتل فيه مرحباً بعد ثلات من سقوط الرحى عليه من حصن ناعم<sup>(2)</sup>.

ص: 329

- 
- 1- المغازي للواقدي ج 2 ص 656
  - 2- إمتناع الأسماع ص 316 والمغازي للواقدي ج 2 ص 658

ونقول:

إن هذا الكلام كله غير صحيح، وذلك لما يلي: أولاً: إن الفاصل بين ما جرى في حصن ناعم حيث قتل محمود بن مسلمة وبين قتل مرحبا في حصن القموص كان أياماً كثيرة تعداد العشرات.

ثانياً: إنه لا ربط بين البشارة بنزول فرائض البنات وبين البشارة بقتل مرحبا.

ثالثاً: إن فرائض البنات قد نزلت قبل ذلك بسنوات، ويشهد لهذا: أن الآيات المرتبطة بذلك هي في سور قد نزلت قبل ذلك بزمان طويل.

رابعاً: إن قاتل مرحبا هو علي «عليه السلام»، لا محمد بن مسلمة.

وشهاد ذلك كله يجدها المتبع بالمراجعة.

خامساً: إن روایاتهم في قاتل محمود بن مسلمة مختلفة ومتناقضة.

فهم يدعون: أن قاتله هو مرحبا.

ثم يدعى بعضهم أيضاً: أن ابن مسلمة قد قتل مرحبا بأخيه.

ثم هم يدعون: أن علياً «عليه السلام» حين فتح الحصن أخذ قاتل محمود، ودفعه لأخيه محمد بن مسلمة، فقتله به.

ثم يدعون أيضاً هنا: أن النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» قد دفع كنانة ابن أبي الحقيق إلى محمد بن مسلمة ليقتله بأخيه محمود<sup>(1)</sup>.

فلماذا هذا الاختلاف؟! وما هو السبب في هذا التخبط؟!

وقد يقال في دفع هذا التناقض الأخير: إن علياً «عليه السلام» دفعه

ص: 330

---

1- السيرة الحلية ج 3 ص 43 وراجع: السير الكبير للشيباني ج 1 ص 218.

للنبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ»، والنبي دفعه لمحمد بن مسلمة، فصح نسبة ذلك إليه «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» تارة، وإلى علي «عَلَيْهِ السَّلَامُ» أخرى.

ونحن لو قبلنا هذا التوجيه، فإنه لا يدفع التناقض الآخر.. ولا يدفع التناقض بين كون القاتل لمحمود هو مرحب، أو كنانة..

كما أن ملاحظة روایاتهم تعطي: أن هؤلاء الناس ليس لهم هم ولا شغل إلا رواية الأحاديث في الإشادة بمحمد بن مسلمة، وتسطير المآثر والبطولات له، وكأن النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» وعليها «عَلَيْهِ السَّلَامُ» وسواهمًا متحيرون في كيفية إرضاء ابن مسلمة، وتطيب خاطره، وتلبية طلباته..

سادساً: إن دعواهم تعذيب كنانة بن أبي الحقيق قبل قتله، على يد هذا تارة وذاك أخرى، دليل آخر على كذب هذه الرواية، إذ لا مبرر لتعذيبه.

ويكفي أن نذكر الناس بوصية علي «عَلَيْهِ السَّلَامُ» بقاتله عبد الرحمن بن ملجم، حيث قال:

«ما فعل ضاربي؟! أطعموه من طعامي، واسقوه من شرابي، فإن عشت فأنا أولى بحقي، وإن مت فاضربوه ولا تزيدوه»[\(1\)](#).

وفي نص آخر: «احبسوه، وأطبووا طعامه، وألينوا فراشه، فإن أعش فعفو، أو قصاص الخ..»[\(2\)](#)

ص: 331

---

1- المناقب للخوارزمي ص 280 و 281.

2- الثقات ج 2 ص 303 والأخبار الطوال ص 215 والطبقات الكبرى لابن سعد ج 3 ق 1 ص 25 و 26 وراجع: أنساب الأشراف {بتحقيق محمودي} ج 2 ص 495 و 502 و 504.

اشارة

و حول دور محمد بن مسلمة في قتل مرحبا نصيف إلى ما تقدم ما قاله الحكم النيسابوري: «على أن الأخبار متواترة بأسناد كثيرة: أن قاتل مرحبا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام»<sup>(1)</sup>.

وقال الذهبي: الأخبار متواترة: أن قاتل مرحبا علي<sup>(2)</sup>.

وقال الصالحي الشامي: قلت: جزم جماعة من أصحاب المغازي: بأن محمد بن مسلمة هو الذي قتل مرحبا.

ولكن ثبت في صحيح مسلم-كما تقدم-عن سلمة بن الأكوع: أن علياً-رضي الله عنه-هو الذي قتل مرحبا.

و ورد ذلك: في حديث بريدة بن الحصيب، وأبي نافع مولى رسول الله «صلى الله عليه وآله».

وعلى تقدير صحة ما ذكره جابر، و جزم به جماعة، فما في صحيح مسلم مقدم عليه من وجهين:

أحدهما: أنه أصح إسنادا.

الثاني: أن جابرا لم يشهد خيبر، كما ذكره ابن إسحاق، و محمد بن عمر، و غيرهما، وقد شهد لها سلمة، و بريدة، و أبو رافع. و هم أعلم من لم يشهدوا.

وما قيل: من أن محمد بن مسلمة ضرب ساقي مرحبا فقطعهما، ولم

ص: 332

1- المستدرك على الصحيحين ج 3 ص 437

2- تلخيص مستدرك الحكم {مطبوع مع المستدرك} ج 3 ص 437

يجهز عليه، و مرّ به عليٰ «عليه السلام» فأجهز عليه، يأبه حديث سلمة، وأبى رافع، والله أعلم.

وصحح أبو عمر: أن علياً «عليه السلام» هو الذي قتل مرحباً، وقال ابن الأثير: إنه الصحيح [\(1\)](#).

وقال ابن الأثير: «وقيل: إن الذي قتل مرحباً، وأخذ الحصن علي بن أبي طالب، وهو الأصح والأشهر» [\(2\)](#).

وقال أيضاً: «الصحيح الذي عليه أهل السير والحديث: أن علياً كرم الله وجهه قاتله» [\(3\)](#).

وقال الحلبي: «وقيل: القاتل له عليٰ كرم الله وجهه، وبه جزم مسلم {ره} في صحيحه.

وقال بعضهم: والأخبار متواترة به» .

وقال أيضاً: «وقد يجمع بين القولين: بأن محمد بن مسلمة أثبته، أي بعد أن شق عليٰ كرم الله وجهه هامته، لجواز أن يكون قد شق هامته، ولم يثبته، فأثبته محمد بن مسلمة. ثم إن علياً كرم الله وجهه وقف عليه» [\(4\)](#).

ثم استدل الحلبي على ذلك بما في بعض السير عن الواقدي، قال: «لما قطع محمد بن مسلمة ساقي مرحباً، قال له مرحباً: أجهز عليٰ.

فقال: لا، ذق الموت كما ذاقه أخي.

ص: 333

---

1- سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 127 و 128 وعن أسد الغابة ج 4 ص 331.

2- الكامل في التاريخ ج 2 ص 219.

3- شرح مسلم للنووي ج 12 ص 186 عن ابن الأثير.

4- السيرة الحلبية ج 3 ص 38.

و مر به علي فضرب عنقه، وأخذ سلبه، فاختصما إلى رسول الله «صلى الله عليه و آله» في سلبه.

فقال محمد: يا رسول الله، ما قطعت رجليه و تركته إلا ليذوق الموت، و كنت قادرًا أن أجهز عليه.

فقال علي كرم الله وجهه: صدق.

فأعطى سلبه لمحمد بن مسلمة»<sup>(1)</sup>.

وقالوا: لعل هذا كان بعد مبارزة عامر بن الأكوع لمرحب، فلا ينافي ما مر عن فتح الباري<sup>(2)</sup>.

وفي الإستيعاب: «و الصحيح الذي عليه أكثر أهل السير و الحديث أن عليا قاتله»<sup>(3)</sup>.

ونقول:

إن ما تقدم هو محض اكاذيب ولا يصح، و الذي قدمناه من النصوص الصحيحة، و المتوترة كاف في إثبات ذلك، و نزيد هنا ما يلي:

### 1-علي عليه السلام يفي بوعده:

رووا: أن عليا «عليه السلام» لما فتح الحصن، أخذ الرجل الذي قتل أخا محمد بن مسلمة، و سلمه إلى ابن مسلمة، فقتله بأخيه ..

ص: 334

---

1- السيرة الحلية ج 3 ص 38. وأشار إلى ذلك في الإمتناع ص 315 و المغازي للواقدي ج 2 ص 656 و راجع: السير الكبير ج 2 ص 606

2- السيرة الحلية ج 3 ص 38.

3- السيرة الحلية ج 3 ص 38.

وفي نص آخر: أن النبي «صلى الله عليه وآله» دفع كنانة لمحمد بن مسلمة ليقتله [\(1\)](#).

ولا منافاة بين الروايتين، إذ إن عليا «عليه السلام» لا يورد ولا يصدر إلا عن أمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» ، فهو قد سلمه إليه بعد أن أحرز الإذن منه «صلى الله عليه وآله» ..

فيصبح أن يقال: إن النبي «صلى الله عليه وآله» دفعه إليه، ويصبح أيضاً القول: بأن عليا «عليه السلام» فعل ذلك.

## 2-الإشراك في قتل محمود:

إن دعوى اشتراك مرحب، و كنانة بن الريبع، والرجل الذي سلمه علي «عليه السلام» لمحمد بن مسلمة-إن دعوى اشتراك الثلاثة-في قتل محمود بن مسلمة [\(2\)](#)غير مقبولة:

أولاً: لثبت أن ابن مسلمة لم يقتل مرحبا بأخيه-كما زعموا-لكي يصح قولهم: إنه قتله أخيه الذي كان قد شارك في قتله، بل قاتل مرحبا هو على «عليه السلام» ..

ثانياً: لما روي: من أن عليا «عليه السلام» قد سلم قاتل محمود إلى أخيه محمد. وهو لم يسلم إليه مرحبا قطعاً.. ولم يسلم إليه كنانة لأجل ذلك أيضاً.

ثالثاً: قيام احتمال أن يكون محمد بن مسلمة قد فر مع الفارين في غزوة خيبر، كما ستر في الفقرة التالية، فإنه إذا كان قد فر وأنهزم، فلا يكون قد

ص: 335

---

1- السيرة الحلية ج 3 ص 39.

2- السيرة الحلية ج 3 ص 39.

قتل مرحباً بأخيه أيضاً.

### 3- ابن مسلمـة يـفـرـ بالراـيـة أـيـضاً:

لقد ورد في بعض النصوص: ما يشير بقوة احتمال أن يكون محمد بن مسلمـة أحد الذين أعطاهـم النبي «صلـى اللـهـ عـلـيـهـ وـآـلـهـ وـهـرـبـ» فقد روـيـ ابنـ الأـثـيرـ بإـسـنـادـهـ عنـ بـرـيـدـةـ،ـ قـالـ:ـ (لـمـاـ كـانـ يـوـمـ خـيـبـرـ أـخـذـ أـبـوـ بـكـرـ الـلـوـاءـ،ـ فـلـمـ كـانـ مـنـ الـغـدـ أـخـذـهـ عـمـرـ.ـ وـقـيلـ {ـأـخـذـهـ}ـ :ـ مـحـمـدـ بـنـ مـسـلـمـةـ {ـأـيـ وـهـرـبـ}ـ ،ـ فـقـالـ رـسـوـلـ اللـهـ {ـصـلـى اللـهـ عـلـيـهـ وـآـلـهـ وـهـرـبـ}ـ :

لـأـدـفـعـنـ لـوـائـيـ إـلـىـ رـجـلـ لـمـ يـرـجـعـ حـتـىـ يـفـتـحـ اللـهـ عـلـيـهـ.

فصـلـىـ رـسـوـلـ اللـهـ {ـصـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآـلـهـ وـهـرـبـ}ـ صـلـاتـةـ الـغـدـاـ،ـ ثـمـ دـعـاـ عـلـيـاـ {ـعـلـيـهـ السـلـامـ}ـ وـهـوـ يـشـتـكـيـ عـيـنـيـهـ الخـ.ـ .ـ (1).

فـقـدـ دـلـتـ هـذـهـ الـرـوـاـيـةـ:ـ عـلـىـ أـنـ بـنـ مـسـلـمـةـ كـانـ هـوـ أـوـ عـمـرـ قـدـ هـرـبـ فـيـ خـيـبـرـ.

وـمـمـاـ يـؤـيدـ ذـلـكـ:ـ الـرـوـاـيـةـ الـتـيـ تـقـولـ:ـ إـنـ جـمـاعـةـ طـلـبـواـ الـرـايـةـ مـنـ النـبـيـ {ـصـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآـلـهـ وـهـرـبـ}ـ فـيـ خـيـبـرـ،ـ فـلـمـ يـعـطـهـمـ إـيـاـهـ،ـ وـأـعـطـاهـاـ عـلـيـاـ {ـعـلـيـهـ السـلـامـ}ـ،ـ فـقـتـحـ اللـهـ عـلـيـهـ (2).

صـ:ـ 336

---

1- أـسـدـ الـغـابـةـ جـ 4ـ صـ 21ـ وـالـعـمـدـةـ لـابـنـ الـبـطـرـيقـ صـ 156ـ وـعـنـ الـمـنـاقـبـ لـابـنـ الـمـعـازـلـيـ صـ 88ـ.

2- تـذـكـرـةـ الـخـواـصـ صـ 25ـ عـنـ أـحـمـدـ فـيـ الـفـضـائلـ وـرـاجـعـ:ـ مـسـنـدـ أـحـمـدـ جـ 3ـ صـ 16ـ.

#### 4-الإختصار في سلب مرحبا:

ثم إن الحديث عن اختصار علي «عليه السلام» و محمد بن مسلمة إلى رسول الله «صلى الله عليه و آله» في سلب مرحبا، مكتوب أيضا، بدليل:

أنهم قد رروا: أن عليا «عليه السلام» لم يقدم على سلب عمرو بن عبد ود وهو نفس سلب، و حين طالبه عمر بن الخطاب بذلك قال:

«كرهت أن أبز السبيّ ثيابه» [\(1\)](#).

قال المعتزلي: فكأن حبيبا {يعني أبي تمام الطائي} عنه بقوله:

إن الأسود أسود الغاب همتها يوم الكريهة في المسنوب لا السلب [\(2\)](#)

كما أنه «عليه السلام» قال لعمرو بن عبد ود حين طلب منه أن لا يسلبه حلته: هي أهون علي من ذلك [\(3\)](#).

فمن كان كذلك: فهو لا يجاحش على السلب، ولا ينزع أحدا فيه، فضلا عن أن يرفع الأمر إلى رسول الله «صلى الله عليه و آله» ليفصل فيه.

ص: 337

---

1- شرح النهج للمعتزلي ج 14 ص 237.

2- شرح النهج للمعتزلي ج 14 ص 237.

3- كنز الفوائد للكراجكي ص 137 والبحار ج 20 ص 216.



## **الفهارس**

### **اشارة**

1-الفهرس الإجمالي

2-الفهرس التفصيلي

ص: 339



## الفهرس الإجمالي

الفصل الرابع: كتاب النبي صلّى الله عليه وآلـه إلى المقوفـس 50-5

الفصل الخامس: كتاب النبي صلّى الله عليه وآلـه إلى النجاشي الثاني 51-62

الباب الخامس: حصون خير الفصل الأول: من المدينة. . إلى خير 65-114

الفصل الثاني: قبل أن يبدأ القتال 115-146

الفصل الثالث: فتح حصن ناعم 147-168

الفصل الرابع: فتح سائر حصون النطة والشق 169-212

الباب السادس: فتح خير الفصل الأول: المنهزـون الفاـشـلون 215-248

الفصل الثاني: وقفـات لا بد منها 249-286

الفصل الثالث: قتل مـرـحب. . أـحـدـاث وـنـقـاصـيل 287-338

الفهارـس 339-353

ص: 341



## 2-الفهرس التفصيلي

الفصل الرابع: كتاب النبي صلى الله عليه وآلها إلى المقوقس كتاب النبي صلى الله عليه وآلها إلى المقوقس: 7

قصبة هذه الرسالة: 9

الرسول صلى الله عليه وآلها عند المقوقس: 10

الرسول صلى الله عليه وآلها مع الملك في السر: 11

كتاب المقوقس إلى رسول الله صلى الله عليه وآلها: 12

هدايا المقوقس إلى النبي صلى الله عليه وآلها: 14

عليك إثم القبط: 18

الحرص على الملك: 19

شبهات المقوقس، لماذا؟!: 19

دور الدعاء في دعوة الأنبياء عليهم السلام: 20

هدايا المقوقس: 22

القبط لا تطاوعله: 22

وجحدوا بها واستيقنوا أنفسهم: 23

كتاب آخر مشكوك فيه: 24

كلمات عن المقوقس: 25

لا تسمع القبط منك حرف واحدا: 26

ص: 343

كتابه صلّى الله عليه وآلـه إلى النجاشي الأول من مكة:28

إسلام النجاشي الأول:30

كلام الرسول صلّى الله عليه وآلـه عند النجاشي الأول:31

إنما يفتح الفاجر:32

كتاب النجاشي الأول إلى النبي صلّى الله عليه وآلـه:33

رسول النجاشي الأول و هداياه:36

الإقرار للنجاشي الأول بالملك:38

سلام عليك:39

أحمد إليك الله:39

الملك:40

القدوس:40

السلام، المؤمن:41

المهيمـن:41

العزيز الجبار المتـكبر:42

شهادة رسول الله صلّى الله عليه وآلـه ليعيسى أولا:43

مريم البتول، الطيبة، الحصينة:44

فخلقه من روحه و نفخه:46

كما خلق آدم عليه السلام بيده و نفخه:46

المولاة على طاعة الله عز و جل:47

أدعوك و جنودك:48

ص: 344

الفصل الخامس: كتاب النبي صلّى الله عليه وآلـه إلى النجاشي الثاني كتاب النبي صلّى الله عليه وآلـه إلى النجاشي الثاني: 53

النجاشي ثلاثة، أسلم منهم اثنان: 55

النجاشي يموت وهو مهاجر: 59

إخلاص النجاشي: 60

كتابه صلّى الله عليه وآلـه إلى النجاشي الثالث: 61

الباب الخامس: حصنون خير الفصل الأول: من المدينة. . إلى خير. . تقديم: 67

بداية: 68

ماذا عن خير؟ 69

خير مقدسة! 71

تاريخ غزوة خير: 72

في أي شهر كانت؟ 74!

مدة حصار خير: 75

مدة إقامته صلّى الله عليه وآلـه في خير: 75

الاستفار إلى خير: 75

المستخلف على المدينة: 78

خدمة أنس للنبي صلّى الله عليه وآلـه: 79

أم سلمة في خير أيضاً: 81

إحساس يهود المدينة بالخطر: 82

ص: 345

إجراءات في الطريق إلى خير: 85

لمن الشعر المتقدم؟! 90

الخطأ في مضمون شعر عامر: 90

ارتجاز عامر لرسول الله صلى الله عليه وآله: 91

الإستغفار أمارة الشهادة: 91

لا تحل الجنة ل العاص: 92

الكثرة لا خير فيها: 94

أكذوبة الفتاة الحائض: 96

إختيار الطريق إلى خير: 99

التطير والتفاول: 100

لا حول ولا قوة إلا بالله: 101

المطلوب هو الخير لا الغنائم: 103

ابن أبي يحذر اليهود: 106

غضفان تخاف، فتتراجع: 107

الفصل الثاني: قبل أن يبدأ القتال.. وصول رسول الله صلى الله عليه وآله إلى خير: 117

الجيش هو الخميس: 120

خربت خير: 120

إنحسار الإزار عن فخذ رسول الله صلى الله عليه وآله: 121

لا يظن اليهود: أنه صلى الله عليه وآله يغزوهم: 126

الأذان علامة الإسلام: 127

مشورة الحباب:131

ألف: الإنقاص من رسول الله صلى الله عليه وآله:133

ب: إذا أمسينا تحولنا:134

الحباب ذو الرأي من هو؟!134

ج: حديث الراحلة:136

د: بناء المسجد في خير:137

صوابية تدبیر اليهود:137

قطع نخيل النطة:139

الأمان لمن أراد:141

من دخل النخل فهو آمن:142

جعل علي عليه السلام على المقدمة:143

التشكيك في قيادة علي عليه السلام:143

علي عليه السلام يسمع الناس أقوال النبي صلى الله عليه وآله:145

جبرئيل يحب عليا عليه السلام:146

الفصل الثالث: فتح حصن ناعم.. حصار حصن ناعم:149

على فرس، أو على حمار؟!152

قتال رسول الله صلى الله عليه وآله في خير:152

الريات بدأت في خير:153

الزموا الأرض جلوسا:155

نداء لا تحل الجنة ل العاص: 155

الإنسباط ضرورة لا تقبل الجدل: 157

تمني لقاء العدو: 157

يسلم الراعي و تعود الغنم: 159

متى شبع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ خَبْزِ الشَّعِيرِ؟! 163

محمود بن مسلمة يقتل في حصن ناعم: 164

أين قتل ابن مسلم؟! 168

الفصل الرابع: فتح سائر حصون النطة والشق حصار وفتح حصن الصعب بن معاد: 171

فرار المسلمين . . و ثبات الحباب: 178

لماذا الإحراج؟: 179

أوسمة أسلم: 180

الموقف الشائن: 181

اللواء للحباب بن المنذر: 181

الصعب أكثراها طعاما: 182

تسخين الماء في آنية اليهود: 183

أعظم حصون خير: 184

الافتخار في الحرب: 185

حديث الشاتين، وقطيع الغنم: 186

الحباب بن المنذر في الواجهة: 187

ابن مسلم يقول: تبسم إلى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: 188

الإهتمام بالطعام والغنية: 189

مدة الحصار: 189

حصن قلة الزبير: 190

بطولات موهومة: 193

نصب المنجنيق: 195

ذاري اليهود لم تكن في حصن الشق: 196

ابن مسلمة تارة، والجباب أخرى: 197

موقع عثمان هو الأنسب: 198

عمر يأمر بضرب عنق شخص: 199

لا يعرف المنجنيق إلا هذا اليهودي: 201

لماذا خص النبي صلى الله عليه وآله ابن مسلمة بخطابه؟! 202

إسهامات عمر في فتح خير: 203

قتل مرحباً في القموص لا في الصعب: 204

حصون الشق: 205

ماذا عن فتح حصن النزار؟! 209

صفية في حصن النزار: 210

الباب السادس: فتح خير الفصل الأول: المنهزمون الفاشلون.. بداية: 217

القاموس أعظم حصون خير: 217

حصار القاموس: 218

ص: 349

رعب اليهود: 219

رأيات الفاشلين: 220

رأيتان أم ثالث؟! 231

إرسال عمر مرتين: 232

أين ابن مسلمة، و الحباب، و الزبير؟! 233

كتائب اليهود تهاجم الأنصار: 233

ألف: تعمد التعظيم على الحقائق: 235

ب: لواء الأنصار، أم لواء النبي صلّى الله عليه و آله؟! 236

ج: حفظ ماء وجه الأنصاري: 237

د: أين كان المهاجرن؟! 238

ه: نداء رسول الله صلّى الله عليه و آله في اليهود: 238

و: الصحابة يفرون حتى عن علي عليه السلام! 240

تعابير ذات مغزى: 240

أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟! 243

عَرَفْهُمْ مَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ: 244

حق الله و حق رسوله: 245

لأن يهدي الله بك نسمة: 245

اليهود، و الكلمة للتوحيد: 247

التدرج في الاعتقادات، و في الأحكام: 247

الفصل الثاني: وقفات لا بد منها هل قاتل المهزومون في خير؟! 251

1- يحب الله ورسوله: 254

2- يحبه الله ورسوله: 255

التزوير الرخيص. . تصرف و حذف: 256

أقوال النبي صلّى الله عليه و آله في المصادر والمراجع: 257

ابن الصباغ ينقل عن صحيح مسلم: 262

3- كرار غير فرار: 264

4- لا يولي الدبر: 265

5- لا يرجع حتى يفتح الله عليه: 265

6- لا يخزيه الله أبداً: 265

حتى أنت يا عمر؟ !: 266

مقارنة ذات مغزى: 270

سعادتهم برمد علي عليه السلام: 272

كلهم يرجو أن يعطاهما: 274

حتى قريش: 276

لماذا الإعلان المسبق؟ !: 276

التدخل الإلهي: 277

النبي صلّى الله عليه و آله يصنع المعجزة: 278

متى رمدت عيناً على عليه السلام؟ : 279

علي عليه السلام فاجأهم: 282

لباس علي عليه السلام في الحر والبر: 283

الفصل الثالث: قتل مرحباً . أحداث وتفاصيل . علوتم والذى أنزل التوراة: 289

قتل على عليه السلام مرحباً و الفرسان الثمانية: 291

قطع رأس مرحباً لماذا؟! 297

صفية تتدخل لمصلحة ولدها: 297

الزبير حواري رسول الله صلى الله عليه وآله: 300

لماذا تعظيم الزبير؟! 303

صيغة أخرى لما جرى في خيبر: 310

من سمي علياً عليه السلام بحيدرة؟! 313

الصحيح في هذه القضية: 315

إشارات ودلائل: 317

ألف: سر زعامة مرحباً: 317

ب: اكفي مرحباً: 318

ج: الناس يريدون علياً عليه السلام: 318

د: تمثل أليس: 319

شكوك حول مقتل عامر: 323

شائعات أسيد بن حضير: 324

ابن مسلمة قاتل مرحباً . كذبة مفضوحة: 326

ابن مسلمة يقتل كنانة بأخيه: 329

حدّث العاقل بما لا يليق له: 332

1-علي عليه السلام يفي بوعده: 334

ص: 352

2-الإشراك في قتل محمود 335

3-ابن مسلمة يفرّ بالرأي أيضاً 336

4-الاختصاص في سلب مرحباً 337

الفهارس 339

1-الفهرس الإجمالي 341

2-الفهرس التفصيلي 343

ص: 353

## تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

جَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ

(التجويه : 41)

منذ عدة سنوات حتى الان ، يقوم مركز القائمية لأبحاث الكمبيوتر بإنتاج برامج الهاتف المحمول والمكتبات الرقمية وتقديمها مجاناً. يحظى هذا المركز بشعبية كبيرة ويدعمه الهدايا والنذور والأوقاف وتخصيص النصيب المبارك للإمام عليه السلام. لمزيد من الخدمة ، يمكنك أيضاً الانضمام إلى الأشخاص الخيريين في المركز أينما كنت.

هل تعلم أن ليس كل مال يستحق أن ينفق على طريق أهل البيت عليهم السلام؟

ولن ينال كل شخص هذا النجاح؟

تهانينا لكم.

رقم البطاقة :

6104-3388-0008-7732

رقم حساب بنك ميلات:

9586839652

رقم حساب شيبا:

IR390120020000009586839652

المسمي: (معهد الغيمية لبحوث الحاسوب).

قم بإيداع مبالغ الهدية الخاصة بك.

عنوان المكتب المركزي :

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهید محمد حسن التوکلی، الرقم 129، الطبقه الأولى.

عنوان الموقع : [www.ghbook.ir](http://www.ghbook.ir)

البريد الإلكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 021 - 88318722

قسم البيع 09132000109 . 09132000109 شؤون المستخدمين



للحصول على المكتبات الخاصة الأخرى  
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم  
**www.Ghaemiyeh.com**

[www.Ghaemiyeh.net](http://www.Ghaemiyeh.net)

[www.Ghaemiyeh.org](http://www.Ghaemiyeh.org)

[www.Ghaemiyeh.ir](http://www.Ghaemiyeh.ir)

وللإيصال من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٠٩

